جامعة الجزائر2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مجلة الدراسات التاريخية

مجلة دورية محكمة

العدد الثالث عشر

السنة1433هـ - 2011 م

عنوان المجلة

مجلة الدراسات التاريخية

قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شارع جمال الدين الأفغاني- بوزريعة- الجزائر

العنوان الإلكتروني:dirassatetarikhia@gmail.fr

جامعة الجزائر2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

قواعــد النشــر

تقوم المجلة بنشر الدراسات والمقالات العلمية الأصـيلة، وتقـارير أعمـال الندوات والملتقيات والأيام الدراسية، وعرض الإصدارات التاريخيـة بشـرط أن تتـوفر الشـروط العلميـة والمنهجيـة في المقـال المنشـور، وعلـى البـاحثين الراغبين في نشر اسهاماتهم الالتزام بقواعد النشر العلمية التالية:

- أن يكون المقال جديا لم يسبق نشره من قبل.
- أن يكون المقال في موضوع تاريخي باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية.
- يرفق المقال بملخص مغاير للّغة المقالة الأصلية.
- يقدم المقال في نسختين مطبوعتين وقرص مضغوط قابل للنسخ.
- الكتابة على صفحة واحدة من ورقة ذات مقاسA4 بخط Traditional arabic بالنسـبة للمقـالات المكتوبـة بالعربيـة، و12 Time New Roman بالنسبة للمقالات المكتوبة بلغة أجنبية.
- يكتب عنوان المقالة في وسط الصفحة بلون داكن متبوعا باسـم ولقـب الكاتب ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وذلك على يسار الصفحة بعد العنوان مباشرة.
- يجب أن لا يقل عدد صفحات المقالة عن 10 ولا يزيد عـن 20، وأن لا يزيد عدد الأشكال والرسوم والملاحق عن 15بالمائة من حجم المقالة.
- يجب أن تراعى القواعد العلمية المتعارف عليها في التهميش لقب واسم المؤلف، المصدر والمرجع، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، الطبعة، الجـزء الصفحة، وأن يكون ذلك في صفحة مستقلة في آخر المقال.

- تخضع كل المقالات المرسلة للمجلة للتحكيم من طرف خبيرين.
- المقالات المرسلة للمجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشـرت أم لم تنشـر.

كلمة المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عدد جديد يصدر اليوم، يقطع الغياب الطويل بالحضور ويحيل الاختفاء إلى شهود، ويبعث في الراهن سليل الأمس.

ينفي بوروده السنين الشداد، فيغاث القارئ بما يعصر الباحث من أعناب المعرفة.و يمسح مجيئه الصقيع المتهافت على العقول من جراء الركود والخمول الحاصلين بغياب التنظيم والتسيير.

لم تغب مجلتنا لجفاف أصابع أقلامنا، ولا لطي لف صحائفنا ولقد سكتت ولكنها ظلت صوتا يجلجل في حنايا صدورنا وصمتت ولكنها بقيت هاجسا يختلج في دواخل نفوسنا وكانت بحق هما نحمله وواجبا نتحين له فرصة من الزمن ونتربص له سانحة من الحياة، ونهيئ له حيزا من الجهد في أثناء الأشغال وصخب الحركة.

لم يمسكنا العجز من كسل ولم يسكتنا الدهر من عياء فالمؤرخ ديدنه الرواية وهمه الكتابة، ولا يزال يبعث الماضي في الحاضر إمعانا في البحث، وإسهاما في المعرفة، وما تزال شهوة الباحثين، وسلوة المفكرين، يجعلونها معطى الحقائق حينا، وحينا يسومونها شك المنهج، وهي بين هذا وذاك ظاهرة بين أيديهم، قائمة بين ظهرانيهم، لا تستوي معرفة إلا من خلالها، ولا يقوم دليل إلا من جانبها.

وما كان للدهور أن تسكت لسان التاريخ- وأنى له ذلك- فلولا التاريخ لم يكن الدهر إلا صورة متحولة، وحالة عابرة. ولولا التاريخ لم يكن الزمن إلا أفلاكا متجولة وأجراما سائرة.

التاريخ نص على الزمن حينما يُسيّرُ الإنسان روايته، وتمضي وقائعه من خلال الإنسان ليمنحنا المعنى الذي يحولها إلى مادة التعقل المؤطر بمعطى قيم الزمن، وغائية الوجود.

إن هذا العدد يصل قديم الموضوعات بجديدها، ذلك أن التاريخ وحدة لا تنفصم، وكلية لا تتجزأ، وأن الأقلام التي كتبت بالأمس ما زالت تكتب اليوم، ترفدها أقلام شابة دربت على البحث، واستوثقت من المنهج، وصارت تطمح إلى المشاركة في صناعة النص التاريخي بكل حيثياته وخصائصه.

وإن مجلتنا اليوم تحمل قيم التواصل بين الأقلام العتيدة التي أرست دعائم المقال التاريخي في كل توجهاته المنهجية، وأنهجت سبيل الكتابة التاريخية في كل تخصصاتها، والأقلام الناشئة التي تنهل من قديم درسته، وتنهد إلى جديد تشوفته.

فهي بذلك تجمع بين تقليد موروث وجديد مستحدث، تؤسس تقاليد الكتابة وتجدد أساليب التحليل، تحمل التطوير منهجيا، والتأصيل هما معرفيا، وبهما تكون صورة المقالة التاريخية التي تحرك البحث العلمي بمنصوص التاريخ ليربط الحفريات في الماضي بالاستشرافات في المستقبل.

ونحن إذ نخرج هذا العدد نستهدي العقول إلى النقد، ونستدعي الفهوم إلى المراجعة، ونطلب من الأقلام الجادة في البحث أن تشد أزرنا بما أتيح لها من نظر في حقائق التاريخ وحقول المعرفة، لنكون تراكمية الكم المعرفي الواجب للبحث العلمي، والكم المقالي الواجب للتأسيس المدرسي.

والله ولي التوفيق

الدكتور الحاج عيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة خاصة بمجلة دراسات تاريخية

ليس من السهل إنشاء مجلة مختصة بالتاريخ في الجزائر، ومن الصعب جدا استمرار صدورها، ذلك ان ظروف إنشائها تتغير وطاقمها قلما يستمر قائما عليها. وبذلك تتعرض لخطر التوقف بعد أن يكون القراء قد عرفوها، وكيف تعود وفي جبينها وصمة التوقف والعجز عن المقاومة.

وقد سبق أن أصدر قسم التاريخ عندما كان فرعا من فروع الإنسانية في جامعة الجزائر قبل تقسيمها- **مجلة دراسات تاريخية** بفضل إيمان ثلة من الأساتذة الذين يقدرون رسالتهم العلمية. ورغم أن المثبطين كانوا أكثر من المشجعين فإن المجلة استطاعت أن تصمد وأن تواصل طريقها في الصدور. ذلك أن بلادنا ما تزال تؤمن بمبدأ "لا تدعه يعمل" حتى لا يفوز وحده بجائزة البحث العلمي ولا يجني ثمرة الإبداع، فإذا خاب قالوا عنه: إنسان فاشل لا يعتمد عليه، وإذا نجح حاولوا اللحاق به وثنيه عن الاستمرار، لأن المتقاعدين لا يعملون ويضيرهم أن يعمل غيرهم.

لذلك تعرضت المجلة للرفع والخفض والنصب والجزم حتى توقفت بعض الوقت عن الصدور ونجح المتقاعدون والمتخاذلون في وقف مسيرتها بعض الوقت. وأكبر أزمة تصاب بها مجلة هي: نضوب البحوث وشح المال وهزيمة الإرادة، ذلك أن أية مجلة متخصصة لا

يتحكم فيها المساهمون في البحوث وحدهم ولكن الذين يدفعون أجـور المطبعة والتوزيع، وما إلى ذلك.

كانت **مجلة دراسات تاريخية** تختفي ثم تظهر كضوء فنار في ليل دامس لكي يدل السارين والسـاربين في البحـر ويرشـدهم إلى أقـرب شـواطئ واقتراب العمران، وكان المساهمون المتحمسون في بحوثها يكتفـون غالبـا –وبعد إلحاح– بتقديم بحث قصير أو مذكرة صغيرة عن رسالة نالوها أو عمل يريدون أن يشفع لهم يوم اسـتحقاق الترقيـة، ونكـاد نقـول إنـه لا أحد منهم يبحث من أجـل البحـث في حـدّ ذاتـه ومـن أجـل أن يتقـدم الوطن المتطلع إلى جهودهم.

ومن حسن الحظ أن علماء الخير ما زالوا في الميـدان، وهـا هـي **مجلـة دراسات تاريخية** ترجع في ثوب جديد لتكون مرآة لأساتذة قسم التاريخ بعد أن تغيرت معالمه وطاقمه وانتماؤه إلى جامعة تحمل اسما جديدا هي جامعة الجزائر (2) ذات البعد التـاريخي والإنسـاني واللغـوي والأدبـي. ولا شك أن إدارة الجامعة الجديدة ستحنو عليها وتمنحها ما تحتاجـه مـن حضانة وتعاطف.

ولا يسعني هنا إلا أن أشكر "الجيل" الجديد من الأساتذة الـذين أخـذوا على عاتقهم إعادة المجلة إلى قرائهـا وبـنفس الاسـم متحـدين العقبـات، سالكين طريق منشئيها الأولون وروادها الأكرمين، إنها اليـوم تصـدر في ظروف البحث العلمـي الجديـدة وقـد نضـج الفكـر وكثـر التنـافس في الميدان ليس فقط على المسـتوى المحلـي- الـوطني ولكـن علـى المسـتوى القومي-الإقليمي، بل الدولي أيضا.

فعلى الأساتذة المسـاهمين أن يـدركوا وضـعهم الـدقيق ومـا ينتظـره مـنهم الـوطن وأهـل الاختصـاص، وألا يكونـوا محلـيين في معـالجتهم

لموضوعاتهم البحثية لأن من ميزات المؤرخ الثقة هي أن يكون علميا إنسانيا عقلانيا، وليتأكدوا أن ما يقدمونه من جهد وعناء من أجل عودة مجلتهم إلى الساحة العلمية لم يعد مهمة شخصية فقط بل هو واجب وطني ووجه لإثبات الجدارة في حقل الاختراع والتقدم الصناعي والزراعي والتكنولوجي.

أ.د/ أبو القاسم سعد الله

25 **ديسمبر** 2011

أستاذ التعليم العالي، جامعة الجزائر (2)

في انتظار المولود الجديد
مجلة الدراسات التاريخية لقسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة بوزريعة (الجزائر 2)
في سلسلتها الجديدة

لقد غمرني السرور وأحسست بالانشراح عندما أبلغني الأستاذ الدكتور الحاج عيفة، رئيس قسم التاريخ، اعتزام القسم -بتشجيع من الكلية ورعاية من الجامعة- مواصلة إصدار مجلة الدراسات التاريخية في سلسلتها الثانية، بعد أن انقطعت، بفعل عوامل مختلفة، عن الظهور منذ اثني عشر سنة.

لقد عايشت مجلة الدراسات التاريخية منذ إصدارها إلى غاية توقفها (العدد الأول/ 1986 وإلى العدد الأخير المزدوج 11-12/ 2000)، فظل غيابها بالنسبة لي بمثابة الابن الذي طال انتظار عودته، ولعل هذا ما دفعني إلى تثمين هذا المسعى من رئيس قسم التاريخ ومعاونيه لإصدارها، وألزمت نفسي بتقديم ما قد يساعد على ترقيتها، بعد أن تحسست صدق الطوية والرغبة الجادة في طلائع الجيل الجديد من المؤرخين، ولمست طموح غالبيتهم في ممارسة تجربتهم الخاصة ومواصلة مشوارهم العلمي.

إن الآمال معقودة على إصدار مجلة الدراسات التاريخية في سلسلتها الجديدة، ولعلي لا أجانب الصواب إن قلت بأن مهمتها شاقة وطريقها صعب، ولكن نتائجها ستعود بالخير على الجميع، بل تصبح بفعل المستوى الأكاديمي المرجو والمنهج الأكاديمي المأمول والدقة العلمية المتوخاة، اللسان المعبر عن تطلعات المؤرخ الجزائري والحلقة المكملة للنشريات العلمية الأخرى، خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

لقد كان التراكم المعرفي، الذي تمثل فيما نُشر من أعمال في الأعداد الاثني عشر، مصدر غبطة لي، لأنه الوسيلة المـُثلى، في نظري، التي تُحقق الغاية التي سعيت إليها من خلال إصدار المجلة، وهي استعادة الوعي بالتاريخ وامتلاك وسيلة التعبير عنه، والتي أشرت إليها في تقديم العدد الأخير بهذه العبارة: "إن سعينا من مجلة الدراسات التاريخية هو جعلها منطلقا صحيحا للوعي برسالة المؤرخ، ووسيلة صادقة لرصد تطلعات الباحث، ليُصبح اختلاف التصور تطوراً، وتعدد المواقف ثراءًا، وتضارب الرؤى حقائق حضارية، وتباين الأفكار وتعدد التحاليل سياجا يقينا المظاهر المرضية التي تتربص بالمؤرخ وفي مقدمتها الميول السياسية الآنية والمواقف الإيديولوجية الظرفية والمصالح الشخصية الضيقة."

وفي هذا المجال لا يفوتني أن أسجل في هذه الكلمة أن مكانتها وقيمتها مرهونة بتحقيق ثلاثة أهداف علمية: الأول مواصلة المجلة لرسالتها العلمية في مجال المعرفة التاريخية، بعيدا عن الذاتية والاقصاء والانغلاق؛ والثاني تحقيق التواصل مع الوسط التاريخي بجيله القديم وعناصره المخضرمة وطلائعه المستجدة، فيتواصل الجيل القديم بتجربته وخبرته مع الجيل الجديد بطاقاته و حيويته ، بحيث تُلغى القطيعة التي ظلت تطبع التفاعل الثقافي في الأوساط العلمية في الجزائر؛ أما الهدف الثالث

فهو مساهمة المجلة في تهيئة الظروف لانطلاقة جديدة في مجال البحث التاريخي كفيلة بصقل وشحذ ورعاية طاقات الجيل الشاب من الباحثين الذين يمتلكون القدرة على استعمال السلاح ولكنهم قد يفتقرون- بحكم حداثة التجربة -إلى المهارة في استعماله.

كل هذه التوجهات تفرض عليَّ في هذه الكلمة أن أقتبس فقرات من مقال صدر لي في العدد الأخير من مجلة الدراسات التاريخية قبل توقفها (العدد 11-12/ 2000، ص ص. 155-166)،، بعنوان "تجربتي مع مجلة الدراسات التاريخية" ، لكونه يقدم تجربة ويعرض أفكاراً قد تفيد القائمين على إصدار السلسلة الجديدة من هذه المجلة، عملا بالمقولة التاريخية وهي أن أحداث التاريخ لا تعيد نفسها وإنما تعدل سياقها، لكون البناء الحضاري اليوم يقوم على تراكم المعرفة وتواصلها والرقي بها، وليس البدء من جديد في كل مرة ونسيان ما تحقق والتنكر لما أُنجز، كما هو الحال في أغلب المبادرات الثقافية في الجزائر والبلاد العربية.

وقد جاء في تلك الكلمة التي ودعت بها العدد الأخير من المجلة ملاحظات عديدة نقتطف منها هذه الفقرات (("كانت مجلة الدراسات التاريخية في عددها الأول كالمولود الذي يحمل السرور مع قدومه، وكانت في عددها الأخير من هذه السلسلة كالشاب اليافع الذي يصبح وداعه أمرا لا مناص منه، لكن بين قدوم المولود ومغادرة الشاب قصة ممتعة ومفيدة. لقد احتلت مجلة الدراسات التاريخية بأعدادها الاثني عشر حيزا من اهتماماتي وجانبا من انشغالاتي، فغدت لي مع تعاقب السنوات بمثابة الصديق وبمنزلة الرفيق، فتحول الجهد الذي تتطلبه إلى هواية تخفف عني ثقل الأعباء الإدارية عندما كنت مديرا لمعهد التاريخ، كما كانت نافذة تصلني بالآخرين عندما عدت إلى مهنة التدريس، أو توليت رئاسة مجلس البحث العلمي لمعهد التاريخ؛ فطيلة تلك المدة التي

ناهزت الثلاثة عشر سنة، ظلت صلتي بمجلة الدراسـات التاريخيـة قائمـة على ضرورة أداء واجب والالتزام بتقديم خدمة، كما كانـت نابعـة مـن رغبتي الشخصية في التعامل مع مجال يؤمن التواصل الثقـافي والمعـرفي في مجال التاريخ، بما فيه من إحباط وحوافز، وسلبيات وإيجابيات.

بغض النظر عن الحصيلة العلمية لهذه المجلة، والـتي هـي خاضـعة لحكـم القراء عليها وتقييمهم لها، فإن إصدار أعدادها الاثني عشـر، في إطـار عمـل منظم وتوجه أكاديمي، يشكل في حد ذاته تحـديا لواقـع صـعب ومغـامرة في فضاء معرفي يطبع الواقع الثقافي الجزائري الذي تتغلب فيـه عوامـل الهـدم على أدوات البنـاء، ودواعـي الفشـل علـى أسـباب النجـاح، حتـى يخـال للملاحظ أن مواجهة ذلك الواقـع والتصـدي لـه نـوع مـن إهـدار الجهـد وتعذيب النفس، قد لا نجد له تعبيرا أحسن من قول الشاعر:

متـى يبلغ البيان يوما تمامـــه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

إن هذا الوضـع... هـو نتيجـة منطقيـة للأوضـاع الصـعبة الـتي ظـل يواجهها النشر العلمي في الجزائر، والمتمثلة خاصـة في شـح الإمكانيـات المادية والحوافز الأدبية وفي غياب الإطـار العلمـي الموجـه للمجلـة، ممـا جعل استمرار العديد من المجلات، في حـد ذاتـه، متوقفـا علـى تشـجيع إدارة الجامعة ورعايتها، وعلى المبادرة الفردية للمكلفين بإصدارها.

هـذا وقـد تأكـد لـي مـن إصـدار مجلـة الدراسـات التاريخيـة تغلـب الصلاحيات الإدارية على المبادرة العلمية في مجالات تتطلب التخصـص الدقيق، ولعل هذا ما جعل إصـدار أغلـب المجـلات العلميـة في الجزائـر مرتبطا عادة مبادرة الإدارة، وبفعل هذا الواقع أصبحت إدارتها موكولـة لمديري المعاهد، وخضع إصدارها إلى الإمكانيات الماليـة أكثـر مـن كونـه يعود إلى عمل الهيئة العلميـة، فتعثـر في ظـل هـذا الوضـع إصـدار مجلـة الدراسات التاريخية مع كل تغيير في إدارة المعهد، وعرفت الهيئـة المشـرفة

تبديلا بتغير الطاقم الإداري للمعهد، وكان من المفترض أن نتجاوز هـذا الوضع بتوفير إدارة مستقلة للمجلة، تُشـرف علـى إصـدارها، وتُحـافظ على استمرارها، وتعمل على الارتقاء بها وتجاوز ما يؤخذ عليها.

وقد تبين لي من خلال العمل علـى إخـراج المجلـة، ومـا يتطلبـه مـن تعامل مع الجيل الشاب من الباحثين، صعوبة تواصل الأجيال في الميـدان العلمي، ومحدودية انتقال التجربة في مجال النشاط الثقافي خاصة، فأصبح اهتمام الجميع منصبا علـى فـرض الـذات بكتابـة المزيـد مـن الأبحـاث، وليس إلى الوصول بالعمل إلى مزيد من الاتقان عن طريق تقليد النماذج الجيدة من الإنتاج والعيِّنـات المبدعـة مـن الإسـهام التـاريخي؛ وهـذا مـا طرح، في غياب مبادرة هيئة التحرير مشكلة تقييم العروض والدراسـات وتصحيحها وتمحيصها، بـل أدى في أغلـب الأحيـان إلى انعـدام الرقابـة العلمية الضرورية على مـا يُنشـر في المجلـة، فـتم نشـر أغلـب البحـوث والعروض بدون تقييم علمي دقيق وتحوير جوهري مـن حيـث الشـكل والمضمون وحسب شروط البحث العلمي، فأصبح الحكم على ما يُنشـر في المجلة موكولا للقارئ في غياب المراقبة العلمية لما يُنشر فيها.

إن هذا الوضع جعل مسـاهمة الجيـل الصـاعد مـن المـؤرخين، رغـم توفرهم على طاقات مبدعة في البحث، في غياب التقاليد وانعـدام النقـد والتقييم، أشبه شيء بالشجرة التي تُترك بدون تلقيم وتطعـيم، يضـطرب نموها، ويصبح من الصعب الحصول علـى الثمـار المرجـوة منهـا، وهـي الإنتاج المتأني والكتابة المتفتحة والهادفة. فأغلبية الجيل الشاب مـن هيئـة التدريس لم تعد ترى في تجربة الآخرين شيئا ضروريا في تكوينها الفكري وفي نموها الثقافي، سواء من حيث استعمال اللغة والأسلوب أو التعامـل مع طريقة المعالجة وكيفية العرض، بعد أن تأكـدت لـديها هـذه القناعـة، بفعل ندرة العروض والمحاضرات الجيـدة وانتفـاء المناقشـات والقـراءات

النقدية الهادفة وبفعل غياب المثل وانعدام القـدوة في أغلـب الأحيـان.و تعمق السلوك الشعبوي أمام إشكاليات التـاريخ الـتي تتطلـب التحليـل الموضوعي و دخول عناصـر بعيـدة عـن الوسـط الجـامعي علـى الخـط لتفكك تلاحم الباحثين و تشتت جهودهم ...

لقد اتضح لـي مـن خـلال تعـاملي مـع مجلـة الدراسـات التاريخيـة، باعتبارها وسيلة تعبير كتابي يقوم على توظيف القلـم، محدوديـة تعامـل الذهنية الجزائرية مع التراث المكتوب وتقاليد النشـر العلمـي، فالتعامـل الشـفوي الـذي غلـب علـى نشـاط المثقـف الجزائـري، جعـل الكتابـة الأكاديمية، في حد ذاتها، معاناة نفسية وسلوكا شاذا لـدى الكـثيرين، ممـا أدى إلى تكريس وضع مزرٍ للإسهام التاريخي، فأصبح أغلب يتراوح بين الندرة والإقلال الذي لا يُشفي الغليل، وبين الإكثار والإسفاف إلى حـد الإسهال والهذيان، وهذا ما عمل على تكـريس الـرداءة وتوسـيع ثقـب الذاكرة... إن طغيـان الثقافـة الشـفوية في حياتنـا الجامعيـة، جعـل نقـد الكتابات المعبرة من يوميات تُدون وذكريات تُسجل غائبة عن اهتمامنـا، والبحوث التي تستجيب لتطلعات القارئ وتقوم على التحليـل ومجـاراة تطور الفكر ليس لها مكانة في نشاطنا، وبذلك اختفت المساهمات الجـادة والمعـبرة، وكـاد النشـاط العلمـي لغالبيـة البـاحثين الشـباب ينحصـر في تحضير رسالة قد لا ترى النور، أو إلقـاء دروس قـد لا يتجـاوز صـداها جدران قاعة التدريس.

كما أظهر لي العمل على إصدار مجلة الدراسات التاريخية نمو ظـاهرة الاستقلال في التعامل العلمي والفردية في العمل الثقافي لـدى الباحـث الجامعي الجزائري، وذلك يعود إلى الميل إلى محاولـة إثبـات الـذات علـى حساب الآخر، والنظر إلى الآخر باعتباره منافسا لا نُسلم بمكانته إلا مـن باب المجاملة أو عند الضـرورة، وهـذا مـا جعـل تشـكيل هيئـة التحريـر

وضبط أعضائها وتوزيع المهام بينهم، منذ العدد الأول من مجلة الدراسات التاريخية، شيئا صعبا إن لم يكن أمرا مستعصيا، مما انعكس سلبا على توزيع المادة للقراءة والتقييم.

إن ظاهرة نفي الآخر من أجل إثبات الذات، التي طبعت السلوك الجزائري وتأثر بها النشاط العلمي الجامعي تتحمل مسؤوليته المؤسسات الرسمية ، فهي تعود أساسا، في نظري، إلى كون الوسط الجامعي في الجزائر، بحكم التوجهات السياسية والسلوكيات الاجتماعية السائدة و تدخل الإيديولوجيين و السياسيين في الشأن الأكاديمي، مما جعله يفتقد إلى تقاليد الكتابة الأكاديمية، والاحتكام إلى حجة القلم، وفرض الذات عن طريق الإسهام المعرفي والتأليف العلمي، وهذا ما حال دون تواصل التجربة، وحد من اكتساب الجيل الجديد من الجامعيين تقنيات البحث، سواء عن طريق النماذج التي يقرأونها أو بواسطة الأشخاص الذين يحتكون بهم، الأمر الذي جعل العديد من المقالات بعيدة عن المقاييس المتعارف عليها في البحث الجامعي، فهي غالبا ما تكون غير مركزة في الفكرة وغير مترابطة في الأسلوب وغير واضحة في المعنى، لأنها لم تخضع للتحوير والتعديل والمراجعة والتصحيح الذي يُكتسب بالتجربة والمران والممارسة.

إن أغلب هذه الملاحظات والانطباعات عن تجربتي مع مجلة الدراسات التاريخية -و التي رأيت من المفيد إدراجها ضمن هذه الكلمة - تتجاوز في الواقع التجربة الشخصية مع مجلة الدراسات التاريخية، لكونها وصف لمعاناة المثقف الجامعي، وتعبير عن أبعاد أزمة الثقافة التاريخية في الجزائر، والتي نعتبرها مظهرا جزئيا لأزمة أكبر وأشمل وأعم، هي أزمة نمو وتحول وتطور الجزائر المعاصرة. ولعلي أكون موفقا فيما قمت به لو وجدت هذه الكلمات مكانها في السعي العام لمحاولة

فهم الواقع الثقافي والعمل على الرقي به إلى ما هو أحسن، لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذي ينقلنا، رغم صعوبته، من منزلة الرعايا في فكرنا إلى مستوى المواطنين في سلوكنا، ومن واقع الجمود والتأخر إلى ميدان التجديد والتقدم في عالمنا، ومن التعامل مع التاريخ من خلال العواطف إلى معالجة الماضي من خلال الوعي بالذات، فينطلق الفكر الجزائري من عقاله ليساهم في رسم آفاق مستقبل تكون فيه الجزائر رائدة في النهضة الثقافية، كما كانت قدوة في ثورتها التحريرية... فلا نهضة إلا بعد أزمة، ولا بناء إلا بعد هدم، ولا تجديد إلا بعد رفض، وهذا ما يؤكد إيماننا بإمكانية تغيير واقعنا العلمي ومحيطنا الثقافي وبيئتنا الجامعية إلى الأحسن... في عالم لم يعد فيه مكان سوى للجيد من الإنتاج، والمتميز من العمل، والمبتكر من الأفكار."

وفق الله القائمين على هذه المجلة والساعين لإعادة الحياة لها والرقي بها، لتحتل مكانتها في منظومة البحث الجامعي.

أ. د. ناصر الدين سعيدوني

بوزريعة في 25 **ديسمبر** 2011

الفهرس

بحوث ودراسات

أبو عبد الله عكرمة المغربي
مولى عبد الله بن عباس

د/ لطيفة بشاري (زوجة بن عميرة)

قسم التاريخ- جامعة الجزائر2- بوزريعة

نبغ بعض الموالي المغاربة بالمشرق، في مجالات عدّة، وأدّوا أدوارا هامّة، لفتت انتباه معاصريهم، ومن جاء بعدهم. وأثاروا تساؤلات كثيرة، دارت حولها نقاشات واسعة وسجلت لهم وعليهم مواقف مختلفة، من هؤلاء الموالي: عكرمة[1].

هو أبو عبد الله عكرمة، عبد بربري[2]، من أهل المغرب[3]، أو من سبيهم. ولم تحدد المصادر من أي جهة هو. وإذا كان من السبي فلا تعرف المعركة التي تمّ سبيه فيها.

وصل المدينة، فاشتراه عبد الله بن عباس[4]، أو وهبه له والي البصرة الحصين بن أبي الحرّ العنبري[5]. فسماه بأسماء العرب[6]، وكنّاه بأبي عبد الله[7]. وعلّمه القرآن والسنن[8]. فتفوّق على غيره من موالي سيده. وتحدّث كثيرا عن غزارة علمه، مبرّرا ذلك بجواب سعيد بن جبير لمّا سئل عمّن أعلم منه، فقال: "**عكرمة**"[9]. وأضاف: "هذا البحر فسلوه"[10].

ولمّا سأل ابن جريج أيوباً: " هل كتبتم عن عكرمة (يقصد أهل مصر) فقيل له: "لا! فأجاب: " فاتكم ثلثا العلم"[11].

وصُنِّفَ عكرمة من أهل العلم وفقهاء مكّـة، وتابعيهـا الأربعـة[12]. وذاع صيته. فقيل عنه يوم وفاته، مات أعلم النّاس[13].

وكان عكرمة يروي مغازي الرسـول ﷺ، كأنّـه يشـرف علـى أصـحابه، ويراهم، وهم يقتتلون[14].

كما كان عكرمة أحد أعلام التّفسير[15]. وهـو علـم يهـتم بشـرح معـاني الآيات، وتعريف أسباب نزولها، وترتيب مكيها ومدنيها، وتوضـيح محكمهـا ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وبيـان حلالهـا وحرامهـا، وشـرح وعـدها ووعيدها، وذكر أمرها ونهيها، وتفصيل القصص الذي ورد في القـرآن. كـلّ هذا يتطلّب من المفسر أن يتحكّم إن لم نقـل يتبحّـر في علـوم مكمّلـة منهـا: اللّغة، والنحو والصرف، والبيان، وأصول الفقه والقراءات[16].

وقد شهد الشّعبي لعكرمة بتفوقه في هذا العلم بقوله: «ما بقي أحد أعلـم بكتاب الله من عكرمة»[17]. وقال الثّوري: «خذوا التّفسير من أربعة» ذكر من بينهم عكرمة[18].

وسئل أبو حاتم الرّازي عـن عكرمـة وسـعيد بـن جـبير[19]، أيّهمـا أعلـم بالتفسير؟ فأجاب: «أصحاب عبد الله بـن عبـاس عيـال علـى عكرمـة»[20]. وتحدّث عنه قتادة بن دعامة قائلا: «لا تسألوا هذا العبد إلاّ عن القرآن»[21].

وكأنّه لتبحره فيه لم يكن يعرف علما غيره، ويؤكد أيوب ذلك عندما ذكـر أن «الحسن (بن أبي الحسن) ترك كثيرا مـن التّفسـير حـين دخـل... عكرمـة البصرة...»[22].

وكان يجتهد في تفسير آي القرآن بين يدي مولاه. فقد قرأ عليه يومـا قـول الله تعالى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[23]. ولم يستطع

عبد الله بن عباس تأويل هذه الآية، ولم يدر هل نجا القوم أم هلكوا. فاجتهد عكرمة، واستطاع أن يقنع سيّده بالبيّنة أنّهم نجوا[24].

وأذن له سيّده بالفتوى[25]، حيث قال له: «انطلق فافت النّاس»، فكان يقول: «كنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدّار»[26].

ويبدو من خلال ما أورده الذّهبي أنّه كان نبيها، سريع البديهة فقد ذكر أنّ عكرمة سمع رجلا يقول لغلامه: «إن لم أجلدك مائة صوت فامرأتي طالق، فقال لا يجلد غلامه ولا تطلق امرأته، هذه من خطوات الشّيطان، وذكر ذلك في تفسيره الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[27].

وروى عكرمة أحاديث كثيرة عن مولاه عبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخضري، والحسن بن علي. وشكّك بعضهم في روايته عن عائشة أم المؤمنين، ففي حين يؤكّد البخاري وأبو داوود السجستاني أنّه روى عنها، ينفي ذلك عبد الرحمن بن معين، ويتردّد الرّازي، فينفي مرّة ثمّ يثبت أخرى.

وقد أخرج البخاري في صحيحه ثلاثة أحاديث رواها عكرمة عن أمّ المؤمنين عائشة. وأخرج حديثه عنها، أبو داوود السجستاني، وأبو عيسى التّرمذي، وأبو عبد الرحمن النّسائي، وأبو عبد الله بن يزيد بن ماجة القزويني.

وروى عنه كثير من التّابعين منهم الشّعبي[28]، و"وجوه البلدان، من مكي، ومدنيّ وكوفيّ، وبصري" وقال النيسابوري «حدّث عكرمة بالحرمين، ومصر، واليمن، والشّام والعراق وخراسان. فأمّا أهل الحرمين من التّابعين فقد أكثروا الرّواية عنه...»[29]، وَلقب بعكرمة المحدّث.

وثّقه البعض مثل الإمام أحمد بن حنبل[30] واحتجّ بحديثه الإمام البخاري وقال عنه: «ليس أحد من أصحابنا إلاّ احتجّ بعكرمة...»[31]، وزاد عنه أبو

جعفر بن جرير الطبري بقوله: «كان عكرمة لا يدفعه أحد نعلمه عن التقدم في العلم بالفقه والقرآن وتأويله، وكثرة الروايات للآثار[32]. ويرى الإصبهاني أن الأئمة احتجوا بعكرمة بما انفرد به من أحاديث في الصفات والسّنن والأحكام[33]. كما أثبته أصحاب الطّبقات»[34].

وضعّفه آخرون، كالإمام مالك، الذي روى له حديثا أو حديثين[35] فقط. فهو لا يرى أنّه ثقة، وكان يأمر أن لا يؤخذ عنه. ولعلّ ما يبرّر رفض الإمام مالك الاحتجاج بأحاديثه، أنّ سعيد بن المسيب كان يرميه بالكذب. أو لما أشيع عنه من انتسابه للصفرية.

وتجنّبه البعض، كأبي الحسين بن مسلم بن الحجاج النيسابوري، الذي كان أسوأ رأيا فيه من غيره[36]. فلم يخرج له سوى حديث واحد في الحج وكان اسمه مقرونا بسعيد بن جبير وربما يكون تركه لرأي الإمام مالك فيه.

وقد دخل عكرمة إفريقية[37]. وأقام بالقيروان، ودرس بجامعها، وقد ذكر بعضهم أنّه كان يجلس غربي المنارة[38] لتلقين طلبته. فعلم عددا كبيرا من أبناء البلاد.

وكان حسب البعض يرى رأي الخوارج[39]. وعدّه هؤلاء من الأوائل الذين أدخلوا المذهب الصفري إلى بلاد المغرب. وحجّتهم في ذلك أنّ عكرمة دخل القيروان صحبة مسلمة بن سعيد، أوّل دعاة الإباضية بها، على بعير واحد. غير أنّه لا يوجد دليل يثبت صحّة هذه الرّواية. كما أنّه لا يمكن الجزم بأن "زعماء الصّفرية الأوائل بالمغرب مثل ميسرة المطغري وأبي القاسم سمكو بن واسول، وأبي قرّة دوناس اليفرني درسوا عليه وأخذوا المذهب عنه"[40]. ولم يصرّح أحدهم أنّه تلقّى مبادئ الدّعوة الصّفرية على عكرمة أو وصلته من أحد تلاميذه.

وتضيف الرّواية، بأنّ عكرمة كان داعية نشيطا، ماهرا في تبليـغ آرائـه، إلاّ أنّ المصادر لم تسجّل أنّه كان يتنقل بين مختلف مناطق الـبلاد المغربيـة، لنشـر هذه الأفكار ولم تتحدّث عن أسباب اعتناقه هذا المذهب، ولم تتطرّق للحجج التي كان يقدّمها ليقنع النّاس باتّباعه. وكان المذهب الصّفري قـد انتشـر بـين عدد كبير من البربر[41] الذين ثاروا في طنجة بالمغرب الأقصى بقيـادة ميسـرة المدغري ضدّ السلطة الأموية، ومنه انتقلت إلى المغرب الأوسط[42].

وهذه الثّورة انطلقت بعد عـودة عكرمـة إلى المشـرق بسـنوات، وأسـبابها معروفة[43]، لا علاقة لها بهذا الرّجل، كما أنّه لم يؤثر عنه معارضـته لسياسـة الأمويين، ولم يسجل له نشاط سياسي قط في المشرق.

والرفقة في السّفر لا تعني بالضّرورة الاتّفاق في المذهب. فالرّحلة من المشـرق إلى المغرب طويلة، وتجمـع الكـثير مـن المسـافرين، ثـمّ إنّ الـدّعاة، مـن مختلـف المذاهب سواء كانوا إباضية أو صفرية أو شيعة، لا يبيحون بانتماءاتهم المذهبيـة، قبل الوصول إلى المكان الذي قصدوه، وقبل أن يؤمنوا حياتهم- ويبدو واضـحا أنّ المصادر التي أوردت خبر دخول عكرمـة إفريقيـة صـحبة سـلمة بـن سـعيد، ذكرت أنّ هذا الأخير إباضي وليس صفريا. فكيف يكون ذلـك دلـيلا علـى أنّ عكرمة زعيم الصّفرية وأوّل دعاتها في بلاد المغرب، إلاّ إذا كـان أصـحاب هـذا الرّأي قرنوا بين الرّتبتين، فعدّوا عكرمة أول دعاة الصفرية لأنّ سلمة بـن سـعيد أوّل دعاة الإباضية، وهذه حجة واهية.

كما أنّ الذين عرفوه في المدينة، لم يذكروا ميله لمذهب الخوارج، أو انتماءه لفرقة من الفرق. بالرّغم من كلّ ما رُمي بـه. كمـا أنّ المصـادر المغربيـة الـتي تحدّثت عن إقامته بالقيروان، لم تذكر له نشاطا دعويا، ولم يوصف بالدّاعية.

ولعلّ انتماء عكرمة لبلاد المغرب، وعلمه الغزير، ونبوغه في علوم القـرآن والحديث، والمغازي، جعل الخوارج عموما، والصّفرية خصوصا، يدّعون أنّـه

زعيمهم في هذه البلاد. وكانت طريقتهم في نشر دعوتهم تعتمد على "الدّين وحده، وهو أحسن شيء يتّفق مع ميزاج البربر"[44].

وزعمهم أنّ عكرمة لقّن مبادئ الصّفرية إلى تلاميذه في إفريقية، فمثل هذا الزّعم يجعل كلّ من تتلمذ عليه صفريا، فيتوهم النّاس أنّ عددهم كبير، وأنّهم منتشرون في ربوع بلاد المغرب لأنّ القيروان كانت محطّ رحال كلّ من يطلب العلم قبل سفره إلى المشرق. فيتشجّع النّاس، ويميلون إلى هذا المذهب.

زد على ذلك أنّ المصادر التي تحدّثت عن عكرمة، وذكرت انتقاله إلى إفريقية لم تحدّد أسباب وأهداف هذه الرّحلة، واكتفت بالقول انّه كان يدرّس بجامع القيروان. ولم تلق الضّوء على الدروس التي كان يُلقيها، ولم تذكر أسماء تلاميذه. كما غفلت عن ذكر تاريخ دخوله إفريقية وتاريخ عودته منها إلى الشّرق، فهي لم تتعرّض لأسباب تلك العودة.

ويدحض المنذري ما نسب إلى عكرمة من انتمائه إلى مذهب الصّفرية بقوله: "فإنّه لو كان كلُّ من ادُّعِيَ عليه مذهبٌ من المذاهب الرّديئة ونحلة ثبت عليه ما ادُّعِيَ عليه من ذلك ونُحِلَهُ ـ يجب علينا إسقاط عدالته وإبطال شهادته، وترك الاحتجاج بروايته ـ لزمنا ترك الاحتجاج برواية كل من نُقل عنه أثرٌ من مُحدّثي الأمصار كلّها؛ لأنّه لا أحد منهم إلاّ وقد نسبه ناسبون إلى ما يرغب به عنه قوم، ويرتضيه له آخرون".

وقد رُميَ عكرمة بالكذب في المدينة بعد موت سيّده. فشهد بعضهم[45] أنّه رآه موثقا على باب[46]. فسأل مولاه علي بن عبد الله بن عبّاس، عن سبب ذلك، فأجاب بأنّه يكذبُ على أبيه[47]. غير أنّ المصادر لم تذكر مواطن الكذب، واكتفت بتسجيل ما ورد على لسان عبد الله بن عمر بن الخطّاب الذي نهى مولاه نافعا قائلا: "لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على عبد الله بن عباس". وحتى هذا القول فيه شكّ. لأنّ الإمام مالك نفى أن يكون له

علم به ونسب مثل هذا الكلام لغير ابـن عمـر قـائلا: " لا! ولكـن بلغـني أنّ سعيد بن المسيّب قال ذلك لبُردٍ مولاه"[48].

فهذه شهادات اختلفـت في هويـة الشّـخص المـتّهم بالكـذب ولا يوجـد مصدر يؤكّد نسبتها إلى عكرمـة. ويبـدو أنّ المـتّهمين في الحـديثين المـذكورين عبدان مملوكان. وقد تفطّن أبو جعفر محمـد بـن جريـر الطـبري لـذلك، وردّ تهمة الكذب التي ألصقت بعكرمة والصّواب في رأيه أنّ هذا الرجل ممن شهر في المسلمين بالصلاح والستر، وأنّه جائز الشهادة مستحق لوصف العدالة من أهل الإسلام ولا يدفع ذو علم بعكرمة، ومعرفة بمولاه عبد الله بـن عبـاس، أنّ عكرمة كان... لابن عباس مملوكا، بل كان من خـواص مماليكـه، وأنّـه لم يزل في ملكه حتى مضى لسبيله، رحمه الله تعالى، مع علمه بـه وبموضـعه مـن العلم بالقرآن وتأويله، وشرائع الإسلام، وأحكامه، وأنّه لم يُحدث له إخراجا عن مِلكِهِ ببيع ولا هِبةٍ؛ بل ذكر عنه أنه ربما استثبته في الشيء، ثم يستصـوب فيه قوله[49]».

كما أنه لم يؤثر على عبد الله بن عباس أنه لاحظ عليه تصرفا أو مـا يـدل على كذب مولاه أو ميوله إلى آراء مخالفة لأهل السنة، أو علـى الأقـل نوعـا من الانسياق وراء ما راج من أفكار الداعين إلى الخروج عن الجماعـة. فـابن عباس حافظ على عكرمة وحياته. ولم تسجل المصادر أنه أبعده أو حذر مـن أقواله أو أفعاله، بل شجعه على الخروج للناس وافتائهم في الدين. ولا يمكن لمن رمي بالكذب أن يتحمّل مسـؤولية مثـل هـذه. وقـد أضـاف أبـو جريـر الطبري. "ولو كان ابن عباس اطلـع منـه علـى أمـر في طـول مكثـه في ملكـه مذموم، أو مذهب في الدين مكروه، لكان حريـا أن يكـون قـد أخرجـه عـن ملكه، أو عاقبه بما يكون له من مذهبه، أو فعله، أو يتقدّم إلى أصحابه بالحذر منه، ومن روايته، وأعلمهم من حاله التي اطلـع منـه عليهـا مـا يوجـب لهـم بالحذر منه والأخذ عنه"[50].

وعندما بلغ عكرمة، حسب بعض المصادر، أنه رمي بالكذب، دافع عن نفسه محدثا أيوبا: "أرأيت هؤلاء الذين يكذّبوني من خلفي، ألا يكذّبوني في وجهي؟ فإذا كذّبوني في وجهي، فقد كذبوني"[51]. ولعل هذا يقوم دليلا على أن اتهام عكرمة بالكذب جاء بعد وفاة مولاه عبد الله بن عباس، لأنه لو كان حيا لاحتمى به، وشكاه هؤلاء، كما أن قول عكرمة هذا يعني أنه لا حجة لهؤلاء.

ووُصف عكرمة بقلّة العقل، والخفة[52]، لأنه كان حسب روايات بعض من عاصروه يتحول من موضوع لآخر، لا يمت له بصلة، في جلسة واحدة، كما كان يرفض القيام بشيء كأن يحدّث جلسائه ثم يعود فيقوم بذلك[53].

وتركه بعض أصحابه لأنه أعجب بصوت مغنّ[54]. روي أنه كان في مدينة البصرة وسمع صوت غناء، فقال: «ما أجود ما غنّى»[55]. فانفضّ عنه جلساؤه، الذين اجتمعوا حوله ليلقنّهم الحديث.

كما آخذ عليه، بعض من عاصره قبوله جوائز الأمراء، فعكرمة كان كثير التطواف في البلدان ولما نزل أصبهان، أجازه واليها بثلاثة آلاف دينار، وربما كان عكرمة يقصد الأمراء للتكسّب؛ فقد شهد عبد العزيز بن أبي روّاد أنه رأى عكرمة في نيسابور، ولما سأله عن سبب وجوده هناك، أجابه بأنه يسعى على عياله[56]. ولعلّ هذا ما دفع الرجل إلى التنقل بين ولايات البلاد المختلفة كخراسان، وأصبهان، واليمن، ومصر، وإفريقية، فهو عبد لا يملك شيئا، إلاّ علمه وتقدمت به السن عندما أعتقه مولاه علي بن عبد الله بن عباس، فكان يسعى لكسب رزق عياله عن طريق التدريس، وما يقدمه له بعض الأمراء. زيادة على ذلك فإن جمهور أهل العلم أجازوا قبول جوائز العلماء، ولا يقدح إلاّ عند أهل التشديد.

ولما مات عبد الله بن عباس، باع ابنه علي، مولاه عكرمة، فاشتراه منه خالد بن يزيد بن معاوية، بأربعة آلاف دينار، فتوجه إليه عكرمة، وقال له:

«مـا خـير لـك، بعـت علـم أبيـك بأربعـة آلاف دينـار، فاسـتقا لـه (ردّه)....وأعتقه»[57].

((ـــ)) وتـوفي في المدينـة، حـوالي سـنة 105هــ[58]/ (723-724م) وعمـره ثمانون عاما[59]. فقيل عنه يوم وفاته، مات أعلم الناس[60]. وذكر الذهبي أنه لم يشهد جنازته إلاّ سودان المدينة[61].

كان عكرمة عبد، بربري، مغربي، دخل المشرق، ملكه عبد الله بن عباس، وعلمه القرآن والسنن، فنبغ فيهما، وأصبح مرجعا للفقهاء، وقرّظه كثير مـن الصحابة، والتابعين واحتج به الأئمة وأصحاب السنن، وتركه بعضهم.

جال في البلاد، وسعى لدى الأمراء كسبا لقوت عياله ودرّس وأفتى، رغم ما رمي به من انتمائه للخوارج الصفرية، ومن اتهامه بالكـذب علـى مـولاه دون حجج وأدلة. ومات بالمدينة عن عمر يناهز الثّمانين.

الهوامش:

---

[1] كان عبد الله بن عباس يطلق على مواليه أسماء عربيـة، والعكرمـة هـي الأنثـى مـن الحمام (المنذري عبد العظيم بن عبد القوي: 581-656هـ): ذكر حال عكرمـة مـولى عبـد الله بن عباس وما قيل فيه، رواية أبي القاسم عبيد الله بن أبي عبد الله محمد بن عثمان بن علي بن سليمان الزرزاري، اعتنى به نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشـائر الإسـلامية، 1421هـ/ 2000م، ص. 16.

[2] أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت سنة 333هـ/ 944م): **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الـدار التونسـية للنشـر، تونس، 1968، ص 230؛ ابن عماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحـي (ت سـنة 1089هــ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربـي، بـيروت، (بدون تاريخ)، مج 1، ص 130.

[3] ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن إبراهيم الشافعي (توفي سنة 681هـ/ 1281م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م، مج. 3، ص. 265.

[4] المالكي (أبو بكر بن عبد الله بن أبي عبد الله (القرن 5هـ/ 11م): **رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم**، تحقيق ونشر حسين مؤنس، القاهرة، 1951م، جـ. 1، ص. 93- 94.

[5] ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (773- 852هـ): **كتاب تهذيب التّهذيب**، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/ 1995م، مج. 5، ص. 630، تولاها لعلي بن أبي طالب (نفسه).

[6] المنذري، **المصدر السابق**، ص. 16.

[7] نفسه، أو هو أبو عبد الله المدني (ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، مج 5، ص 630).

[8] قال عكرمة: كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل (القيد)، ويُعلّمني القرآن، والسنن، والفقه (أنظر ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد): **الطبقات الكبرى**، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 2، 1418هـ/ 1997م، مج 2، ص294؛ الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفي سنة 748هـ): **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بدون تاريخ)، مج 3، ص 95.

[9] ابن سعد، المصدر السابق، مج 2، ص 294؛ الذهبي، **المصدر السابق**، مج3، ص93؛ ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ 5، ص632؛ ابن خلكان، المصدر السابق، مج 3، ص256.

[10] ابن سعد، المصدر السابق، مج 2، ص294؛ ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ 5، ص 632؛ الذهبي، **المصدر السابق**، مج 3، ص93؛ وقال شهر بن حوشب إنّ مولى ابن عباس حبر هذه الأمة (ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ 5، ص 631؛ المنذري، المصدر السابق، ص 36).

[11] ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ 5، ص 633.

[12] وهم عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير والحسن ابن أبي الحسن، أمّا الأول فكان أعلمهم بالمناسك، وكان الثاني أعلمهم بتفسير القرآن، وكان الحسن بن أبي الحسن أعلمهم بالحلال والحرام، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة الرسول ﷺ. (المنذري، **المصدر السابق**، ص 23- 24).

[13] المالكي، المصدر السابق، جـ. 1، ص. 93.

[14] أبو العرب، **المصدر السابق**، ص 82- 83؛ المالكي، **المصدر السابق**، جـ 1، ص93؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج3، ص 265؛ ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ5، ص631- 632؛ المنذري، **المصدر السابق**، ص 24.

[15] أبو العرب، المصدر السابق، ص 82-83؛ المالكي، **المصدر السابق**، جـ 1، ص 93؛ الذهبي، **المصدر السابق**، مج 3، ص 93؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 5، ص 632.

[16] عن علوم القرآن أنظر: الزركشي، (بدر الدين محمد بن عبد الله): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الجيل، بيروت، 1988، جـ 1، ص 204.

[17] الذهبي، **المصدر السابق**، مج 3، ص 95.

[18] ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ 5، ص 633؛ والثلاثة الآخرون هم: سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك (المنذري، المصدر السابق، ص 25).

[19] كان سعيد بن جبير من أعلم الناس بتفسير القرآن وتأويله، وبالحلال والحرام، والشّرائع: ولما سئل:«هل بقي أحد أعلم منه في هذا المجال، أجاب:«نعم! عكرمة» (أنظر: المنذري، **المصدر السابق**، ص. 35).

[20] المنذري، **المصدر السابق**، ص. 22.

[21] نفس المصدر، ص. 24.

[22] وكان الحسن قد توقف عن التفسير لما قدم عكرمة مدينة البصرة، (المنذري، **المصدر السابق**، ص. 24).

[23] سورة الأعراف، الآية. 164.

[24] فكساه مولاه حلة جزاء له (أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التّهذيب**، جـ 3، ص 265-266).

[25] الذّهبي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص 95.

[26] ابن خلكان، المصدر السابق، مج. 3، ص 265؛ ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج 1، ص 130؛ ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ5، ص631.

[27] سورة البقرة، الآية. 208.

[28] المالكي، **المصدر السابق**، جـ 1، ص93؛ أبو العرب، **المصدر السابق**، ص 82– 83؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج 3، ص 265؛ ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، ص630– 631.

[29] أنظر: المنذري، **المصدر السابق**، ص. 16 وهنا وهناك.

[30] المنذري، **المصدر السابق**، ص. 21.

[31] نفس المصدر، ص. 18.

[32] نفس المصدر، ص. 19.

[33] عن هذا الموضوع أنظر: المنذري، **المصدر السابق**، ص. 20.

[34] حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مكتبة المنار، تونس، 1964، ص. 106.

[35] أبو العرب، المصدر السابق، ص. 82– 83؛ المالكي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 93؛ مال الإمام مالك إلى حديث عكرمة في كتاب الحج، وترك رواية عطاء في المسألة نفسها مع أنّ هذا الأخير كان من أجل التّابعين في علم المناسك، والثقة، والأمانة (أنظر: المنذري، **المصدر السابق**، ص. 34).

[36] ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 130؛ ناقش ابن حجر العسقلاني مطوّلا الخلاف الذي حصل حول الاحتجاج برواية عكرمة من عدمه (**المصدر السابق**، جـ. 5، ص. 632 فما بعدها من صفحات).

[37] ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 265؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 130.

[38] المالكي، المصدر السابق، جـ 1، ص92؛ أبو العرب، **المصدر السابق**، ص83.

(39) كثر الجدل حول مذهبه، فتحدّث بعض المؤرّخين عن نزعته الخارجية دون تحديد مذهبه بالضّبط (ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج 3، ص 265؛ ابن عماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج 1، ص. 130)؛ ورأى البعض أنّه كان يحدث برأي نجدة، أو أنّه كان إباضيا (ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ 5، ص 633 فما بعدها من عدّة صفحات؛ الذهبي، المصدر السابق، مج 3، ص95- 96)؛ أو هو صفري (أبو زكرياء (يحيي بن أبي زكريا): كتاب سير الأئمة وأخبارهم، وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/ 1979م، ص 26- 27؛ ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، جـ5، ص633؛ الذّهبي، **المصدر السابق**، مج3، ص95).

(40) حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، المجلّد الأوّل**، العصر الحديث للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1416هـ/ 1992م، ص. 229.

(41) ابن عذاري (أبو عبد الله المراكشي): **البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، جـ 1، ص 52.

(42) **نفس المصدر**، جـ. 1، ص. 53.

(43) محمد بن عميرة: **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، الجزائر، 1985م، ص. 67 فما بعدها من عدة صفحات.

(44) l Alfred, **La religion musulmane en Berberie**, P. 147؛ عبد المنعم ماجد، **التاريخ السياسي للدّولة العربية**، جـ. 2، ص. 308.

(45) شهد بذلك عبد الله بن الحارث (ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج. 3، ص 265)؛ أو هو عبد الله بن الحرث (ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج 1، ص130)؛ أو هو يزيد بن يزيد (ابن حجر العسقلاني، **المصدرالسابق**، جـ5، ص. 634).

(46) على باب كنيف (ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج 3، ص 265؛ ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، جـ 5، ص 130)؛ أو هو باب الحش (ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، مج 3، ص 265؛ الذهبي، **المصدر السابق**، مج 3، ص 94).

[47] ابن خلكان، **المصدر السابق،** مج 3، ص 265؛ ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق،** مـج 1، ص 130؛ ابـن حجـر العسـقلاني، **المصـدر السـابق،** جــ5، ص 634؛ الـذّهبي، **المصدر السابق،** مج. 3، ص. 94).

[48] المنذري، المصدرالسابق، ص. 26.

[49] **نفسه،** ص. 34. 35.

[50] **نفسه،** ص. 35.

[51] **نفسه،** ص. 31.

[52] ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق،** جـ 5، ص 633؛ المنذري، **المصدر السابق،** ص 27.

[53] **نفسه،** ص. 27.

[54] ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق،** جـ. 5، ص. 633.

[55] المنذري، **المصدر السابق،** ص. 28.

[56] **نفسه،** ص. 29.

[57] ابن خلكان، المصدر السـابق، مـج. 3، ص. 265؛ ابـن العمـاد الحنبلـي، **المصـدر السابق،** مج. 1، ص. 130؛ ابن حجـر العسـقلاني، **المصـدر السـابق،** جــ. 5، ص. 634؛ الذهبي، **المصدر السابق،** مج. 3، ص. 94؛ المنذري، **المصدر السابق،** ص. 38.

[58] رجّحت المصادر أنّ عكرمة توفي في هذه السـنة، لكنهـا ذكـرت احتمـال موتـه سـنة 106، أو 107، أو 109، أو 110 (ابن خلكان، **المصـدر السـابق،** مـج. 3، ص. 266؛ ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق،** مج1، ص. 130؛ ابن حجر العسـقلاني، **المصـدر السابق،** جـ 5، ص637؛ المنذري **المصدر السابق،** ص. 38.

[59] الذهبي، المصدر السابق، مج. 3، ص. 94؛ ابن خلكان، **المصدر السابق،** مـج. 3، ص. 266؛ أو ابن أربع وثمانين (المنذري، **المصدر السابق،** ص. 38).

[60] المالكي، **المصدر السابق،** جـ. 1، ص. 93؛ توفي عكرمة في نفس اليـوم الـذي تـوفي فيه الشاعر كثير عزة. فقال الناس: "مات أفقه (أو أعلـم) النـاس، وأشـعر النـاس" (ابـن خلكان، **المصدر السابق،** مج. 3، ص. 266).

[61] **نفسه،** مج. 3، ص. 95.

تأثير المدرسة التاريخية المغربية والأندلسية في كتابات المؤرخين المصريين والشاميين
(خلال القرنين 6-7هـ/12-13م)

د/ عيفة الحاج

رئيس قسم التاريخ- جامعة الجزائر-2

أخذ المؤرخون المصريون والشاميون عن المغاربة والأندلسيين الكثير من المعلومات التاريخية ودونوها في كتبهم ومؤلفاتهم، حتى أصبح لا يكاد يخلو كتاب تاريخي منذ بداية القرن 7هـ/ 13م من معلومات نقلوها عن المؤرخين المغاربة والأندلسيين، ونجحوا إلى حد بعيد في معظم هذه المؤلفات التي أخذوا منها الكثير من المعلومات ودونوها في كتبهم ومؤلفاتهم.

ولتتضح الصورة أكثر لابد أن نتطرق إلى بعض المؤرخين حسب التسلسل الزمني ونركز على ذكر مؤلفاتهم، و أهم من أخذ عنهم من المؤرخين في مصر وبلاد الشام، نذكر على سبيل المثال لا الحصر[1] ما يلي:

1- **محمد بن أحمد كمال الدين القرطبي:** اشتهر كمحدث بمدينة قنا بمصر، ويذكر الصفدي أن له وجاهة ورئاسة، وكان مبجلا عند الجميع[2].

2- **اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الجياني:** إحتضنه صلاح الذين الأيوبي، وحفه برعايته بصورة مميزة عن أقرانه فألف له كتاباً في التاريخ سماه: **المعرب في أخبار محاسن أهل المغرب.**

نقل عنه **ابن أبي أصيبعة** في كتابه: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** الشيء الكثير عن ترجمة الأطباء الأندلسيين[3].

ويحتمل أن صلاح الدين هو الذي كلفه بتأليف هذا الكتاب عن المغرب ليهتدى به لضم المغرب للمشرق تحت سلطانه لأنه كان قد أرسل قواته بقيادة قرقوش فسيطرت على جميع أنحاء ليبيا تقريباً[4]، وهذا الاحتمال الذي أميل إليه، ربما لإعادة اللحمة بين جناحي الوطن العربي من جديد.

3- **محمد بن أيوب الأنصاري:** صنف كتاباً **لصلاح الدين الأيوبي** عن أخبار المغرب ويتضح بأن صلاح الدين كان مهتماً جداً بالبحث عن أصول المغاربة ودولهم وملوكهم.

هذا الكتاب نقل عنه **ابن خلكان في وفيات الأعيان،**[5] وقال بأن هذا الكتاب كان يرسم لسفرائه إلى تلك البلاد خططاً دقيقة في استقراء أحوال البلاد سياسياً واقتصاديا واجتماعيا، والتعرف على أوضاع أهلها وعاداتهم وأخلاقهم ومختلف نواحي حياتهم.

4- **عمر بن الحسين أبو الخطاب الشهير بابن دحية الكلبي:** (ت633هـ/ 1236م) فقد ألف كتابين في التاريخ ظلت تتناقلهما أيدي المؤرخين وتنقل عنهما، وعند وصوله إلى المشرق العربي توقف قليلاً بمدينة دمشق، ثم انتقل إلى مدينة أربيل سنة (604هـ/ 1208م) فوجد ملكها **مظفر الدين زين الدين** يعتني بالمولد النبوي الشريف، فكتب له كتاباً سماه: **التنوير في مولد السراج المنير**، ويقول **ابن كثير** عن هذا الكتاب: "وكتبت منه أشياء حسنة"[6]، ولعل الكتاب الذي اشتهر به **ابن دحية** في المشرق العربي هو الكتاب **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس** الذي ألفه بمصر للملك **كمال الأيوبي**، هذا الكتاب[7] له أهمية كبيرة في دراسة الحالة السياسية للدولة العباسية[8]، نقل المقريزي عنه خبراً يتعلق ببعض أخبار الدولة **الطولونية**

بمصر، فيقول: قال: **أبو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس**: "وخربت قطائع أحمد بن طولون، يعني في الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر، وهلك جميع من كان بها من الساكنين، وكانت نيفاً على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين»[9].

5- **علي بن سعيد المغربي**: ألف عدة كتب حول المشرق والمغرب مثل: **المشرق في حلى المشرق** شبه بكتاب **المغرب في حلى المغرب** وكتاب آخر **القدح المعلى في التاريخ المحلى** يحتوي هذا الكتاب على تراجم شعراء أندلسيين في عصره، كما ألف كتابا آخر سماه **رايات المبرزين وغايات المميزين**[10]، نقل عن **ابن سعيد** الكثير من المشارقة، وفي مقدمتهم، **القلقشندي** صاحب كتاب **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**[11]. كما نقل عنه أخبار تاريخية عن حكام مكة وملوكها قبل الإسلام وهي مدونة في كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب الذي يعتبر جزءاً من كتاب القدح المعلى في التاريخ المحلى، يقول ابن سعيد: "وجرهم هم الذين بعث إليهم إسماعيل، وتزوج فيهم، وكانت قبلهم جرهم أخرى مع عاد"[12]، كما نقل عنه معلومات عن تاريخ اليمن قبل ظهور الإسلام وبعده،[13] وكذلك أخذ عنه أخبارا عن تاريخ مناطق سيواس، و أماسية وهرقلة، وقونية، وقيسارية[14].

كما أخذ عنه **الأدفوي** تراجم بعض العلماء في **منطقة قوص** بمصر، مثل **عبد الرحمان بن عبد الوهاب القوصي**، الذي قال عنه **الأدفوي في** كتابه **الطالع السعيد في تاريخ الصعيد**: "وذكره **ابن سعيد** وقال: لم يزل يصحب ولاة قوص، ويكتب عنهم ويمدهم، وله رسالة في حريق خان السلطان بقوص من أعجب الرسائل، ثم انتقل إلى القاهرة، واشتهر بها إلى أن استوزره **الملك المظفر** صاحب حماة..."[15].

وكذلك اعتمد المؤرخ **السيوطي** على معلومات **ابن سعيد** في كتابيه **بغية الوعاة**، و **حسن المحاضرة**، ففي **بغية الوعاة** أخذ بعض المعلومات عن كتاب **المعرب في حلى المغرب** منها ما كان حول النحوي **محمد بن ابي موسى البياسي**، الذي يقول عنه **ابن سعيد**: "هو من أهل المائة السادسة من حسنات بياسة في علوم العربية..."[16]، ومنها ما نقله عن ترجمة **ابن سعيد لمحمد بن عياض اللبلي** الذي قال فيه: "كان نحوياً أديباً، تصدر للأقراء بقرطبة، وله المقامة المشهورة بالدوحية..."[17]، أما في كتاب **حسن المحاضرة** فقد نقل عنه تعريفه لمصطلح السلطنة يقول: "ذكر علي بن سعيد، أن الاصطلاح، ألا تطلق هذه التسمية، إلا على من يكون في ولايته ملوك..."[18].

وأخذ عن كتاب **المغرب في حلى المغرب لابن سعيد** المؤرخ **ابن شاكر الكتبي** خبرين **الأول**: يتعلق بسيرة **علي بن الحسين العقيلي** وقسماً من شعره[19]. والثاني قوله في الكاتب الأديب **على بن محمد القليوبي**، يذكر **ابن شاكر الكتبي**، قال **بن سعيد المغربي القليوبي**: "إن نصف لم يفضل عليه ابن المعتز"[20].

6- **أمية بن أبي الصلت:** نقل عنه عدد لا بأس به من مؤرخي المشرق فقد نقل عنه **ابن مماتي** صاحب كتاب **قوانين الدواوين** خبراً تاريخيا قصيراً عن بعض آثار مصر القديمة البرابي[21]، واستهل الخبر بعبارة، قال **أبو الصلت**: "طول كل عمود ثلاثمائة وسبعة عشر ذراعاً، ويحيط بها أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع و كل ضلع أربعمائة وستون ذراعاً".[22] وأخذ عنه **العماد الأصفهاني** صاحب **خريدة القصر وجريدة العصر** تراجم كاملة لشعراء، كان أمية بن أبي الصلت، قد إلتقاهم بمصر خلال فترة إقامته فيها خلال الثلث الأول من القرن (6هـ/ 12م). ويستهل **الأصفهاني** الحديث بعبارة، وذكره **أمية بن أبي الصلت** في رسالته وقال: "لم يقبل الأفضل على أحد من الشعراء كإقباله على رجل من أهل معرة النعمان يدعى أبو الحسن

علي بن جعفر بن البوير، فإنه أفاض عليه سحائب إحسانه وأدر عليه حلوبة أنعامه، ولقبه بأمين الملك وأدناه وأستخلصه، ولست أعرف أحداً من أهل تلك البلاد يروي له بيتاً واحدً فما فوقه لمنافرة الطبع كلامه ونبوغ الإسماع عن طريقته"[23]، و أخذ عنه ترجمة كاملة لجرجس الفيلسوف الأنطاكي، الذي ذكره أمية بن أبي الصلت عند ترجمته للطبيب أبي الخير سلامة بن رحمون قال: "وكان بمصر طبيب من أنطاكية جرجس وتلقب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغراب أبو البيضاء... وقد تفرغ للتولع به، يعني بابن رحمون و الإزراء عليه..."[24].

كما نقل عنه المؤرخ **القفطي** صاحب كتاب **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** ترجمة الطبيب سلامة بن رحمون، فيذكر، قال **أبو الصلت**: "وأنبه من رأيت منهم، يعني أطباء مصر، وأدخلهم في عداد الأطباء رجل يدعى أبو الخير سلامة بن رحمون..."[25].

ونقل عنه نفس الخبر **ابن أبي أصبيعة** صاحب كتاب **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**[26].

ونجد المؤرخ المصري **المقريزي** ينقل عنه خبراً طريفاً عن الأهرام، كان قد سجله أمية بن أبي الصلت الأندلسي في رسالته، حيث جاء فيها: "إلا انه يظهر من أمرهم، أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعارف والعلوم، وخصوصاً علم الهندسة والنجوم، ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة **كالأهرام والبرابي**، فإنها من الآثار، التي حيرت الأذهان الثاقبة، و إستعجزت الأفكار الراجحة، وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها..."[27] ونقل عنه معلومات أخرى عن **مدينة منف** فقال: وقال **أبو الصلت أمية أبن عبد العزيز الأندلسي**: "... وكانت دار الملك بمصر في قديم

الدهر مدينة منف،وهي في غربي النيل على مسافة أثني عشر ميلاً من الفسطاط..."[28].

7- **عبد الله بن البيطار المغربي:** اشتهرت كتاباته في ناحية معينة من نواحي التاريخ تتعلق بتاريخ الطب والصيدلة مثل كتاب **الأدوية المفردة** الذي نقل عنه الكثير من المشارقة مثل: المؤرخ الأديب **النويري**، في كتابه **نهاية الأرب في فنون الأدب** حيث اعتمد عليه في تبيان كثير من خصائص عدد من النباتات الدوائية.

فقد أخذ عنه قوله في نبات الأذريون، الذي قدم له النويري بما يلي: وقال عنه ابن البيطار في جامعه "إنه نوار ذهبي في وسطه رأس صغير أسود و اسمه بالفارسية آذركون ومعناه لون النار"[29] كما أخذ عنه في مواضع أخرى معلومات في مسائل كثيرة مثل الملك وغيره[30].

ونقل **السيوطي** عن **ابن البيطار** تصنيفه لألوان الورد، فيذكر أن **ابن البيطار** قال في مفرداته: "الورد أصناف، أحمر، وأبيض، و أصفر، أسود..."[31].

كما نقل عنه **البدري** صاحب كتاب **نزهة الأنام في محاسن الشام** عدداً من الأخبار، التي تبين الخواص الدوائية لعدد من النباتات[32]، و نجد بعض الرحالة المغاربة كانوا قد ألغوا بعض الكتب في المغرب و الأندلس وانتشرت في المشرق العربي خلال هذه الفترة، مثل كتاب عارضة الأحوذي.

8- **أبو حامد الغرناطي عبد الله بن عبد الرحيم القيسي:** الذي ألف كتباً ذاع صيتها في المشرق العربي، حيث احتوت مؤلفاته على كثير من المعلومات في ميدان التاريخ الطبيعي وخاصة كتابه **تحفة الألباب** الذي نقل عنه **المقريزي** في **الخطط**.

فقد نقل عنه خبرا طويلاً عن أهرامات مصر، التي زارها **الغرناطي** سنة (511هـ/ 1118م) ووصفها وصفا دقيقاً من خارجها وفي داخلها فهويصف الفراعنة المحنطين مند زمن طويل[33]، وأخذ عنه كذلك خبرا عن الأشخاص الطوال الذين شاهدهم **أبو حامد الغرناطي في بلغاريا** سنة (530هـ/ 1136م)[34].

9- **يحي بن إسماعيل البياسي**: اشتهر في ميدان تاريخ الطب ونقل عنه المشارقة مثل **ابن أبي أصيبعة** الذي نقل عنه خبراً عن بعض العلماء الذين قدموا إلى دمشق في عصره[35].

10- **أبو الوليد الطرطوشي**: ألف كتابه **سراج الملوك** الذي نقل عنه **ابن أبي أصيبعة** خبراً حول أحد أطباء مدينة دمشق في القرن (6هـ/ 12م)، وأسمه **البيرودي**.

يذكر وقال **الطرطوشي في سراج الملوك**: "حدثني بعض الشامين، أن رجلاً خبازاً في تنوره بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش، فاشترى منه، وجعل يأكله بالخبز فلما فرغ سقط مغشياً عليه، فنظروا فإذا هو ميت، فجعلوا يتربصون به، ويحملون له الأطباء، فيلتمسون ولاء ه ومواضع الحياة منه، فلم يجدوا فقضوا بموته وخرجوا إلى الجبانة، فبينما هم في الطريق على باب البلد، فاستقبلهم رجل طبيب يقال له البيرودي.... فاستخبرهم عن ذلك فقصوا عليه قصته، فقال حطوه حتى أراه، فحطوه فجعل يقلبه وينظر في آمارات الحياة، التي يعرفها،ثم فتح فمه وسقاه شيئاً، فإذا الرجل قد فتح عينيه، وتكلم وعاد كما كان إلى حانوته"[36].

11- **عبد الواحد المراكشي**: ألف كتابه في التاريخ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ومن المؤرخين **المشارقة** الذين اعتمدوا على هذا الكتاب المؤرخ **الذهبي** الذي نقل عنه خبراً طويلاً يدور حول سيرة السلطان الموحدي

الناصر أبو عبد الله حرب **ابن غانية في إفريقية** و **الأدفنش في العقاب** يقول: "قال عبد الواحد المراكشي في تاريخه فبلغني أن جملة ما أنفقه في هذه الغزوة مئة وعشرين حمل ذهب ثم دخل الأندلس في سنة ثمان وستمائة فحشد له الأذفنش واستنفر عليه حتى فرنج الشام وقسطنطينية الكبرى وكانت واقعة الموضع المعروف بالعقاب فانكسر المسلمون، وكان الذي أعان على ذلك أن البربر الموحدين لم يسلموا سلاحاً بل جنحوا وانهزموا..."[37] وتأليفه لهذا الكتاب عن المغرب والأندلس يوحي لنا أن معرفة المشارقة عن المغرب والأندلس كانت ضئيلة.

12- **ابن العربي**: وضع بعض المؤلفات التاريخية مثل **الملحمة المنسوبة** إليه ،التي نقل **المقريزي** عنها خبراً طويلاً عن القاهرة فاستهل كلامه فقال: قال العارف محي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحمة المنسوبة إليه: قاهرة تعمر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وتخرب سنة78هـ"[38].

وخلال الفترة التي أعقبت نهاية العصر الأيوبي ظهر دور المؤرخين المغاربة والأندلسيين بصورة أجدر بالبحث فظهرت مؤلفات تاريخية كانت لها أهميتها الكبيرة من حيث دقتها وعلميتها وشموليتها ويبرز في بداية هذه الفترة مؤرخان وصلا إلى مرتبة ممتازة في السلم التاريخي خلال العصور الإسلامية، وكان دورهما فعالا ًبحيث نقل كثير من مؤرخي المشرق من كتاباتهما المختلفة وهما:

- **الأول**: **هو محمد بن محمد فتح الدين المعروف بابن سيد الناس**: استقر بالقاهرة (ت734هـ/ 1334م)، وتقرب فيها من رجال الدولة فأصبحت له مكانة ممتازة عندهم يقول الصفدي في هذا الصدد: "ما أعرف أحد من الأمراء الكبار والأعيان في الدولة إلا وهو يميل إليه ويجتمع به..."، وتعود شهرته

كمؤلف في ميدان التاريخ إلى كتابه، الذي يبحث في سيرة الرسول ﷺوالـذي سماه **عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير**، و**مختصره نور العين**[39].

فالأول يبحث في **غزوات الرسول** ﷺ منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى وفاته، بالإضافة إلى **سيرة الرسول** ﷺ قبل الدعوة وبعدها...الخ، أما **مختصره نور العين** فلم يأخذ شهرة الكتاب الأول.

و ذكر اليوسفي في كتابه **نزهة الناظر** أن **ابن سيد الناس** ألف كتاباً أخـر سماه **نور العيون في سيرة الأمين والمأمون** وهو من كتبه المفقودة[40].

لقد نقل كثير من مؤرخي المشرق عن **ابن سيد الناس**، وهذه الكتب التي أخذوا منها لا يعرف مصدرها مثل **ابن شاكر الكتبي** الذي نقل عنه دون ذكر أسم المصدر، رغم أن نقوله كانت في عدة مواضع من كتابه **فـوات الوفيـات** فقد أخذ عنه مثلاً: قولـه في ابـن تيميـة الحرانـي، الـذي أورده علـى النحـو التالي: "قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بـن تيميـة، فألفيتـه ممـن أدرك مـن العلوم حظاً، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً..."[41]، كما أخد عنه بعض الأخبار الأخرى مـن الـتي تـأتي أهميتهـا مـن أن ابـن سـيد النـاس عاصـر أصحابها وعرفهم عن قرب[42].

ونقل كذلك عن **ابن سيد الناس** المؤرخ **الأدفوي** خبراً مطـولاً عـن **ابـن دقيق العيد** محمد بن علي دون ذكر اسم المصدر الذي نقل منـه بقولـه: "وقـد ترجم له الأمام العالم الأديب المحدث فتح الدين محمـد اليعمـري، فقـال لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت، وكان للعلـوم جامعاً وفي فنونها بارعاً، مقدماً في معرفة علل الحديث علـى أقرانـه، متفـردا ًبهذا الفن النفيس في زمانه بصيراً بذلك، سديد النظر في تلك المسـائل..."[43]،

وأخذ **السيوطي** عنه بعض الأخبار وضمنها كتابه **حسن المحاضرة** مثال ذلـك الخبر الذي قاله في **ابن دقيق العيد**: "لم أر مثله فمن رأيت ولا حملت عن أجل منه فيمن رأيت ورويت... "[44] وهـو نفـس الخـبر الـذي أورده **الأدفـوي في الطالع السعيد**.

وكـان آخـر مـن نقـل عـن **ابـن سـيد النـاس** المـؤرخ **الشـوكاني** (ت1250هـ/ 1851م) الذي يـذكر المصـدر الـذي نقـل منـه أيضـا، وأهميـة الأخبار التي نقلها عنه لأنه كان معاصـرا لأصـحابها. حيـث قابلـهم وسمـع منهم، مثل الخبر الذي يدور حول عبد المؤمن بـن خلـف الـدمياطي، الـذي اشتهر بعلم الحديث، قال أبن سيد الناس: "سمعته يقول دخلت علـى جماعـة يقرؤون الحديث فمن ذكر عبد الله بن سلام فشدد لامه فقلت سلام علـيكم سلام عليكم"[45].

ونقل عنه أيضاً خبرٌ عن **يوسف بن عبد الرحمان** الذي، يقول: قـال: ابـن سيد الناس في ترجمته: "أنـه احفـظ النـاس للتراجـم، وأعلمهـم بـالرواة مـن أعارب وأعاجم... "[46] والذي يمكن أن نقوله حول عـدم ذكـر الـذين نقلـوا عن ابن سيد الناس مصادر نقلهم، أن هـذه النقـول، لم تكـن قـد دونـت في مؤلف ما، بل هي أقوال صدرت عن ابن سيد الناس، وتناقلها العلماء عنـه، لأنه اشتهر بحفظ تراجم الناس.

13-**علم الدين البرزالي**: لقد تفـوق في مجـال التـاريخ، وكانـت مؤلفاتـه في مجملها جديدة المحتوى والمضمون، حيث كتـب عـن أحـداث وقعـت خـلال حياته وعن شخصيات كانت له معهم تجربة ومعرفة، بينما نجد معظم الـذين سبقوه، كتبوا عن فترات لم يعيشوها ولا عاصروها، فكانت معلوماتهم نظرية محضة وكادت تكون في مجملها نقلا عن من سبقوه. من هنـا نلاحـظ الفـرق الكبير بين التاريخ النظري والتاريخ الأصلي. وقد ألف **البرزالـي كتـابين في**

التاريخ هما: **كتابه التاريخ** الذي ذيل به على **أبي شامة المقدسي** صاحب كتاب **الروضتين** والذيل عليه.

ويبدأ **تاريخ البرزالي** بسنة (665هـ/ 1267م)، حيث انتهى **المقدسي**، وينتهي عند حوادث سنة (738هـ/ 1338م)، يقول **ابن كثير**: "وهذا ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي وكتابه الذي ذيل به على تاريخ أبي شامة المقدسي... "[47]، و ذكر **ابن حبيب** في مقدمة كتابه **المنتقي من درة الأسلاك في تاريخ ملك الأتراك**[48].

وتنبثق أهمية هذا التاريخ من أنه لم يكتب في الفترة التي تلت وفاة صاحبه **البرزالي**، كتابٌ في التاريخ إلا واعتمد صاحبه على تاريخ **البرزالي**.

أما الكتاب **الثاني** الذي صنفه **البرزالي** فهو الكتاب المعروف باسم **المعجم** والذي يدور حول سير وأخبار المشايخ والمدرسين الذين أخذ عنهم علومه ومعارفه في جميع رحلاته الطويلة في المشرق العربي،ونهج فيه طريقة مؤلفي كتب التراجم على حروف الهجاء.

وتبدو أهمية هذا الكتاب البالغة من خلال قول **ابن حبيب** المدون في مقدمة هذا الكتاب، وهو عبارة عن مجموعة شعرية، بلغت أكثر من عشرين بيتاً منها:

يا طالباً نعت الشيوخ وما رأوا ورووا على التفصيل والإجمال

دار الحديث أنزال تجد ما تبتغي بارزا في معجم البرزالي[49]

وهكذا فإنه من الممكن إعتبار **البرزالي** من أهم مؤرخي العصور الوسطى على نظام الحوليات، هذا النظام الذي اعتمده في تأليف تاريخه السالف الذكر أو على نظام التراجم الذي اعتمد في تأليف كتابه المعجم و شكل هذا

الكتاب مصدرا غنيا، أخذ عنه عدد كبير من المؤرخين المشارقة خاصة ما بعد النصف الأول من القرن (8هـ/ 14م).

كان في مقدمة من نقل عن **البرزالي** المؤرخ المشرقي **ابن كثير** الدمشقي صاحب كتاب **البداية والنهاية** فقد قام هذا المؤرخ بتلخيص كتاب **التاريخ للبرزالي**، حتى وصل إلى سنة (736هـ/ 1335م) وقد ذكر ذلك بصراحة بقوله: "وهذا أخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأخيرة سنة (751هـ/ 1350م) أحسن الله خاتمتهما"[50]، وعلى الرغم من أنه قام بتلخيص **تاريخ البرزالي** فإنه جاء على ذكره في عدة مواضع من الكتاب وربما يعود سبب ذلك إلى أن طبيعة الخبر كانت تحتاج إلى هذا التنويه الذي يضفي عليه مزيدا من الثقة والتصديق ولاسيما أن **البرزالي** هو القائل مثل ذلك أنه ذكر اسمه صراحة في حوادث سنة (698هـ/ 1299م) حيث نقل خبرا عن **قازان**.[51] وذكر في حوادث سنة (701هـ/ 1302م) في سياق حديثه عن أمر عجيب حدث آنذاك في مصر[52] كما نقل معلومات متفرقة عن كتاب **البرزالي** الثاني **المعجم** فقد ذكر في عدة مواضع من كتابه **البداية والنهاية** أنه نقل عن هذا الكتاب.

يقول على سبيل المثال: "قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه"[53] ويأتي **ابن رافع السلامي** بعد **ابن كثير** من حيث كثرة النقول عن **البرزالي**، والتي ضمنها كتابه الوفيات، الذي ذيل به على **تاريخ البرزالي**، كما اعتمد على **كتاب البرزالي الثاني المعجم** فأخذ منه معلومات كثيرة يتعذر علينا عرضها جميعاً في هذا البحث ويكفي أن نعطي بعض الأمثلة فقط مثال ذلك أنه نقل قول **البرزالي** عن علي بن محمد **المقدسي الدمشقي** المعروف **بابن غانم** المتوفى سنة (737هـ/ 1337م) فذكر العبارة التالية قال عن

البرزالي في معجمه: "شيخ فاضل من أعيان الموقعين ومن حسنات الزمان"[54] كما نقل قولاً آخر عن **علاء الدين أيدغدي**، ويذكر أن **البرزالي** قال فيه: "وكان مملوكا لوالدي وسمع معي من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وابن البخاري وابن العسقلاني وابن شيبان... ورافقنا في الحج سنة عشر وسبعمائة وحدث في الطريق، وكان رجلاً جيدا جنديا من الحلقة، وكان يسافر في البريد"[55].

ومن نقول **ابن رافع** عن **معجم البرزالي**، يمكن الإستنتاج، أن **كتاب المعجم** قد ألف قبل **تاريخ البرزالي** فهو يترجم للكثيرين ممن درسوا معه، ولكنه توفي قبلهم، الأمر الذي جعل ابن رافع السلامي يذكرهم في سياق تراجمه الوفيات.

يضاف إلى ذلك أن جميع المعلومات التي نقلها **إبن رافع السلامي** عن **البرزالي** كانت معظمها أصلية أي أن **البرزالي** شاهد عيان عليها، و تساوى مع **إبن رافع السلامي** في التسلسل بحجم النقل عن **البرزالي** المؤرخ الدمشقي **النعيمي** صاحب كتاب **الدارس في تاريخ المدارس** فنقل عنه الشيء الكثير و أشار إلى هذا النقل بصورة واضحة تماما في كل موضع نقل عنه مثل قوله: "و رأيت بخط الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه في سنة ست وثلاثين وسبعمائة و من خطه نقلت..."[56].

و يلي هؤلاء في التسلسل بحسب حجم النقل عن **البرزالي** المؤرخ **الأدفوي** صاحب كتاب **الطالع السعيد في تاريخ الصعيد** فقد نقل عنه بعض الأخبار المتفرقة من الخبر الصغير عن وفاة علي بن حميد الصباغ القوصي[57].

ويعتبر **ابن حجر العسقلاني** من أغزر المؤرخين المشارقة خلال العصر المملوكي وعلى الرغم من ذلك، فقد وجد نفسه محتاجا للرجوع إلى **تاريخ البرزالي** الذي اعتمد عليه كثيرا عند تصنيفه كتابيه الشهيرين **الدرر الكامنة**

في أعيان المائة الثامنة، و **إنباء الغمر في أبناء العمر** وقد ذكر ذلك صراحة في **مقدمة الدرر الكامنة**[58]، وإذا ما دونت جميع نقول **ابن حجر عن البرزالي**، فإن ذلك يحتاج منا الكثير لذلك فإن ذكر بعضها يوصل إلى الغاية، وهي التأكيد على اعتماد **ابن حجر** على **تاريخ البرزالي**، كواحد من مصادره الرئيسية، مثال ذلك أنه أخذ عنه ترجمة إبراهيم بن علي الحراني (ت709هـ/ 1310م)، وإبراهيم بن علي بن شارو الحميري، الذي كتب **البرزالي** عنه، ونقله **ابن حجر**: "كان من أعيان القراء، قرأ عليه الطلبة، وكان يروي القراءات عن ابن فارس وابن أبي الدر وغيرهما"[59]، أما بالنسبة لاعتماده على **البرزالي** في كتابه **الدرر الكامنة** المذكور سابقا، بالإضافة إلى أنه لا يسمي الكتاب الذي نقل عنه، مثال ذلك ما ينقله عنه من كتاب **المعجم** في صدد تصحيح وفاة عمر بن حسين المراغي المزي[60]، وتساوى **ابن تغري بردي** مع **ابن حجر** في حجم النقل عن **البرزالي**، وضمن نقوله جميعها في كتابه **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ولا ذكر **للبرزالي** البتة في كتابه الآخر **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**.

وربما يعود السبب في ذلك إلى أن كتاب **المنهل الصافي** ألف قبل **النجوم الزاهرة** لأن **ابن تغري بردي** في كتابه الأخير، كثيرا ما يقول عندما يكون في صدد ترجمة معينة، أنه توسع في الترجمة و وفاها حقها في كتابه **المنهل الصافي**.

وطالما نقل عن البرزالي، فقد وجد على ما يبدو، أن لا حاجة لذكر المصادر مرة أخرى، ونقل عن كتابي **البرزالي** و هما في **التاريخ** و **المعجم**، و يذكر ذلك بوضوح وصراحة فقد أخذ عن **المعجم** معلومات جيدة، مثال ذلك ما نقله ابن سحق الحلبي إبراهيم بن عبد الله حيث يقول: "و ذكره البرزالي" في معجم شيوخه قال: "سمع من ابن خليل ودخل بغداد وسمع بها من الكاشغري ودرس بحلاوية بحلب..."[61].

و وصل به الأمر إلى أن نقل ترجمة كاملة عن البرزالي، حول سيرة إبراهيم بن عبد الرزاق الرسعني في معجم شيوخه بقوله: "كتبت عنه، وقد فاق أبناء جنسه معرفة وذكاء، وكان نبيها فاضلا متمكنا حسن الأخلاق وله منظوم منثور... "[62]، وله نقول أخرى متعددة في شخصيات علمية مختلفة[63]، وكانت نقوله من كتاب البرزالي الآخر التاريخ كثيرة أيضا لكنها لم تكن في حجم ما نقله عن كتاب معجم شيوخ البرزالي.

فقال عنه على سبيل المثال في عدة مواضع، منها ما نقله عن أحمد بن علي البغدادي المعروف بابن الساعاتي الذي قال عنه: "أنه ظفر في تاريخ الحافظ علم الدين البرزالي رحمه الله بحاشية مكتوبة على حوادث سنة أربع وستين وستمائة نوع استدراك على المصنف قال: وفي هذه السنة توفي العلامة مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب بن أبي ضياء بن مظفر البغدادي الحنفي"[64].

وأكثر المؤرخ ابن العماد الحنبلي صاحب كتاب **شذرات الذهب** من النقل عن البرزالي ومعظم المعلومات التي نقلها، كانت حول تراجم كتبها البرزالي في كتابيه المذكورين مثال ذلك ما نقله عن الحافظ الدمياطي، الذي قال عنه البرزالي في كتاب التاريخ: "وكان آخر من بقي من الحفاظ وأهل الحديث أصحاب الرواية العالية والدراية الوافرة"[65].

كما نقل من **كتاب المعجم** شيئاً كثيراً أيضاً، مثال ذلك ما نقله عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي (ت711هـ/ 1312م) الذي يقول عنه **البرزالي**: "صالح عارف صاحب نسك وعبادة وانقطاع وعزوف عن الدنيا..."[66].

ومثل **ابن العماد الحنبلي**، كان المؤرخ **جلال الدين السيوطي**، الذي أخذ عن **البرزالي**، وهو يختلف عن معظم الذين ذكروا حتى الآن من المؤرخين، في أنه لا يذكر صراحة اسم الكتاب، الذي نقل عنه وخاصة في كتاب **بغية**

الوعاة لكن التعرف على ذلك ليس مسألة صعبة، أو يمكن التعرف عليه من خلال طبيعة كتب **البرزالي** حيت تختلف أقواله في كتاب **المعجم عنها في** كاتب **التاريخ** ففي **المعجم**، ينوه بمدى إستفادته من الذي يترجم عنه كونه مجمعا لشيوخه مثال ما نقله **السيوطي** عنه عن صالح بن إبراهيم الفارقي الذي يعتقد أنه من كتاب **التاريخ**.

يذكر **السيوطي** ما يلي، قال: "البرزالي ولد بميافارفين ليلة التاسع والعشرين من محرم سنة خمس عشرة وستمائة، وقرأ القراءات وأتقن العربية..." أما كتاب **حسن المحاضرة** فإنه يعلن صراحة عن مصدره و أخذه عن البرزالي ما يتعلق ببعض العجائب، التي حدثت سنة (702هـ/ 1303م) في بعض نواحي مصر[67].

ونقل عن **البرزالى** المؤرخ **الداودي** صاحب كتاب **طبقات المفسرين** ويشبه **الداودي** في مسألة عدم التصريح عن الكتاب الذي نقل عنه المؤرخ **السيوطي** لكن المرجح أن **الداودي** نقل عن كتاب **التاريخ للبرزالي**. و من هذه النقول خبرٌ مطولٌ عن عثمان التنوخي الذي قال عنه **البرزالي**: "وكان عالماً بفنون شتى من الفقه والأصول، وله تعاليق في التفسير واجتمع له العلم والدين و المال والجاه وحسن الهيئة..."[68].

وشكلت مؤلفات **أبو حيان النحوي** المتوفى بالقاهرة سنة (745هـ/ 1345م) منهلا غنيا بالمعلومات التي دونها المؤرخون المشارقة في ثنايا كتبهم فعلى الرغم من أنه اشتهر على صعيد النحو والأدب، كانت له اهتمامات تاريخية مهمة، ولاسيما في ميدان **تاريخ الأدب**، فكان أهم مؤلفاته في هذا الميدان كتاب **النضار** الذي يحتوي على تراجم لشخصيات أدبية ونحوية بالإضافة إلى كثير من الأخبار التاريخية المختلفة، يمكن اعتباره من خلالها تاريخا متنوع المواضيع والفوائد ولعل أفضل تعريف بمضمونه،

جاء على لسان **ابن حجر العسقلاني** في كتابه **الدرر الكامنة** بقوله: "ووقفت على كتاب له سماه النضار عن المسلاة نضار[69] بخطه في مجلد ضخم ذكر فيه أوليته وابتدأ أمره وصفة رحلته وتراجم لكثير من أشخاصه وأحواله إلى أن استطرد إلى أشياء كثيرة تشتمل على فوائد غزيرة، ولقد لخصناها في التذكرة مثال ذلك يذكر أصل قبيلة **نفزة**، التي أرجعها إلى **فلسطين** ومعها **هوارة، وصنهاجة، وكتامة، ولواتة**... كلها كانت بفلسطين مع **جالوت**، فلما قتل تفرقوا وقصد أكثرهم الجبال في **السوس** وغيرها"[70].

يضاف إلى ذلك مأثرة أخرى **لأبي حيان** أفاد من خلالها المؤرخون تجسدت بتشجيعه لأحد تلامذته على تأليف كتاب في التراجم عن **منطقة الصعيد** في مصر هذا التلميذ هو **الأدفوي** صاحب كتاب **الطالع السعيد في تاريخ الصعيد** الذي ذكر أن أستاذه **أبو حيان الغرناطي** النحوي، هو الذي شجعه على وضع كتابه المذكور فقد قال بعد أن أطنب في مدحه: "... أشار علي أن أعمل تاريخا للصعيد مرة ومرة وراجعني في ذلك كرة بعد كرة فرأيت امتثال إشارته علي متعينا حتما، والإعراض عن إجابته غرما لا غنما فشرعت في هذا التأليف مرتبا له على، الأسماء ولم أجد من تقدمني فيه، فأكون له تابعا ولا من أسأله فأكون لما يورده جامعاً فأنا مبتكر لهذا العمل..."[71] وتأتي مؤلفات أبي حيان بالدرجة الثانية من حيث الأهمية في ميدان اعتماد المؤرخين المشارقة عليها بعد مؤلفات البرزالي السابقة.

وإذا قورن **البرزالي بأبي حيان**، فإن فروقا عديدة تظهر بينهم، منها:

أن الذين نقلوا عن **أبي حيان** كانوا أكثر من حيث العدد لكن كمية المعلومات المنقولة عن **البرزالي**، هي أكبر بكثير من تلك التي أخذت عن **أبي حيان** يضاف إلى هذا أن **البرزالي** ألف تاريخا **وأبو حيان** ألف في النحو، فكانت معظم المعلومات التي نقلها مؤرخو المشرق عنه حول النحويين

والأدباء ومن في حكمهم، وكان أول من نقل عنه المؤرخ **السبكي** صاحب كتاب **طبقات الشافعية** الذي يفهم من تسميته أنه يقتصر على دراسة رجال الفقه من الشافعيين منذ القرن الثاني الهجري حتى عصر المؤلف، وجاءت نقوله عنه قليلة جداً أخذها من **كتاب النضار** وهي عبارة عن خبر صغير، **أبو حيان** في سياق ترجمة عبد العزيز بن سعيد الدميري: "قال شيخنا أبو حيان كان متقشفا مخشوشنا يتبرك به الناس"[72].

واعتمد **ابن شاكر الكتبي** صاحب كتاب **فوات الوفيات** على مؤلفات **أبي حيان** فأكثر من النقل عنه دون أن يذكر مصدر النقل، وإن كان من المحتمل أنه كتاب النضار حيث أخذ عنه معلومات كثيرة عن أشخاص، كانت لهم عناية ظاهرة بالنحو والأدب، كان أبو حيان معاصرا لعدد كبير منهم، مما يضفي على أقواله صفة الصدق، و الأمانة والثقة، وبالتالي فهي أقوال صادرة عن اختصاصي، يمتلك المعرفة الوثيقة في علوم اللغة العربية وآدابها. وكان من الذين كتب عنهم وعاصرهم نصر الدين الحسن بن شاور النفيسي، الذي قال عنه أبو حيان ونقله ابن شاكر الكتبي: "جالسته بالقاهرة مراراً وكتبت عنه وكان نظمه حسنا"[73].

ونقل عنه أيضا رأيه في أحد المتصوفين على طريقة **وحدة الوجود**، وكان له ذكره المشهور خلال فترة العصور الوسطى المتأخرة هو **عفيف الدين التلمساني** الذي يقول فيه **أبو حيان**: "أديب ما هر جيد النظم يكون شيخ صوفية وتارة مجرد قدم علينا القاهرة ونزل بخانقاه **سعيد السعداء*** عند صاحبه شيخها شمس الدين الأيلي، وكان متخيلا في أقواله وأفعاله ابن العربي... "[74].

كما نقل عنه في موضع أخر معظم ترجمة مجير الدين عمر بن عيسى التميمي وهي: "رأيته بقوص وكتبت عنه شيئاً من شعره، قدم علينا مصر

وسـكنها أيـام القاضـي تقـي الـدين بـن دقيـق العيـد، واشـتغل عنـده في **أوقات**.."[75].

ومن الذين نقلوا عنه **ابن تغري بردي** في كتابه **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، لكن نقوله كانت قليلة جدا، منها قوله في ترجمة أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري المكي، الذي ذكر عنه **أبو حيان**: "أنه وقع له وهم فـاحش في القسم الأول وهو التساعي، وهو إسقاط رجل من الإسناد، حتى صار له الحديث تساعيا في ظنه" وجاء ذلك في سياق حـديث أبـي حيـان عـن بعـض المؤلفات المترجمة له في ميدان الحديث[76].

و لعل **السيوطي** كان أوسع النقلة عن **أبي حيان** و خاصة في مؤلفه **بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة** وهذا الأمر لا يحتـاج إلى كـبير عنـاء أو عميق تفكير لمعرفة الأسباب، التي جعلت **السيوطي** ينقـل عـن **أبـي حيـان**، وهي أن كتاب النضار الذي نقل عنه السيوطي وذكره بصراحة عند كل نقل عنه، يحتوي على تراجم لعدد كبير من النحويين والأدباء، و مـن المعلومـات التي نقلها عنه على سبيل المثال، ما قاله في ترجمة النحوي الأندلسي محمد بن عبد الله الجياني: "بحثت عن شيوخه، فلم أجد له شيخاً مشهوراً يعتمد عليـه، ويرجع في حل المشكلات إليه،إلا أن بعض تلامذته، ذكر أنه قال قرأت على ثابت بن حيان في حلقة أبي على الشلوبين..." ونقل قولا أخر عن ترجمة أبـي حيان لبهاء الدين محمد ابن إبراهيم المعروف بابن النحاس، وهو القول نفسه الذي دونه ابن شاكر الكتبي في كتابه فوات الوفيات،و يـذكر السـيوطي قـال أبو حيان: "كان هو الشيخ محي الدين المازوني شـيخ الـديار المصـرية ولم الـق أحدا أكثر منه سماعاً لكتب الأدب وتفرد بسماع صحاح الجوهري..."[77].

أما المؤرخ **السخاوي**، فقد كانت نقوله قليلة عن كتاب **أبي حيان** ويختلف عن جميع الذين نقلوا عنه، في أنه لم ينقل الترجمة بكاملـها أوفي معظمهـا، إنمـا

اقتصر على الجانب الأهم فيها، مثال ذلك أنه نقل رأي أبي حيان في مسألة نحوية واعتبره نهائيا ولا حاجة لمقارنته مع غيره وربما أنطلق في ذلك من معرفته، أن أبا حيان كان في عصره شيخ النحو بلا مزاحمة[78] ونقل في مكان أخر قولا **لأبي حيان** في ترجمة عمر بن عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعز "أنه كان رجلا مهيبا ديناً فقيهاً نحوياً صالحاً كثير الصدقة و الإقتصاد لفقراء الفقهاء الذين كانوا في مدرسته..."[79].

وكذلك فعل المؤرخ **الشوكاني** صاحب كتاب **البدر الطالع** الذي اقتصر في نقله عن **أبي حيان** على أخبار مقتضبة، مثال ذلك أنه نقل قوله في النحوي أحمد بن إبراهيم الأندلسي: "وكان يحرر اللغة وكان أفصح عالم رأيته..."[80].

ونقل قولاً ثانياً كان هذه المرة حول أحد الذين اعتنوا بالحديث إلى جانب النحو وهو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، الذي وصفه بأنه حافظ المشرق والمغرب[81].

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن معظم المعلومات التي نقلت عن كتاب النضار لأبي حيان تعلقت بشخصيات عربية مغربية وأندلسية كان يعرف الكثير من أصحابها وهي مسألة كان مؤرخو المشرق العربي، يفتقرون إليها، الأمر الذي جعلهم ينكبون على مؤلفات أبي حيان ويأخذون منها بالشكل الذي بدأ فيما سبق من حديث عنه.

14- **عبد الله بن فرحون التونسي:** (ت769هـ/ 1368م)، نزيل المدينة المنورة الملقب بمؤرخ المدينة كتب كتابا سماه **نصيحة المشاور وتغذية المجاور في تاريخ المدينة المنورة**[82]، ومن عائلة هذا المؤرخ ظهر مؤرخ أخر بنفس المدينة مكملا له، لكن إنتاجه التاريخي كان أعمق أثرا أو أشد أهمية واستقطابا للعلماء حيث أخذوا عنه الكثير من المعلومات هذا المؤرخ هو:

15- **إبـــراهيم بـــن علـــي أبـــو إســـحاق المعـــروف بـــابن فرحـــون** (ت799هـ/ 1397م) الذي صنف كتابا على طريقة التراجم في أعيان المالكيـة وعلمائهم سماه **الديباج المذهب في أعيان المذهب**[83].

نقل عنه مؤرخان من المشرق العربـي همـا: **السـيوطي** في كتابـه **حسـن المحاضرة** الذي أخذ منه بعض الأخبار عن ترجمة إسماعيل بن مكي الزهـري الأسكندراني الذي قال عنه: "كان إمام عصره في المذهب وعليه مدار الفتوى مع الزهد والورع"[84].

كما نقل عنه **الداودي في طبقات المفسرين** ترجمة محمد بن بنـدار بقولـه: "قال ابن فرحون، ورأيت على كتبه بخطه... أنه تفقه على الأبهري، وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في أصول الفقه وكتاب في أحكام القرآن"[85].

16- **ابن أبي حجلة التلمساني** (ت778هـ/ 1376م):الأديـب المغربـي ألـف كتابا في التاريخ سماه **سكردان السلطان** ألفه **للسـلطان الناصـر حسـين بـن الناصر محمد بن قلاوون** بالقاهرة، ويعتبر مـن الكتـب الجديـدة في المنهجيـة وأسلوبه لا يماثله أي مؤلف آخر من هذه الناحية، يحتوي على أخبار مختلفـة من الجد والهزل مع نصائح وسير لبعض الملوك والدول والحديث عن مصـر وما جرى فيها من العهود القديمة حتى عصره[86].

نقل عنه **السيوطي** في كتابه **حسن المحاضـرة** وتجسـدت نقولـه في خـبرين اثنين، **أحدهما** عند بناء مدينة القاهرة و**ثانيهمـا** عـن جبـل الطـير في صـعيد مصر و ما فيه من عجائب[87].

17- **ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون**[88]: كتـب تاريخـا أسـتهله بمقدمـة تمتاز بمنهجية، مستقلة عن غيرها من المؤلفات، فقد ربط فيها الحادثة التاريخية بأسبابها العامة والشاملة، بحيث أن كل شيء يـرتبط بقضـية العمـران، حتـى غدت محور تاريخه الأساسي المسـمى **العـبر وديـوان المبتـدأ والخـبر في أيـام**

العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر الذي ألفه خلال الربع الأخير من القرن (8هـ/ 14م)[89].

وله كتاب آخر سماه **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا** يفيد في كثير من المسائل عن أساتذته، وسلاطين مصر والشام.

والكتاب يعكس الحالة السياسية في المغرب والأندلس وعلاقة المشرق العربي بذلك كما يحتوي أيضا وقائع مقابلته لتيمور لنك[90].

لقد بدأ ابن خلدون حياته في القاهرة بالتدريس بالجامع الأزهر، وبطائفة من المدارس السلطانية وتولى رئاسة القضاء المالكي غير مرة، وعكف على تنقيح مقدمته، والزيادة في تاريخه في مواطن كثيرة[91].

فالذين نقلوا عنه من مصر، **السيوطي**، و**المقريزي**، و**السخاوي**، و**ابن حجر العسقلاني**.

ومن ضمن نقول **السيوطي** في كتابيه **حسن المحاضرة** و **نظم العقيان**:

فقد ضمن الكتاب الأول قولا حول سيرة النحوي جمال الدين بن هشام المصري، الذي يقول فيه: "وما زلنا... بالمغرب نسمع من أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه..."[92].

كما ضمن كتابه الآخر **نظم العقيان** نتفا متفرقة، منها تصحيح النسب عندما يكون موضع ريبة وشك يقول سمعت **شيخ الإسلام ابن حجر**، ينقلها عن قاضي القضاة ولي الدين **بن خلدون** وهي: "إنا إذا أشككنا في نسب، حسبناكم بين أوله ومن في آخره من السنين جعلنا لكل مائة سنة ثلاثة أنفس، فإنها مضطردة عادة وإذا أخر فبالزيادة"[93].

وأخذ عنه **ابن حجر العسقلاني** خبرا يدور حول مقتل لسان الدين بن الخطيب ويقول **ابن حجر**: "وتحديده بشكل دقيق، هو كما جاء عند ابن

خلدون" والذي يقول: "والصحيح في ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولي الـدين بن خلدون..."[94].

فأما مؤرخ مصر **المقريزي** فقد كان تـأثره واضـحا وشـديدا **بمقدمـة ابـن خلدون** في كتابه **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، وربما لأنه كان في شـبابه تلميـذا **لابن خلدون** وكان إعاجبه إعجاب التلميذ بأستاذه في كتاباته، حيث كان من أشد الكتاب المصريين تعظيما لقدره وإجلالا لتفكيره وعلمه، وهذا ما نجـده واضحا في كتابه المذكور أعلاه الـذي ينحـو فيـه بالشـرح و التعليـل منحـى شيخه ابن خلدون في مقدمته، فنجد المقريزي يستعمل ألفاظ شيخه وعباراتـه مثل أحوال الوجود وطبيعة العمران.

هكذا نلمس أثر المؤرخ واضحاُ في منهج التلميذ، ونستطيع أن نجد كـثيرا من أوجه الشبه بين ما يعرضه **المقريزي** في كتابه، وبين ما كتبـه **ابـن خلـدون** في مقدمته عن طبيعة الملك وعوامل فساده وعن السـكة وعـن أثـر المكـوس في الدولـة وأثـر الظلـم في خـراب العمـران وكيـف يسـري الخلـل إلى الدولة وتغلبها وفرة العمران والغلاء والقحط وغير ذلك مما يتعلـق بـانحلال الدولة وسقوطها.

أما **السخاوى** فإنه تأثر كذلك **بمقدمـة ابـن خلـدون** في كتابـه **الإعـلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** فنجده واضحا فيما كتبه **السخاوي** في هـذا الكتـاب عن قيمة التاريخ، وأثره في دراسة أحوال الأمم[95].

18- **رحلة ابن رشيد السبتي:** التي سماها **ملء العيبة في ماجمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة** التي تضمنت كثيرا من أسماء العلماء الذين قابلهم وأخذ عنهم في مصر والشام، وذلك في كثير من العلوم الدينية واللغوية.

اعتمد عليه **السيوطي** فنقل عنه معلومات حول بعـض النحـويين الـذين ذكرهم فـي **بغية الوعاة** يقول عن **رحلة ابن رشيد** الأنفـة الـذكر: "... وهـي

ست مجلدات وقفت عليها بمكة وعلقت منها فوائد واستفدت منها الحديث المسلسل بالنحاة..."[96].

19- **محمد بن أحمد بن على الفاسي المكي:** (ت832هـ/ 1429م) في مقدمة الكتب التاريخية التي صنفها **الفاسي** في المشرق العربي **كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** في مجلدين جمع فيه ما ذكره **الأرزقي** في تاريخه وزاد فيه أشياء كثيرة واختصره في مجلد سماه **تحصيل المرام**. ثم إختصره في آخر سماه **هادي ذوي الإفهام إلى تاريخ البلد الحرام**. ثم عمل مختصرا نهائيا سماه **ترويح الصدور بطيبات الزهور**.

أما **الكتاب الثاني** فقد تمتع بشهرة واسعة جدا واسمه **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ويشتمل على **السيرة النبوية ثم على** تراجم صنفها على حروف المعجم جماعة من الصحابة من قريش وحلفائها وكنانة وخزاعة وثقيف وجماعة من ولاة مكة وقضاتها وخطبائها وأمتها ومؤذنيها، وجمع من العلماء والرواة والقاطنين بها والواردين عليها، ومن وسع المسجد الحرام، ومن عمر بها شيئاُ من الأماكن المباركة مثل المساجد والمواليد وغير **ذلك**[97].

وذيل **الفاسي** على المؤرخ **الذهبي** عدة كتب منها **بغية أهل البصارة في ذيل الإشارة** وذكر الذهبي في هذا الكتاب جماعة من الأعيان العلماء والرواة وغيرهم. وابتدأ فيه من السنة الأولى للهجرة، وانتهى إلى سنة (701هـ/ 1302م) فذيل **الفاسي** عليه من حيث انتهى إلى تاريخه على النمط الذي ذكره **الذهبي** وذيل على **الذهبي** في آخر صغير سماه **إرشاد ذوي الإفهام إلى تكميل كتاب الإعلام بوفيات الأعلام** ويسمى **درة التاريخ** ابتدأ به **الذهبي** من السنة الأولى للهجرة وانتهى إلى سنة (740هـ/ 1340م) فذيل **الفاسي** عليه ذيلا أبسط منه ومنا سباله وله الذيل الأخير على الكتاب **سير أعلام النبلاء في مجلدين**[98].

كما قام باختصار كتاب المؤرخ المشرقي **ابن رافع السلامي** المسمى **تاريخ علماء بغداد** المذيل على **تاريخ بغداد لابن النجار** وسماه **منتخب المختار**.

وعلى الرغم من أنه عاش في القـرن (9هـ/ 15م) فـإن مـؤرخي المشـرق العربي الذين اشتهروا بالتدوين التاريخي اعتمدوا اعتمادا كبيرا على مؤلفاتـه ونهلوا منها شيئاً كثيراً، وممن أخذ عنه مـن المـؤرخين الأقطـاب، **ابـن حجـر العسقلاني** الذي ذكر في مقدمة كتابه **أبناء الغمر** إن أهم المصادر الـتي عـول عليها هي مؤلفات **الفاسي**، وعلى الأخص كتابـه المسـمى **العقـد الـثمين في تاريخ البلد الأمين** فمن خلال مقارنة متمعنة، **يظهر ذلك** واضحاً خاصة وان الأسـلوب الـذي ينهجـه الفاسـي، هـو الأسـلوب نفسـه عنـد ابـن حجـر العسقلاني، والفروق **لا تكاد تلاحظ** فأسلوبهما واحد تقريبا[99].

أما **ابن تغري بردي** فقد كان أوضح من **ابن حجـر العسـقلاني**، عنـدما أشار إلى نقوله عن المؤرخ الفاسي، التي ضمنها كتابه **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** مثال ذلك أنه نقل من كتاب **العقد الـثمين** ترجمـة عبـد الله محـب الدين الطبري المكي بقوله: "قال الشيخ تقي الدين الفاسـي، وقـد أختلـف في وفاة المحب الطبري في أربعة أقوال..."[100].

وكان **الفاسي** قد قام بتدوين سيرة والده في كتاب **العقد الثمين** فجاء **ابن تغري بردي** ونقل الترجمة بكاملها ودونها في **المنهل الصـافي والمسـتوفي بعـد الوافي** دون زيادة ولا نقصان[101].

ونقل عن **الفاسي** المؤرخ **الداودي**، ومن مصدرين مختلفين فقد نقـل عـن **العقد الثمين** في موضعين من كتابه، مرة عن ترجمة لمحمد بـن أحمـد الزبيـدي حيث ذكر، قال **الفاسي** في تاريخ مكة: "كان إماما عالما فاضلا متفننا، انتهـت إليه الرياسة باليمن في علم الأدب..."[102] ونقل في المـرة الثانيـة خـبرا يخـص محمد بن علي المرسي يقول: قال الفاسي في تاريخ مكة: "ولـه تصـانيف منهـا

التفسير الكبير يزيد على عشرين جزءا والأواسط عشـرة و الصـغيرة ثلاثـة، ومختصر مسلم والكافي في النحو..."[103].

وكان **الداودي** المؤرخ الشرقي الوحيد، الذي نقل عن كتاب آخر **للفاسي** غير **العقد الثمين** هو كتاب **تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي في سـير النبلاء** ومنه أخذ بعضا من ترجمة محمد بن عوض الكرماني[104].

وأكثر النقل عن **الفاسي** المؤرخ **جـلال الـدين السـيوطي** في كتابـه **بغيـة الوعاة** وخاصة تراجم النحويين، الذين اشتهروا بمكـة المكرمـة، فنقـل علـى سبيل المثال ومن كتابه العقـد الـثمين قولـه في النحـوي محمـد بـن إسـحاق الخوارزمي نزيل مكة: "كان ذا فضل في العربية ومتعلقاتهـا وغـير ذلـك كـثير التصدي للاشتغال والإفادة والنظر، وأظنـه أخـذ العربيـة عـن صـهره إمـام الحنفية شمس الدين المعيد، وناب عنه في الأمانة بمكة، ودخل الهند وعـاد إلى مكة، وجمع شيئاُ في فضائلها وفضائل الكعبة..."[105].

وفعل الشيء نفسه عند حديثه عن نزيل مكة **محمد بن حجاج الحضـرمي** يقول قال **الفاسي** في تاريخ مكة: "ولد سنة ثامن عشرة وستمائة،وحج وسمع ابن مسدى، وعاد إلى الإسكندرية ثم إلى مكة ثم إلى عدن وأقـرأ بهـا النحـو وعاد إلى مكة فأقام بها إلى أن مات..."[106].

وهناك معلومات أخرى كثيرة لا حاجة لاستعراضها هنا فهي على شاكلة ما ورد حتى الآن[107].

وآخر من نقل عن **الفاسي**، كان المؤرخ **السخاوي** في كتابـه **الـذيل علـى رفع الإصر** وكانت نقوله ضئيلة جدا.

ويقول **السخاوي**: "ما رأينا مثلـه..."[108] ويـذكر **السـخاوي**، أن **الفاسـي** ترجم له بشكل كامل في كتاب أخر سماه **ذيل التقييد**.

فيكون **السخاوي** ثاني مؤرخ مشرقي، يعتمد على مصدرين **للفاسي أحدهما** غير متداول بين المؤرخين الآخرين[109].

20- **محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بابن مسدي:** ومن الذين نقلوا عنه **السبكي** صاحب كتاب **الطبقات الشافعية إذ** نقل عنه خبرا يتعلق بيحي بن عبد الرحمان أبو زكريا الأندلسي المعروف بالأصفهاني لإقامته بأصفهان ويورد **السبكي** الخبر بقوله: "قال ابن مسدي قحطنا بغرناطة فنزل أميرهم إلى شيخنا أبي زكريا، فقال تذكر الناس فلعل الله يفرج عن المسلمين فوعظ..."[110].

ونقل عنه **الأدفوي** خبرا حول سعد الله بن إسماعيل القفطي، الذي يذكره ابن مسدي بقوله: "مشهور النسب معروف الأدب... لقيته بقوص وسمعت شيئا من أدبه أجازني و أنشدني بقوص في سنة خمس وأربعين وستمائة..."[111].

ونقل عنه أيضاُ المؤرخ **السيوطي في بغية الوعاة** الذي يعتبر الوحيد من بين جميع من نقلوا عنه، الذي يسمى مصدره، يقول على سبيل المثال: "يقول ابن مسدى في معجمه عن عياش بن حوافر الأندلسي، كان عارفا بكتاب سيبويه أديبا شاعرا..."[112].

كما أخذ عنه المؤرخ **الداودي** عدة أخبار ضمنها كتابه **طبقات المفسرين** مثال ذلك أنه نقل بعض المعلومات عن محمد بن علي العربي، الذي قال عنه: "وكان يلقب بالقشيري لقب غلب عليه لما كان يشير من التصوف إليه"[113]، وعن محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القوبع، أخذ بعض المعلومات التي تدور حول إقامته وسكنه غداة وصوله إلى مصر[114].

ونلاحظ أن جميع النقول عن **ابن مسدي** كانت عن **مغاربة وأندلسيين، عاشوا في المشرق العربي**، وكانت له معرفة في معظمهم أضف إلى ذلك أن

هذه النقول كانت من **المعجم** الذي ذكره **السيوطي في** أغلب الظن إلى جانب المصادر المكتوبة **للأندلسيين والمغاربة** التي ذكرت حتى الآن فقد شكل بعض **المغاربة والأندلسيين** الذين أقاموا **بالمشرق** أو الذين زاروه لفترة قصيرة منهلا ثانيا استفادوا منه الشيء الكثير وقد تجسد هذا بالسماع بصورة مباشـرة مـن راوي الخبر ويمكن أن نسمي هذا القسم بالمصادر الشفوية.

فقد أكثر المشارقة من الاعتماد على أقوال **مغاربة وأندلسيين** إلتقـوهم في مواضع مختلفة، ولاسيما في مسائل لم تكن مدونة أو مؤلفـات تاريخيـة يمكـن العودة إليها إذا دعت الحاجة مما يعطي على هذا النـوع مـن المصـادر أهميـة خاصة يأتي في مقدمة هؤلاء المؤرخيـن **ابن أبي أصبيعة** صاحب كتاب **عيون الإنباء في طبقات الأطباء** حيث أكثر من الاعتماد على **المغاربة والأندلسـيين** بشكل لم يعهد عند غيره من كل مؤرخي **الديار المشرقية**.

فأخذ عن بعضهم معلومات عن **الطبيب الأندلسي ابن زهر**(115). وأخـذ عن **ابن عربي** نزيل دمشق، بعض الأخبار الطبية عن **ابن زهر**(116).

واعتمد كذلك على **القاضي محمد بن محمد أبو مـروان البـاجي** بصـورة مميزة فأخذ عنه شيئا كثيرا(117).

كما استعان بأندلسي آخر هو **عبد الله محمد المالقي**، الذي أعطـاه بعـض الأخبـار عـن الطبيـب علـي بـن رضـوان(118)، وعـن الطبيـب حسـين ابـن إسحاق(119)، و لم يقتصر **ابن أبي أصـبيعة** علـى سمـاع الأخبـار مـن أفـواه الأندلسيين والمغاربة فحسب، إنما تعدى ذلك إلى التطبيق الفعلـي، وهـذا مـا حدث عندما التقى الطبيب الصيدلاني **ضياء الدين بن البيطار** بمدينة دمشـق الذي أطلعه وعرفه على عدد من النباتـات، وأيـن تنمـو وتعـيش ومـا هـي صفاتها العلاجية والدوائية؟.

ويليه في التسلسل من حيث اعتماده على **المغاربة والأندلسيين** كمصدر شفهي المؤرخ **أبو شامة المقدسي** صاحب كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، فأكثر من معاشرتهم والإهتمام بأخبارهم وخاصة منهم الذين عاصروه وعاشوا معه بمدينة دمشق بصورة دائمة أو الذين زاروها لفترة قصيرة هذا بالإضافة إلى أنه لم يسعد إلا مع المرأة الأندلسية التي تزوجها كما يذكر عن نفسه وكان يلجأ في كثير من الأحيان إلى إعتبار معلومات المغاربة والأندلسيين الذين أخذ منهم أنها المصدر الوحيد لبعض المسائل التاريخية التي دونها في كتابه **الذيل على الروضتين**(120).

كما استعان بقول أندلسي آخر عند كتابته عن بعض المتصوفين الزهاد، فقال: "أخبرني أبو علي حسن عبد الله بن صدقة الصقلي الشيخ الصالح وفقه الله تعالى، سمعت شيخنا السخاوي يقول، سمعت ابن عباس يقول..."(121).

ومثله على هذا الصعيد المؤرخ **صلاح الدين بن أيبك الصفدي** صاحب كتاب **الوافي بالوفيات** الذي كان لا يجد حرجا في الاعتماد على أقوال المغاربة والأندلسيين وتدوينها فنقل بعض الأخبار عن أثير الدين أبو حيان النحوي، ونقلها عنه ابن تغري بردي عن الصفدي ودونها في كتابه **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، يقول **ابن تغري بردي** حول بعض التراجم: "قال الإمام صلاح الدين ابن أيبك أخبرني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال رأيت المذكور بالقاهرة وحضرت جلسة"(122).

ويكرر الشيء نفسه عند ترجمته لسيرة أحمد بن عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعز، يذكر قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: "وأخبرني من لفظه الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان قال درس المذكور بالهكارية و القطبية وتولى الحسبة بآخره وكان له معرفة بالأدب وتقييده..."(123).

ويبدو أن **الصفدي** كثيرا ما كان ملازمالأبي حيان. فهو يذكره في مواضع كثيرة من كتابه الوافي بالوفيات. ومن خلال هذه الملازمة والتردد عليه، كـان يستفيد من الذين يجمع بهم عنده. فقد كان **المغاربة والأندلسيون** يقصـدونه، مثلهم في ذلك مثل أهل **المشرق** مـن أجـل الانتفـاع بعلمـه ومعرفتـه، فنقـل الصفدي عن أحد الأندلسيين، الذين إلتقاهم في بيت أبـي حيـان[124]، وهـو **محمد بن محمد الغرناطي**.

وأخذ **الصفدي** أيضا بعض الأخبار الشفوية عن المؤرخ **ابن سيد النـاس اليعمـري الأندلسـي**، مثـل الخـبر الـذي يـدور حـول الـوزير فخـر الـدين الخليلي[125].

واعتمد المؤرخ **الأدفوي** صاحب كتاب **الطالع السعيد في تاريخ الصـعيد** على عدد من **المغاربة** فأخذ من **الحسن بن عبد الرحيم السبتي** معلومات عن عدة أمور، تتعلق بمدينة سبته المغربية[126].

أما المصدر الشفهي الهام الذي استقى منه **الأدفوي** فقد تمثل في شيخه **أبي حيان** النحوي الذي أخذ عنه شيئا كثيرا وبصورة مباشرة وكله دونه في كتابه الأنف الذكر[127] مثال ذلك ما أورده بقوله: "وحكى لي شيخنا أثير الدين أبو حيان... أنه اجتمع بأحد سـكان مدينـة قـوص الـذي قـال لـه لـو وجـدت بالقاهرة رغيفين ما خرجت منها"[128].

ويقول في مكان **ثان** وفي صدد حديثه عن محمد بن أحمد القـرطبي: "حكـى لنا شيخنا أثير الدين أبو حيان وقال وردت قنا وسمعت عليه من أول مسلم وامتدحته بقصيدة... وأخذ عن شيخه الباجي عـلاء الـدين علـي بـن محمـد خبرا عن ابن دقيق العيد"[129].

واعتمـد **الـداودي في طبقـات المفسـرين** علـى أقـوال بعـض **المغاربـة** الشفوية[130].

ونقل **اليوسفي** صاحب كتاب **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر** عن بعض **المغاربة** الذين عاصرهم بمدينة القاهرة خلال القرن (8هـ/ 14م)، وأخذ بعض أقوالهم ودونها في كتابه المذكور منها ما أخذه عن **الطبيب صلاح الدين المغربي** رئيس الأطباء حول مرض أحد أبناء **السلطان الناصر محمد بن محمد قلاوون**[131] وأخذ عنه خبرا ثانيا حول الأمير بكنمز الساقي الذي مات مسموما[132].

واعتمد **علي ابن سيد الناس** الذي حكى له عن نزلة أصابت خده وكان يعاني منها كثيرا بقوله: "وحكى لي أنه ذكر ذلك بعض الليالي في نفسه وقال يا سيدي يا رسول الله قد ضرني ما أرى من هذا الأثر في وجهي وتوسل به فرأى النبي ﷺ وقد مر بيده الطاهرة على تلك الكبة فانفجرت واستيقظ لما أحس منها و رآها وقد جرى منها شيء كثير..."[133].

وذكر في مكان **آخر** أن **ابن سيد الناس** أوقفه على كتاب وصله من المغرب مع ابن عمه ودونه، وهو خليط من نثر وشعر، و عرض عليه مراسلات له مع بعض العلماء[134].

ويحتوي كتاب **إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني** بعض الأخبار الشفهية الصادرة عن **مغاربة وأندلسيين** بطريقة السماع المباشر، مثال ذلك ما ذكره في سياق ترجمة **أحمد بن يحي التلمساني**، الذي عرف **بابن أبي حجلة** أن صاحبه **أبو زيد المغربي**، كان قد أخبر **ابن حجر** شفهيا عن وصية **لابن أبي حجلة** ومفادها أنه قبل أن يموت أوصى أن يدفن معه ذلك الكتاب الذي وضعه في الحط على ابن الفارض الشاعر المتصوف المعروف الذي نهج منهج **ابن عربي** صاحب مذهب وحدة الوجود[135].

ويحتوي أيضا كتاب **طبقات الشافعية لتقي الـدين السـبكي** علـى بعـض الأخبار التي نقلها عن أناس، سمعوها عن **مغاربة وأندلسـيين**. فقـد ذكـر في ترجمة عبد الرحمان إبراهيم الفزاري المعروف بالفركاح ما يلي:

"أخبرنا **الشيخ تاج الدين بن الفركاح و الشيخ فخر الدين ابن البخـاري** قرأه عليهما، قال الأول: أخبرنا **الإمام شرف الدين محمـد بـن عبـد الله بـن المرسي** قراءة عليه"[136].

ونقل **القفطي** صاحب كتاب **أخبار العلماء بأخبار الحكمـاء** خـبرا عـن بعض الأطباء المغاربة نزلاء مدينة حلب عند ترجمته للطبيب عبد السلام بـن عبد القادر البغدادي بقوله: "أخبرني بن الحكـيم يوسـف السـبتي قـال كنـت ببغداد يومئذ تاجرا و حضرت المحفـل، و سمعـت كـلام ابـن المارسـتانية، و شاهدت في يده كتاب الهيئة لا بن الهيثم..."[137].

وقد فعل مثل ذلك **المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي**، الذي اعتمد في كتابه **ذيل تاريخ مدينة دمشق** على بعض الأخبار، التي استقاها من الفقيه **محمد بن عبد الجبار الصقلي**، الذي وصل إلى دمشق ضمن مجموعة من المغاربة خلال النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م[138].

يضاف إلى كل ذلك المعلومات التي كان ينقلـها التجـار و الحجـاج علـى مختلف الأصعدة.

وهكـذا يمكـن أن نقـول، إذا قمنـا بإحصـائيات دقيقـة لمجمـوع الكتـب التاريخية، التي ألفها **المغاربة و الأندلسيون**، أثناء وجودهم في **المشرق العربي** خلال العصور الوسطى، فان هذا المجمـوع، يصـل إلى مـا يقـرب مـن **أربعـة وعشرين** مؤلفا في شتى أنواع طرق الصناعة التاريخية. و أن الـذي بقـي مـن هذه المؤلفات **المخطوط** منها و **المطبوع** و **قيد التداول**، يقارب **العشرة كتـب** تتفـاوت مـن حيـث ضـخامتها، و يـأتي في مقـدمتها **تـاريخ ابـن خلـدون**

المسمى **العبر**، ويليه **تاريخ الفاسي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، ثم **تاريخ البرزالي**.

ويكون بذلك هؤلاء المؤرخين قد أسهموا بجزء مهم في بناء صرح حضاري عربي في **المشرق العربي**، ومعظم مؤلفاتهم وضعت لغايات نبيلة، طالما افتقدها العرب في أيام المحن والشدائد، وهي إعادة الوئام و الوحدة لأجزاء من **وطننا العربي مشرقه ومغربه**.

وحلّ هؤلاء المؤرخوين محل السياسيين والحكام في ربط صلة العرب والمسلمين ببعضهم البعض، ونشر الثقة والأمان في أوساطهم، و أملهم أن يكون مستقبل هذا الوطن مستقبل العزة والكرامة، مستقبلا بلا حدود ولا جوازات ولا حواجز لمواجهة الخطر الأمريكي والأوروبي تحث قيادة صليبية جديدة.

الهوامش:

---

(1)محمد عبد الله عنان، (كتب تأثرت بمقدمة ابن خلدون)، **مجلة العربي**، العدد 182، سنة 1974م، وزارة الثقافة، الكويت، ص187-189

(2)الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت 764هـ/ 1362م، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: محمد يوسف نجم وآخرون، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان ن1982م، ج2، ص139-194.

(3)ابن أبي أصبيعة السعدي الخزرجي ت 668هـ/ 1269م ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان1965م، ج1، ص79-80-84.

(4)الذهبي، محمد بن أحمد شمس الدين ت748هـ/ 1347م، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلاتا ج3، ص53.

(5) **نفس المصدر**، ج3، ص53.

[6]ابن كثير، عمادالدين إسماعيـل ت774هــ/ 1372م، **البـدا يـة والنهايـة**، مكتبـة المعارف، بيروت، لبنان، 1990م ، ج13، ص144.

[7]طبع المرة الأولى سنة 1949، بتحقيق وتعليق عباس العزاوي في بغداد.

[8]إسماعيل البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصـنفين**، اسـتانبول، 1951م، ج1، ص786. عبـاس العـزاوي، **التعريـف بـالمؤرخين في عهـد المغـول و التركمان**، بغداد 1957، ص59-60.

[9]المقريزي، أحمد بـن علـي، **الخطـط المسـماة المـواعظ والاعتبـار**، دار صـادر، بيروت، بدون تاريخ، ج1، ص326. أنظر أيضاً ص489 حيث ينقـل عنـه خـبراً أخر.

[10]ابن سعيد ، علي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربـي، ط1، المكتـب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت1970م، صفحات16-17-20-23.

[11]**نفس المصدر**، ص23.

[12]القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي ت821هــ/ 1418م، **صـبح الأعشـى في صناعة الإنشا**، المؤسسـة المصـرية العامـة، القـاهرة1963م، ج5، ص249. ابـن سعيد، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، عمان الجامعـة الأردنيـة 1982م، ج1، ص31.

[13]القلقشـندي، **المصـدر السـابق**، ج5، ص296-298. ابـن سـعيد، المصـدر السابق، ج1، ص93.

[14]القلقشندي، **المصدر السابق**، صفحات322-323-367-371-471.

[15]الأدفوي، كمال أبو الفضل جعفر ابن ثعلب بن جعفر، **الطـالع السـعيد في تـاريخ الصعيد**، جمع و تصحيح أمين عبد العزيز، المطبعة الجمالية، مصر، 1914، ص288.

[16]السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكرت911هـ/ 1505م، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق:محمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، مصر1965م، ج1، ص103.

[17]**نفس المصدر**، ج1، ص204.

[18]السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر –ت911هـ/ 1505م، **حسن المحاضرة في تاريخ مصروالقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية1967م، ج2، ص125.

[19]ابن شاكر، **فوات الوفيات**، **المصدر السابق**، ج2، ص99 وما بعدها.

[20]**المصدر السابق**، ج1، ص139.

[21]البرابي، المقصود بها السلات المصرية الشهيرة.

[22]ابن مماتي، أسعد بن المذهب بن أبي هليج، تحقيق: عزيز سوريا (عطية)، الجمعية الزراعية الملكية، **قوانين الدواوين**، مصر 1943م، ص80.

[23]العماد الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق 1959م، ج2، ص121.

[24] **نفس المصدر**، ج2، ص177-185.

[25]القفطي، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص209-210.

[26]ابن أبي صبيعة، **المصدر السابق**، ج2، ص176-177.

[27]المقريزي، **الخطط**، ج1، ص118.

[28]**نفس المصدر**، ج1، ص35.

[29]النويري، **نهاية الأدب في فنون الأدب**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1923م، ج11، ص277.

[30]القفطي، **المصدر السابق**، ص295-299.

[31] السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج2، ص401.

[32] البدري، **نزهة الأنام في محاسن الشام**، المصدر السابق، ص180 وما بعدها.

[33] المقريزي، **الخطط**، ج1، ص115-116. وأنظر قوله عن قصر أحد الفراعنة بمدينة منف، ص135.

[34] **نفس المصدر**، ج1، ص161.

[35] ابن أبي صبيعة، **المصدر السابق**، ج3، ص270 وما بعدها.

[36] **نفس المصدر**، ج3، ص270 وما بعدها.

[37] الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، المصدر السابق، ج3، ص154-155.

[38] المقريزي، **الخطط**، ج1، ص372.

[39] الصدفي، **الوافي بالوفيات**، المصدر السابق، ج1، ص292.

[40] اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، ط1، بيروت 1986، ص216–217.

[41] ابن شاكر الكتبي، **المصدر السابق**، ج1، ص71.

[42] اليوسفي، **المصدر السابق**، ص87.

[43] الأدفوي ، كمال الدين أبو الفضل جعفر ابن ثعلب بن جعفر، **الطالع السعيد في تاريخ الصعيد**، جمعه و صححه أمين عبد العزيز، المطبعة الجمالية، مصر 1914م، ص569-570. ونظر بعض الأخبار الأخرى التي ينقلها عن ابن سيد الناس، ص578.

[44] السيوطي، **المصدر السابق**، ج1، ص317.

[45] الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة 1348هـ، ج1، ص404.

[46] **المصدر السابق**، ج1، ص354.

[47] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، المصدر السابق، ص183.

[48] ابن حبيب، **درة الأسلاك في تاريخ ملك الأتراك**، مخطوطة في مكتبة عبد الجبار زكار، وهي نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، حوادث سنة 739هـ، ورقة 23.

[49] **درة الأسلاك**، حوادث سنة 739هـ، ورقة 23.

[50] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص183.

[51] **نفس المصدر**، ج14، ص9.

[52] نفسه، ج14، ص22.

[53] **نفسه**، ج14، ص32.

[54] ابن رافع السلامي، محمد، **الوفيات**، تحقيق: عبد الجبار زكار، طبع بدمشق 1985م، ج1، ص10.

[55] **نفسه**، ص20-21. و أنظر ما ينقله أيضاً، ص29-58 و ص113-133.

[56] النعيمي، **المصدر السابق**، ج1، ص353.

[57] الأدفوي، **المصدر السابق**، ص386. **دائرة المعارف الإسلامية**، مجلد 3، الترجمة العربية، ص534. الكتبي، المصدر السابق، ج3، ص196. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج9، ص319.

[58] ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج1، ص4-5.

[59] **نفس المصدر**، ج1، ص45.

[60] ابن حجر، **إنباء الغمر**، ص142-143.

[61] ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، ص77.

(62) **نفس المصدر**، ص84.

(63) **نفسه**، صفحات85-101-320.

(64) **نفسه**، ص403. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، ج2، دار المعرفة، بيروت، ص419.

(65) ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، ج6، ص23-24.

(66) ابن العماد الحنبلي، ج6، ص24-25. وأنظر أيضاً ما نقله عن البرزالي، **المصدر نفسه**، ج5، ص425-426.

(67) السيوطي: **بغية الوعاة**، ج2، ص8.

(68) الداودي، **طبقات المفسرين**، ج2، ص325.

(69) نضار: هي ابنة أبي حيان النحوي، كان يحبها جداً، فتأثر عليها كثيراً عندما ماتت حتى أنه طلب من السلطان أن يسمح له بدفنها في بيته لتكون في جواره فكان له ذلك، وباسمها ألف هذا الكتاب.

(70) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج5، ص73-74.

(71) الأدفوي، **المصدر السابق**، ص5.

(72) السبكي، **طبقات الشافعية**، ط1، القاهرة، بلاتا، ج8، ص991.

(73) ابن شاكر الكتبي، **المصدر السابق**، ج1، ص232.

* وهي بخط رحبة باب السعيد بالقاهرة قرب جامع بيبرس الجاشنكيري كانت تعرف بمعهد الفاطميين بدار سعيد السعداء، فعملها صلاح الدين خانقاه الصوفية سنة 569هـ، وتعرف بالصلاحية وهي عامرة إلى الآن وتعرف بجامع الخانقاه وسعيد السعداء (**الخطط التوفيقية**) 6/ 50.

(74) ابن شاكر الكتبي، **المصدر السابق**، ج1، ص266.

(75) **نفسه**، ج1، ص226.

(76) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، المصدر السابق، ج1، ص320-324.

(77) السيوطي، **بغية الوعاة**، ج1، ص14.

(78) السخاوي، **الذيل على رفع الأصرص**، تحقيق: جودة هلال، و محمد محمود صبحي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ص53.

(79) **نفس المصدر**، ص202.

(80) الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة (1348هـ/ 1929م)، ج1، ص34.

(81) **نفس المصدر**، ص404.

(82) السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ج2، المصدر السابق، ص403.

(83) ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص222.

(84) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج2، ص453.

(85) الداودي، **المصدر السابق**، ج2، ص98. وأنظر أيضا صفحات182-236-241.

(86) ابن أبي حجلة، **المصدر السابق**، ص349-350.

(87) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج1، ص24-25.

(88) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج3، ص450 وما بعدها.

(89) عبد الحميد حاجيات، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زياد"، **مجلة الأصالة**، عدد26، السنة الرابعة 1975م، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص139-154.

[90] عبد الرحمان بن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، ص49 وما بعدها.

[91] مجلة العربي، **المرجع السابق** ، ص187

[92] السيوطي، **حسن المحاضرة**، المصدر السابق، ج1، ص536.

[93] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، حرره فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك 1927، ص183.

[94] ابن حجر، **إبناء الغمر**، ج1، ص93.

[95] مجلة العربي، **المرجع السابق**، ص188.

[96] السيوطي، **طبقات الحفاظ**، تحقيق: علي محمد عمر، مصر 1937م، ص524.

[97] طبع هذا الكتاب في المملكة العربية السعودية في عدة أجزاء.

[98] الحسني، أبو المحاسن، **ذيل تذكرة الحافظ**، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص291 وما بعدها. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج7، ص199. الشوكاني، **المصدر السابق**، ج2، ص114. الفاسي، تقي الدين، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1959م، ج1، ص341.

[99] ابن حجر، **إبناء الغمر**، ج2، ص4.

[100] **ابن تغري بردي**، **المنهل الصافي**، ج2، ص328.

[101] **نفس المصدر**، ج1، ص381-382.

[102] الداودي، **المصدر السابق**، ج2، ص89.

[103] **نفس المصدر**، ج2، ص170.

[104] السيوطي، **بغية الوعاة**، ج1، ص221.

(105) **نفس المصدر**، ج1، ص54.

(106) نفسه، ج1، ص74.

(107) نفسه، ج2، صفحات62-145-253-267، ص144.

(108) السخاوي، **الذيل على رفع الإصر**، ص86.

(109) السبكي، **المصدر السابق**، ج8، ص400.

(110) نفس المصدر، ج8، ص400.

(111) الأدفوي، **المصدر السابق**، ص 252. وانظر كذلك ص417.

(112) السيوطي، **بغية الوعاة**، ص239.

(113) الداودي، **المصدر السابق**، ج2، ص238.

(114) نفس المصدر، ج2، ص238.

(115) ابن أبي صبيعة، **عيون الأنباء**، ج3، ص107.

(116) **نفس المصدر**، ص108، ثم صفحات110-111-113.

(117) **نفسه**، ص112 وما بعدها.

(118) **نفسه**، ص167.

(119) **نفسه**، ج2، ص146.

(120) أبو شامة، **الذيل على الروضتين**، المصدر السابق، ص163.

(121) **نفس المصدر**، ص30.

(122) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج1، ص163.

(123) **نفس المصدر**، ج1، ص359.

(124) الصدفي، **الوافي بالوفيات**، ج1، ص222-237. كما ضمن كتابه بعض الأخبار كلها منقولة عن أبي حيان أنظر ذلك في ص177-206.

(125) **نفس المصدر**، ج1، ص218-239.

(126) الأدفوي، المصدر السابق، ص298.

(127) **نفس المصدر**، ص479، وانظر ص573-574.

(128) نفسه و في نفس المكان.

(129) الأدفوني، **المصدر السابق**، ص484.

(130) الداودي، **طبقات المفسرين**، ج2، ص165.

(131) اليوسفي، موسى بن محمد، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق: أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت 1986م، ص145.

(132) **نفس المصدر**، ص162.

(133) **نفسه**، ص217.

(134) **نفسه**، ص220.

(135) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج1، ص81-82.

(136) السبكي، **المصدر السابق**، ج8، ص163-164.

(137) القفطي، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص239.

(138) ابن القلاسني، حمزة بن أسد، **ذيل تاريخ دمشق**، مكتبة المثنى، بيروت 1908م، ص293.

العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية
(الفترة العثمانية)

الدكتور أرزقي شويتام

أستاذ محاضر قسم التاريخ

جامعة الجزائر2

لمحة عن العلاقات العامة بين الأقطار المغاربية:

تميزت العلاقات بين الجزائر والأقطار المغاربية، ولاسيما تونس والمغرب الأقصى، بالصراع والتنافس منذ أقدم العصور، وتعد قضية الحدود بين تلك الأقطار، من العوامل التي كانت وراء توتر العلاقات ونشوب الحروب من حين لآخر. وقد سبق للأقطار المغاربية أن توحدت تحت راية الموحدين (1147-1269م)، بما في ذلك الأندلس. إلا أنه بمجرد أن زالت دولة الموحدين، انقسم المغرب إلى ثلاث دويلات[1]. وكان كل طرف يدعي أحقية وراثة الدولة الموحدية، وهذا ما أدى إلى اشتداد التنافس واندلاع الحروب. وكان لذلك آثار سلبية على الأوضاع الداخلية لتلك الدويلات، وظهرت الانقسامات والتحالفات بين أطراف ضد طرف آخر. فتحالف المرينيون مع الحفصيين ضد الزيانيين في عدة مناسبات، وامتد المد المغربي في عهد مولاي إسماعيل العلوي إلى نهر الشلف بالجزائر. كما امتد النفوذ الحفصي إلى بجاية وجزء من وسط الجزائر، وتقلصت حدود الدولة الزيانبة لتنحصر في تلمسان وضواحيها، بل سقطت دولة الزيانيين في يد حكام المغرب الأقصى. وقد

عرفت العلاقات المغاربية منعرجا خطيرا بعد أن ظهر العثمـانيون في المنطقـة كطرف رابع في حلبة الصراع المغـاربي، ولاسـيما بعـد أن تمكنـوا مـن ضـم الجزائر في عام 1519م[2]، وطرابلس في عام 1561م، وتونس في عـام 1574م، إلى ممتلكات الدولة العثمانية[3]، فاتخذ العثمانيون الجزائر قاعدة لشن حمـلات عسكرية ضد المغرب الأقصى قصد ضمها هي الأخرى[4].

وهناك من أرجع أسباب الصراع الذي كان ناشبا بين الجزائر وتـونس إلى سياسة العثمانيين في منطقة المغرب، إذ أقدموا في عام 1587م علـى اسـتبدال نظام البايلربايات بنظام الباشوات، كما أنهم قسموا المنطقة إلى ثلاث ولايات مستقلة، يعين على رأس كل واحدة منها حاكما. وقد كان هذا التقسيم سببا في إجهاض الوحدة المغاربية (الجزائر وتونس وطرابلس)، التي بدأت معالمها ترتسم في الأفق [5].

فإذا كان وضع العلاقات السياسية بين الأقطار المغاربية على النحو الـذي ذكرناه، فما هـو حـال العلاقـات الثقافيـة، وإلى أي مـدى تـأثرت بالوضـع السياسي العام، الذي كان سائدا في تلك الأقطار؟

إذا كانت قضية الحدود والأهداف الاقتصادية والإستراتيجية تمثل هاجس الحكام المغاربة، فإن هذه الدوافع والمرامي لم تخطر في بال شعوبهم، ولاسـيما العلماء والمثقفين بصفة عامة، الذين لم يتقيدوا بفكـرة الحـدود عـبر المراحـل التاريخية المختلفـة، وحتـى في تلـك الفـترات الـتي وصـلت فيهـا العلاقـات السياسية إلى ذروة التوتر، فكانوا يعتبرون الأقطار المغاربيـة وحـدة متكاملـة، مرتبطة بالمشرق العربي بروابط الدين واللغة والتاريخ المشترك. لقـد لاحظنـا كم من عالم مغاربي ترك بلاده ليستقر ببلد شقيق في المغرب أو في المشرق، بل هناك من دفن بعيدا عن بلاده وأهله، ولم يكونـوا يشـعرون بالغربـة. فكـانوا

يعتبرون أنفسهم بين ذويهم أينما حلوا، فمنهم من تزوج وانصهر في مجتمع غير مجتمعه، أمثال أحمد المقري التلمساني [6].

كان علماء ومثقفو المغاربة عامة، يشكلون وحدة متماسكة على مستوى الأقطار المغاربية والمشرقية. فكانت لهم أروقة خاصة، تعرف باسمهم في معظم المراكز الثقافية والعلمية المنتشرة في البلدان العربية، مثل رواق المغاربة في الأزهر [7] وكانوا يعيشون في الأقطار العربية (مصر، وفلسطين، والحجاز، وسوريا) في أحياء تعرف بحارة المغاربة،[8] حتى أن المشارقة لا يميزون بين الجزائري والمغربي والتونسي والليبي، فكانوا ينعتونهم بالمغاربة. وهنا تكمن صعوبة تحديد أصل الشخص وبلاده، اللهم إن كانت له مؤلفات، إذ من العادة أن يذكر صاحبها اسمه مع الإشارة إلى بلاده الأصلي، مثل فلان الجزائري، القسنطيني، التلمساني، الزواوي، الفاسي، المراكشي، التونسي، البنزرتي، الطرابلسي.

إن الوحدة والترابط الذي كان يميز المغاربة خارج إقليمهم، يجعل المرء لا يشعر بأنهم جاؤوا من دول مختلفة، تفصلها الحدود السياسية. فكانت تلك الصلات بين علماء ومثقفي المغاربة، غالبا ما تتقوى خلال مواكب الحجيج، التي كانت تنطلق من تازة بالمغرب الأقصى، مرورا بالجزائر وتونس وطرابلس والإسكندرية والقاهرة، لتصل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة [9]. وكان المغاربة خلال هذه الرحلة يتقاسمون الأتعاب ومشقة السفر ومعاناته. فتعتبر تلك الرحلة التي تستغرق مدة زمنية طويلة، من العوامل التي تساعد على تقوية روابط المحبة والمودة بين أفراد الركب، بل كانت مناسبة للعلماء والمثقفين عامة للتعارف وتبادل المعارف. " فكانوا يتصلون بالمثقفين والعلماء، فيتلقون مزيدا من التكوين العلمي، أو يقومون بالتدريس تطوعا لبعض الوقت، خلال ذلك تتاح لهم فرصة التعارف على النشاط الثقافي والتطورات العامة بالجهات التي يحلون بها" [10].

مظاهر التبادل الثقافي بين الأقطار المغاربية:

لقد تنوعت دوافع وأوجه التبادل الثقافي بين علماء ومثقفي الأقطار المغاربية، التي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1ـ **طلب العلم:** تميز علماء ومثقفو المغاربة بكثرة التنقلات إلى منابع ثقافتهم، لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم، عملا بالقول القائل، أطلب العلم ولو في الصين. وكان المثقفون والطلبة المغاربة يتنقلون بين أرجاء الدول العربية والإسلامية مشرقا ومغربا، لتوسيع أفاقهم العلمية والمعرفية. فكانوا يلازمون مشاهير العلماء والشيوخ في النوادي والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي. وبعد التحصيل، يعود الطلبة والعلماء إلى أوطانهم لنشر علمهم ومعارفهم بين أبناء بلدهم. وهناك من كان يفضل البقاء والاستقرار في إحدى الدول الشقيقة، يتقلد بها منصبا معينا، مثل التدريس، والإفتاء، والقضاء، وغيرها [11].

2ـ **أداء فريضة الحج:** لاحظنا أن معظم العلماء الذين كانوا يتوجهون إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، يجعلون تلك الرحلة مناسبة للاحتكاك بالعلماء المسلمين المتوافدين. فيحدث هناك تبادل ثقافي وعلمي فيما بينهم. وكان العلماء المغاربة يتوقفون بالعواصم العربية لأخذ العلم أو إعطائه، مثل الزيتونة بتونس، والإسكندرية، والقاهرة، والقدس، ودمشق، وبغداد، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة. وكان أصحاب تلك الرحلات، غالبا ما يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفات، تعرف بالرحلات الحجازية. والتي كانت تحتوي على المسالك والمحطات التي مر بها صاحبها، والعلماء والصالحين، الذين التقى بهم أو زار أضرحتهم أو زواياهم. وتفيد تلك الرحلات المسجلة الباحث في معرفة بعض جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجغرافية لمعظم الأقطار التي توقف عندها صاحب

الرحلة [12]. وعلاوة على الرحلات الحجازية، هناك رحلات دبلوماسية تقوم بها بعض الشخصيات السياسية. وكان أولئك الدبلوماسيون يسجلون ملاحظاتهم عن المناطق التي مروا بها، والدول التي أوفدوا إليها، وكذا لقاءاتهم بالشخصيات السياسية والعلمية [13].

3ـ **الهجرة الإجبارية:** لقد أضطر بعض العلماء والمثقفين المغاربة إلى ترك بلدانهم ليستقروا في إحدى الدول العربية أو الإسلامية. وقد تعود أسباب هجرتهم إلى معارضتهم للنظم السائدة في بلدانهم، مما كان يعرضهم للمضايقات والاضطهاد. فكلما ضاقت بهم السبل في بلدانهم، انتقلوا إلى إحدى الدول التي توفر لهم الأمن والاستقرار. وكان الحكام في بعض الحالات، يستدعون بعض العلماء المضطهدين في دولهم، ليوظفونهم ضد خصومهم داخليا وخارجيا. فقد استغاثت مجموعة من علماء تلمسان في القرن السادس عشر بسلطان المغرب الأقصى عبد الله الغالب (1557-1574م)، عندما توترت العلاقات بينهم وبين الحكام العثمانيين. فأرسل إليهم جنودا، ونقلهم إلى فاس. وكان من بين هؤلاء العلماء، أحمد بن أحمد العبادي التلمساني، الذي استقر بفاس في عام 1561م، ثم عاد إلى تلمسان، واتخذ مليانة مقرا له [14]. كما حظي الأديب الجزائري سعيد المنداسي، المتوفى عام 1677م [15]، بمكانة خاصة لدى سلطان المغرب، مولاي محمد بن الشريف، الذي منحه خمسة وعشرين رطلا من الذهب، مقابل مدحه بأشعاره، مما عزز سياسة السلطان الداخلية في الوقت الذي كان عهده يواجه اضطرابات وعدم استقرار. وقد تكررت هذه الظاهرة أيضا، في عهد السلطان مولاي سليمان، إذ استقدم أحد أدباء الجزائر محمد بن الشاهد، الذي أشاد في قصائده بسياسة السلطان التربوية، منوها بأهمية تدريس مختصر خليل، الذي عرف تراجعا في عهد السلطان محمد الثالث [16].

العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى:

تعود العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى إلى أمد بعيد، إذ كان العلماء المغاربة والأندلسيون يشكلون مدرسة واحدة. وقد قيل عن علماء الأندلس "كان لشعورهم بسوء العاقبة يعملون في الهجرة إلى ما جوارهم من بلدان. وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى ثم تونس. وبدخول رحالة الأندلس، أصبحت هاته الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية"[17].

ومن هنا يبدو أنه ليس من المعقول دراسة العلاقات الثقافية بين الأقطار المغاربية دون إدراج علماء الأندلس، الذين كان لهم دور بارز في إثراء الحركة العلمية والثقافية في العالم العربي، وبالأخص منطقة المغرب. ويبرز العالم الأندلسي أبو الحسن علي القلصادي المتوفى سنة 891هـ/ 1486م[18] في رحلته، تلك العلاقات الثقافية والعلمية التي كانت تربط ما بين علماء الدول المغاربية والأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي[19]. ومن جملة العلماء الجزائريين الذين أخذ عنهم القلصادي العلوم النقلية والعقلية بمدينة تلمسان، محمد بن مرزوق الحفيد [20]، وعيسى الرتيمي، ومحمد الشريف، ويوسف الزيدوري، ومحمد بن النجار وأحمد بن زغو، وقاسم العقباني [21].

إن الغاية من ذكر هؤلاء العلماء، هو معرفة بعض الجوانب من الحياة الثقافية في الجزائر قبل إلحاقها بالدولة العثمانية والاطلاع عليها، لتعريف المثقفين، الذين سيأتون لاحقا، ويتولون مهمة تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر.

أما في الفترة الحديثة (1519-1830م)، التي نحن بصدد دراستها، فإن العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى، قد تمثلت في قيام علماء ومثقفي البلدين بتبادل الزيارات العلمية. فهناك من يسافر من أجل

التحصيل العلمي والمعرفي، وأخذ الإجازات من مشاهير المشايخ [22]. وهناك من كان يفضل المقام والاستقرار في القطر الشقيق، مما كان يمكنه من تقلد المناصب في مجال التدريس، والقضاء، والإفتاء، والخطابة، وغيرها.

وكان علماء تلمسان من الأوائل الذين كانت تربطهم صلات بالمغرب الأقصى، ومؤسساتها العلمية، بحكم قرب المسافة بين مدينتهم ومدن المغرب. بينما في الفترة اللاحقة، فإن التنقل لم يكن مقصورا على علماء الغرب الجزائري، بل شمل معظم القطر الجزائري. فارتحل العلماء من الشرق الجزائري ووسطه وجنوبه [23] إلى المغرب الأقصى للاستفادة والإفادة. وهذا ما جعل أحد الدارسين يقول عن الثقافة بين القطرين: "إن تنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر كتنقل سكان الجزائر بين وهران وتلمسان، وسكان المغرب بين فاس ومكناس" [24].

لقد أدت الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر في مطلع القرن السادس عشر إلى هجرة عدد كبير من العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى. ويعود أصل معظمهم إلى مدينة تلمسان. وكان وراء تلك الهجرة، الاضطرابات التي عرفتها المنطقة الغربية من البلاد، إذ دخل العثمانيون في صراع مع الزيانيين [25]، المتحالفين مع الإسبان. كما دخل سلاطين المغرب الأقصى في حلبة الصراع كطرف ثالث. ولاشك أن ذلك الوضع لم يكن ليشجع العلماء الجزائريين على البقاء في وطنهم، إذ من طبيعتهم دائما البحث عن جو يسوده الهدوء والاستقرار، لأداء رسالتهم العلمية على أحسن وجه. وبما أن ذلك لم يكن يتوفر في بلادهم، فإنهم فضلوا البحث عن أماكن آمنة.

ومن بين العلماء الجزائريين الذين انتقلوا إلى المغرب الأقصى في بداية العهد العثماني، أبو الحسن المطغري وأحمد الونشريسي [26]، وعلي بن موسى بن هارون، ومحمد بن محمد التلمساني، ومحمد شقرون، وعبد الواحد

الونشريسي، وابن جيدة الوهراني، وعلي بن عيسى التلمساني، وأحمد العقباني[27]، ومحمد بن عبد الرحمن التلمساني، وأبو القاسم بن سلطان، ويحيى الزواوي، ومحمد بن الوقاد، وأحمد المقري[28].

ونلاحظ أن عدد العلماء الجزائريين الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى كان معتبرا نسبيا خلال القرن السادس عشر. وقد تعود الأسباب المتحكمة في هذه الهجرة الجماعية، إلى الأوضاع العامة المضطربة التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك.

ومهما كانت دوافع الهجرة، فإن العلماء الجزائيين قد تقلدوا عدة مناصب في جامع القرويين بفاس ومختلف الحواضر المغربية، مثل مكناس ومراكش وتارودانت. وهناك من نال مكانة مميزة عند سلاطين المغرب، أمثال محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (1502–1573م)، مفتي تلمسان وفاس. فقد تولى في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي، الإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين. وكان يقوم بجولات علمية إلى المدن المغربية، مثل تارودنت ومراكش[29]. وحذا حذوه محمد بن أحمد التلمساني، المعروف بابن الوقاد توفي عام 1591م، الذي استقر بتارودانت، وولي بها قضاء الجماعة ثم انتقل إلى مكناسة الزيتون حيث تولى الخطابة، ليستقر في الأخير بتارودانت [30]. كما خصص السلطان الغالب لمحمد بن هبة الله المعروف بابن شقرون التلمساني (1503–1575م)، كرسيا للتدريس داخل قصره، وتولى الفتوى ورئاسة العلم في مراكش[31]. ونال محمد بن عبد الكريم الجزائري، الذي توفي بفاس في عام 1690م، مكانة سامية عند السلطان مولاي إسماعيل [32]

وقد ساهم العلماء الجزائريون في نشر العلم والمعرفة في المجتمع المغربي، وعملوا على تقوية روابط المودة بين الشعبين، وذلك بالرغم من احتدام الصراع بين العثمانيين في الجزائر والسعديين في المغرب الأقصى، ولاسيما لما

أقدمت الجزائر على احتضان بعض الأمـراء السـعديين الفـارين مـن بطـش السلطان عبد الله الغالب [33]، فإن العلاقات الثقافيـة لم تتزعـزع، بـل كانـت بمثابة جسور تربط الشعبين وعلماء البلدين.

وقد استمر توافد العلماء الجزائريين علـى المغـرب الأقصـى خـلال القـرنين السابع عشر والثامن عشر، إلا أن عـددهم قـد عـرف انخفاضـا مقارنـة بـالقرن السادس عشر. وهناك من يرجع ذلـك إلى الركـود والخمـول الفكـري والثقـافي الذي عرفته الجزائر خلال القرنين المذكورين[34]. ويمكـن إرجـاع سـبب تـدهور الحياة العلمية والدينية في الجزائر إلى طبيعة النظام السياسي الذي كـان سـائدا في تلك الفترة، إذ تمكن الآغـوات مـن الانفـراد بالسـلطة (1659ـــ1671م)، وتميـز عهدهم بالاضطرابات العنيفة، والفوضى العارمة. وقد استغل بعـض الطفيلـيين تلك الأوضاع، لادعاء العلم والمعرفة. وهـذا مـا جعـل عبـد الكـريم الفكـون، المتوفى في عام 1662م، يؤلف كتابا يفضح فيه أولئك الانتهازيين[35].

نعتقد أن قلة العلمـاء الجزائـريين في المغـرب الأقصـى لا يعـود سـببه إلى الركود الثقافي فقط، بل يعود ذلك أيضا إلى أن العلماء الجزائريين قـد غـيروا وجهتهم إلى تونس والمشرق العربي، لاسيما بعد أن أصبحت الجزائر مرتبطة بالدولة العثمانية، شأنها شأن تونس وطرابلس. وقد ذكـرت المصـادر العـدد الهائل من العلماء الجزائريين الذين استقروا بالحواضر العربية، مثل القـاهرة، ودمشق، وفلسطين، والحجاز، وبغداد، وإستانبول.

وبالرغم من عدم توفر الظروف المشـجعة لاسـتقرار العلمـاء في الجزائـر، فإن جذوة الثقافة بقيت موقدة، بفضل بعض العلماء الذين فضـلوا المكـوث في الجزائر لمواصلة نشاطهم العلمـي، ومواجهـة كـل الصـعاب، الـتي كانـت تعترض سبيلهم. وقد أشاد ابن زاكور المغربـي (1663–1708م)، الـذي حـل بالجزائر في عام 1683م، بعلمائها، الذين قال عنهم: " غرر أعلام، ينجلي بهـم

الأظلام، وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار الأمة، من رجال كالجبال، وأحبار كالأقمار، طلعوا في بروج سعودها بدورا البسوها رواء ونورا"[36].

وعلى أي حال، فإن النشاط الثقافي قد استمر طوال العهد العثماني، ولم يكن مقصورا على المدن فقط، بل شمل الأرياف الجزائرية. وهذا ما لاحظه أحد القادة الفرنسيين في عام 1834م، إذ قال:" إن العرب كانوا يتقنون كلهم القراءة والكتابة، وفي كل قرية كانت توجد مدرستان. أما عدد المدارس، فقد كان يناهز ألفي مدرسة. كما توجد معاهد في الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ومازونة، وتلمسان، ووهران. إن التعليم في الزوايا الكبرى كان زاهرا. وكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر" [37].

نكتفي بهذه الملاحظات عن الوضع الثقافي في الجزائر، لنقول إن الروابط الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى بقيت مستمرة. فقد انتقل بعض علماء الجزائر إلى المغرب خلال القرن السابع عشر والثامن عشر، ليعرف عددهم ارتفاعا محسوسا في القرن التاسع عشر، لما سقطت الجزائر في يد الفرنسيين. ومن بين العلماء الذين كانت لهم صلات بالمغرب الأقصى في المرحلة المذكورة، محمد بن عبد الكريم الجزائري [38]، وعمر المنجلاتي[39]، وعيسى البطيوي، وابن الكماد، وعبد الرزاق بن حمادوش، وعبد الرحمن بن الوقاد، وعبد الرحمن بن إدريس، وأحمد التيجاني [40]، وأحمد بن عثمان التلمساني، وأحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، الذي استقر بتطوان مدة ثلاث سنوات[41]. وقد جمع هؤلاء العلماء بين العلوم العقلية والنقلية، فأفادوا واستفادوا كغيرهم من علماء القرن السادس عشر. ونذكر على سبيل المثال، عبد الرزاق بن حمادوش الذي كانت له عدة اتصالات بعلماء المغرب الأقصى، أمثال محمد بن عبد السلام بناني، وأحمد الورززي، وعبد السلام القباب، وعبد القادر الفاسي. وبحكم اهتمامه بالمجال الطبي، حضر مجالس

عبد الوهاب أدراق، الذي كان طبيبا بالقصر الملكي [42]. وقد جمع ابن حمدوش بين شتى علوم عصره، كالفلك، والطبيعيات، والمنطق، وعلم النبات. وله عدة تأليف، منها: "**لسان المقال في النبأ عن الحسب والحال**" [43].

ومن علماء القرن التاسع عشر الذين ساهموا في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الأقصى، عبد القادر محمد الراشدي، المتوفى عام 1855م، الذي تولى قضاء مراكش. وجمع الراشدي بين عدة علوم كالنحو، والمنطق، والبيان، والحساب، والتنجيم، والفقه، والحديث، والأصول. وقد مكنه اطلاعه الواسع من تولي التدريس بالقرويين[44]. وقد أورد محمد بن عبد الله الجلالي[45] في الإجازة التي منحها لعبد القادر الراشدي المشائخ الذين أخذ عنهم وأجازوه، منهم الفاسيون: السيد محمد جسوس، والسيد الشاودي بن سوده، والسيد محمد بناني، والسيد عبد الله السوسي، والسيد إدريس العراقي الحسيني، ومولاي عبد الرحمن بن إدريس، وغيرهم. ومن أهل تلمسان: السيد محمد بن عبد الرحمن اليبدري، والسيد محمد للو، والسيد الداودي القروي، والسيد الطالب. ومن أهل تونس: الشيخ الغزلاني[46]. وأخذ علي بن الأمين الجزائري المتوفى عام 1236هـ، العلوم النقلية والعقلية عن سيدي سعيد قدورة بالجزائر، وعن الحسن بن مسعود اليوسي، والشيخ علي بن العربي السقاط الفاسي. وأخذ عن علماء مصر التي مكث بها قرابة عقدين من الزمن، ثم رجع إلى المغرب، وأخذ عن شيخ المغرب محمد بن طالب بن سودة الفاسي، وتفرغ علي بن الأمين للإفتاء والتدريس بالجزائر[47]. ونجد في نفس الفترة محمد أخو السفار الجزائري المتوفى عام 1234هـ، انتقل إلى فاس وحضر في المعقول والمنقول على السيد عمر الفاسي، وعلى الشيخ محمد البناني [48].

وكان علماء المغرب الأقصى يتوافدون هم أيضا على الجزائر للإفادة والاستفادة من علمائها، أو كانوا يتخذون القطر الجزائري محطة لهم أثناء تنقلهم

إلى المشرق لأداء فريضة الحج، أو في مهمة علمية، أو دبلوماسية. وقد ساهمت تلك الحركة في تقوية الروابط الثقافية بين علماء البلدين. ومن العلماء الذين مروا بالجزائر في عام 1589م، أبو علي التمقروتي، الذي كلفه السلطان أحمد المنصور السعدي بمهمة لدى السلطان العثماني. وقد سلك التمقروتي طريق البحر، مما سمح له بالمرور ببعض المدن الجزائرية الساحلية. فسجل خلال رحلته انطباعاته وملاحظاته في كتاب سماه "**النفحة المسكية في السفارة التركية**". وقال فيه عن بجاية: "إنها مدينة عظيمة في القديم، كانت دار علم وعمل ومستقر العلماء الصالحين، منهم الولي الصالح المتبرك به أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري (1126–1198م)، دفين تلمسان[(49)]. أما عن مدينة الجزائر، فقال عن الحياة الثقافية فيها:" وطلبة العلم فيها لابأس بهم، إلا أن حب الدنيا وإيثار العاجلة والافتتان بها غلب عليهم كثيرا. وكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا"[(50)].

يعتبر ما سجله التمقروتي شهادة حية على أن المجتمع الجزائري كان يهتم بالعلم والمعرفة، ووفرة الكتب الموجودة بالجزائر، لدليل على أن سكانها كانوا أهل علم.

ومن علماء المغرب الأقصى الذين كانت لهم اتصالات بالقطر الجزائري في القرن السابع عشر، أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي (1628–1679م)، جمع بين العلوم النقلية والعقلية، سافر من سجلماسة إلى الحجاز في عام 1662م، سالكا في رحلته الطريق الصحراوي، وقدم وصفا عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وتوقف بعدة مدن جزائرية صحراوية. وكانت له اتصالات بعلماء ومشائخ تلك المدن. وفي حديثه عن تقرت، ذكر أنه تعرف على محمد بن عبد الكريم[(51)] ابن عبد الكريم المغيلي، الذي توفي في عام 1505م، قاضي توات[(52)]. وقد ترك العياشي مؤلفا سماه "**الرحلة العياشية**"، "ماء الموائد"[(53)]. وفي نفس الفترة تقريبا، نجد محمد بن سليمان

الروداني المتوفى في عام 1682م، الذي كان معاصرا للعياشي، درس بالجزائر على مفتيها الأكبر سعيد قدورة. وجمع الروداني بين شتى العلوم، لاسيما الفلك والرياضيات، كما أنه أخذ العلم عن علماء مصر والشام، وتوفي بدمشق. ومن مؤلفاته، منظومة في علم الميقات وشرحها، وبهجة الطلاب في الاسطرلاب، ومختصر في الهيأة. وكان مهتما بالجغرافية، إذ وضع كرة جغرافية عظيمة(54).

والجدير بالملاحظة أن إنتاج علماء الجزائر كان محل اهتمام الكثير من علماء المغرب. فقد اعتمد علماء المغرب في مجال علم الفلك والتنجيم على أعمال العالم الجزائري ابن قنفذ القسنطيني (1340-1406م). وسبق لابن قنفذ أن تتلمذ على علماء فاس. وأقام بها قرابة عقدين من الزمن، تولى بها الخطابة والإفتاء والقضاء والتدريس(55). وحل بالجزائر في عام 1683م، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي (1663-1708م). فكانت له عدة اتصالات بعلماء الجزائر. ومن بين أساتذته بمدينة الجزائر، الشيخ محمد بن سعيد قدورة، المتوفى عام 1684م. وقد أعجب ابن زاكور بمدينة الجزائر، فأشاد بعلمائها. وذكر أولئك الذين أجازوه، أمثال الشيخ المانجلاتي المتوفى في عام 1693م، فقال عنه:" فممن أقبسني بكلتا يديه وأجازني رواية ما لديه، العلم الأشهر والحبر الأكبر، حائز الشرفين العرضي والذاتي، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد المؤمن المانجلاتي"(56). ويذكر المانجلاتي في الإجازة التي حررها لابن زاكور، الشيوخ الذين أجازوه، منهم: أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري، المتوفى عام 1647م، وشيخ الإسلام سيدي سعيد قدورة بن إبراهيم الجزائري، إمام الجامع الأعظم(57).

وأخذ ابن زاكور العلم عن الشيخ الإمام العلامة المفتي أبو عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الأكبر أبي عثمان سيدي سعيد قدورة بن إبراهيم. وقد ورد في إجازة محمد سعيد قدورة ما يلي:" وأجزته إجازة مطلقة عامة على

شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءات، معقولا ومنقولا، توحيدا ونحوا. فليحدث بذلك إن أحب عن أشياخي وأشياخهم"[58]. ومن بين المؤلفات التي اشتهر بها ابن زاكور، "**نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان**".

أما في القرن الثامن عشر، فقد زار الجزائر الوزير أبو القاسم بن محمد بن علي الزياني الفاسي (1743-1833م)، الذي تقلد عدة مناصب سياسية بالبلاط الملكي المغربي. إلا أن الزياني تعرض للاضطهاد، وصدرت أملاكه في عهد السلطان مولاي اليزيد (1790-1792م)، فالتحق بتلمسان في عام 1792م، قصد الإقامة بها. وتفرغ بعد أن تخلى عن منصبه للتأليف. وقد خلف مجموعة من التأليف، ومن أشهرها " **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**"[59]

ويذكر الزياني بعض العلماء الجزائريين الذين التقى معهم بقسنطينة، منهم: إمام وخطيب المسجد العتيق الوالي الصالح أبي البركات سيدي مبارك بن الفقيه العلامة سيدي عمر الصائغي، والفقيه العلامة الصوفي أبي الحسن علي بن مسعود الونيسي، والفقيه القاضي أبو عبد اله سيدي الحفصي العلمي، والفقيه العلامة سيدي أبو القاسم المحتالي، والمفتي الثاني العلامة سيدي أحمد بن المبارك العلمي، والفقيه الأديب صاحب القصائد العالية السيد ونيسي البوزنياري[60]. أما في مدينة الجزائر، فقد التقى الزياني بقاض البلد الفقيه محمد بن مالك[61]. وكانت للزياني اتصالات برجال السلطة، أمثال محمد بن عثمان باي وهران، وحسن باي قسنطينة، ووجد لديهما الرعاية وحفاوة الاستقبال. وبعد هذه الرحلة، عاد الزياني إلى وطنه في عهد السلطان سليمان[62].

هذا كل ما يمكن قوله عن العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى. فكانت ثرية طوال العهد العثماني، وتختلف درجة أو نسبة كثافتها

من مرحلة إلى أخرى، لعدة عوامل داخلية وخارجية. كما أن العلاقات كانت مقصورة على المستوى الشعبي، ولا دخل للدوائر الرسمية فيها، فهي تتميز بالعفوية والتلقائية. وقد لاحظنا خلال استعراضنا لبعض جوانب تلك الروابط أن هناك تكاملا بين علماء البلدين، فكانوا يشكلون بحق مدرسة واحدة. فالتلميذ في الجزائر أصبح أستاذا في الحواضر المغربية، والأستاذ في المغرب أصبح تلميذا في الجزائر، والعكس صحيح، وهذا يدل على تواضع علماء المغرب عامة.

ولاحظنا أيضا أن هناك بعض العلماء الجزائريين الذين لم يكتفوا بالدور العلمي والثقافي، بل دخلوا المجال السياسي، فساندوا بعض السلاطين في سياستهم الداخلية والخارجية.

فإذا كانت العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب على النحو الذي ذكرناه، فما هو حال علاقات الجزائر بتونس؟

العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية:

يعتبر القطر التونسي أول قبلة للعلماء الجزائريين وذلك منذ أن أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان في عام 51هـ. فقد لعبت القيروان وجامعها الأعظم دورا ثقافيا في منطقة المغرب، فحولت المدينة مع مرور الوقت إلى مركز إشعاع ثقافي يؤمه الطلبة والعلماء من كل أقطار المغرب، لاستكمال تعليمهم ومعارفهم، ومن ثمة يواصلون رحلتهم إلى الحواضر المشرقية. وقد ساهمت القيروان في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي إلى غاية عام 443هـ، تاريخ تعرضها لحملة بني هلال، الذين خربوا معالمها الحضارية وجامعها الأعظم[63]. وهكذا غير العلماء المغاربة وجهتهم نحو فاس في المغرب الأقصى، التي أخذ نجمها يسطع منذ أن أسسها إدريس الثاني في عام 192هـ. كما كان لمراكش دور هام في نشر الثقافة ابتداء من القرن 5هـ [64].

أما في الجزائر، فكانت طبنة تعيش عصرها الذهبي (154-293هـ)، فكانت تنافس القيروان في المجال الثقافي، إذ تخرج منها علماء الفقه والعلوم اللسانية والفنية والأدب [65].

وقبل أن نبرز بعض الجوانب من العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس في العهد العثماني، نتوقف عند العهود الأولى التي سبقت الفترة المحددة للدراسة، نظرا لما تميزت به من نشاط علمي وثقافي.

بعد أن اشتهرت القيروان في القرن 3هـ/ 9م، كمركز علمي وثقافي في المغرب الإسلامي[66]، توالت الرحلات العلمية من الجزائر. ويبدو أن الشاعر بكر بن حامد التهارتي المتوفى في عام 931م، كان من العلماء الأوائل الذين شدوا الرحال إلى القيروان في عام 832م، وتولى التدريس بها[67]. وسار على دربه الأديب بن رشيق المسيلي (995-1071م). ونجد في نفس الفترة كذلك ابن سلمة البجائي، المتوفى عام 931م، أخذ العلم عن علماء تونس، وأصبح فيما بعد مدرسا هنالك. ونال إسحاق بن عبد الله الملشوني البسكري، المتوفى 841م، شهرة واسعة. وحذا حذوه الحسن بن محمد التميمي التهارتي، الذي توفي بالقيروان في عام 951هـ/ 1029م [68].

وقد عرف عدد العلماء الجزائريين المتوافدين على تونس ارتفاعا محسوسا في عهد الحفصيين، الذين جعلوا من مدينة تونس مركزا ثقافيا مهما خلفا للقيروان. وأصبح جامع الزيتونة منارة علم، يؤمها العلماء والطلبة من كل أنحاء العالم العربي، ولاسيما علماء الجزائر، باعتبارها أقرب مركز علمي من بلادهم. وكان لهؤلاء دور بارز في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية في تونس. وقد سمحت لهم ثقافتهم الواسعة، وغزارة علمهم بتقلد عدة مناصب في الحواضر التونسية، مثل الفقه، والخطابة، والتدريس. ومن جملة العلماء الجزائريين الذين كانت تربطهم الصلات بتونس، إبراهيم بن يخلف التنسي،

المتوفى عام 1272م، والفقيه أبو عجلان القيسي البجائي، المتوفى 1276م، والفقيه والأديب الشيخ عبد المنعم الغساني، والفقيه عبد الوهاب بن عبد القادر البجائي، المتوفى عام 1291م، والشاعر والأديب عبد الرحمن الأصولي، المتوفى عام 1294م، ومحمد بن عبد الرحمن الشاطبي البجائي، المتوفى عام 1292م، ولي قضاء تونس، وأبو العباس بن الغماز البلنسي الأصل، البجائي الإقامة، المتوفى عام 1293م، كان قاضيا هو الآخر بتونس، وأبو العباس الغبريني من غبارنة منطقة القبائل، المتوفى عام 1315م، درس بجامع الزيتونة على ابن زيتون وعبد الله القلعي، واشتهر بمؤلفه "عنوان **الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**"، وأيضا ابنه أبو القاسم الغبريني، المتوفى عام 1375م، فقيه تونس وعالمها وإمامها، أخذ العلم عن ابن عبد السلام والبرزلي وأبي الطيب بن علوان وأبي مهدي عيسى الغبريني وأبي عبد الله القلشاني.

ومن علماء القرن الخامس عشر الذين توافدوا على تونس، خليل الصنهاجي، المتوفى عام 1423م، ومحمد بن منصور القسنطيني، المتوفى عام 1445م، وعبد الرحمن الثعالبي، المتوفى 1477م[69]، ومحمد بن بلقاسم الأنصاري التلمساني، المتوفى عام 1478م، الذي كان قاضيا وإماما وخطيبا بتونس، والشاعر أحمد بن خلوف، المتوفى عام 1494م، وأحمد الليانی البسكري، المتوفى عام 1494م[70].

نلاحظ مما تقدم أن أصل العلماء الجزائريين الذين كانوا يترددون على تونس، لم يكن مقصورا على جهة معينة من البلاد، بل هناك البسكري، والمسيلي، والتلمساني، والقسنطيني، إلا أن معظمهم كانوا من بجاية ونواحيها، ربما يعود ذلك إلى كون تلك الناحية كانت تابعة لحكم الحفصيين بتونس. وقد لخص أحد الدارسين الحياة الثقافية في تونس، قبل تعرضها للحملة الإسبانية في عام 1535م[71]، فقال: "كانت تونس قبل كارثة الاحتلال

الاسباني، دار علم وفقه، ورثت عن فقهاء القيروان وأخلافهم طرق استنباط الأحكام وموازنة الأدلة وضبط النصوص وتطبيقها، واختصت بطريقة في التعليم تجمع بين الفقه والتفقه، انتقلت عن المازري إلى ابن عبد السلام، فابن عرفة [72] وتلاميذه. وقد أشاد بها حجة المغرب ابن مرزوق الجد[73] وغيره. وما كاد يطلع عليها القرن العاشر الهجري حتى أخذت في التراجع بمفعول الفتن والاحتلال، ثم انعدم منها العلم تماما عند الاحتلال الإسباني، الذي استباح معاهدها، وأتلف كتبها، واستلحم ما بقي من أعلامها. ثم جاء الحكم التركي[74] ممثلا في طبقات من الجند لا صلة بينها وبين العلم" [75]. وذكر عبد الكريم الفكون أن ملك إسبانيا لما احتل تونس أباح لجنوده اقتحام جامع الزيتونة، فقتل بعض علمائها في حلقات دروسهم. وكان من بين القتلى الشيخ يحيى الكون جد والده[76].

تعد الاضطرابات التي عاشتها تونس خلال القرن السادس عشر، من الأسباب المباشرة التي أثرت في العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس، إذ لوحظ أن عدد العلماء الجزائريين الذين كانوا يتنقلون إلى تونس قد تقلص، مقارنة بما هو عليه في المراحل السابقة للعهد العثماني [77]. وبالرغم من تأزم الأوضاع في منطقة المغرب عامة، نتيجة الحملات الإسبانية على سواحلها، وصراع الإسبان مع العثمانيين، الذين شرعوا في تثبيت وجودهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فإن ذلك لم يمنع العلماء الجزائريين من التنقل إلى تونس، إلا أن عددهم قد عرف تراجعا في الفترة العثمانية. ومن العلماء الذين حافظوا على علاقاتهم الثقافية مع تونس، نذكر منهم قاسم بن يحيى الفكون القسنطيني[78]، المتوفى عام 1558م، الذي زاول دراسته في تونس وتولى الإمامة به، والفقيه عاشور بن عيسى القسنطيني (1576-1664م)، تولى التدريس بجامع الزيتونة، وتوفي بتونس. وسعيد بن إبراهيم قدورة، المتوفى عام 1656م، تونسي الأصل جزائري المولد. والعالم الفقيه أبو عبد الله محمد

المولود من قلعة بني عباس، الذي استكمل علمي المعقول والمنقول، وأصبح مدرسا بالجامع الأعظم، كما ولي القضاء ببلدة ماطر. والعالم أبو عبد الله العنابي الضرير، الذي اختار بلدة تستور شمال تونس، للاستقرار بها، وانتقل بعد ذلك إلى سوسة، فأخذ العلم بها عن الشيخ العالم سيدي يحيى، والشيخ علي بن موسى الأزهري، والشيخ أحمد الريغي، ثم ارتحل إلى تونس واستكمل معلوماته على العلامة محمد زيتونة [(79)].

وما لبث أن تحسنت أحوال تونس في عهد الحسينيين (1705-1814م). فعرفت استقرارا نسبيا، وانعكس ذلك الوضع على الحياة الثقافية. فاسترجعت المعاهد والمدارس التونسية مكانتها المعهودة [(80)]

وبالرغم من أن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس خلال تلك المرحلة عرفت تدهورا كبيرا، إذ تعددت الحملات العسكرية من كلا الطرفين، فإن العلاقات الثقافية اتسمت بالاستقرار والتواصل، ولم تتأثر بالأوضاع السائدة، فاستمرار توافد العلماء الجزائريين على تونس لدليل على ذلك التقارب. والملاحظ أن العلماء الجزائريين لم يكن استقرارهم مقصورا على مدينة تونس، بل انتشروا في عدة جهات، فاستقر مصطفى بن عزوز، المتوفى عام 1768م، بنفطة، والأفضلي يحيى بن صالح (1708-1808م) من بني يزقن بجربة، ومحمد الصالح الرحموني (1729-1808م)، درس في تونس، ثم عاد إلى مسقط رأسه ببلاد القبائل حيثمارس التدريس[(81)]. ونجد في نفس الفترة أحمد بن عمار[(82)]، الذي ولي التدريس والإفتاء بتونس، ومن تلاميذه إبراهيم سيالة وأحمد الغزال الجزائري. وقد جاء في مقدمة محقق كتاب الباشي، أن صاحب التأليف الوزير الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز المتوفى عام 1788م، حرر رسائل من علم الكلام سأل عنها علماء قسنطينة، فأجاب عنها. وقد ظفرت بتقريظ ضاف لهذه الرسالة من كبير علماء الجزائر أحمد بن عمار بخطه

وختمه[83]. وهذا ما يبين مدى الترابط والتكامل الثقافي والتجاوب العلمـي، الذي كان سائدا بين البلدين.

ومكث أحمد التيجاني صاحب الطريقة التيجانيـة (1737-1815م) بعـض الوقـت بتـونس قبـل أن يغادرهـا إلى الحجـاز [84]. وكانـت لمحمـد أبـو راس الناصري المعسكري المتوفى عام 1823م، اتصالات بالعديد من علماء تونس، أمثال محمد المحجوب، وصالح الكراش، وإبراهيم الرياحي [85]، وأحمـد بـيرم التونسي [86]. وقد قيل إن إبراهيم الرياحي قـام بنقـل الطريقـة التيجانيـة إلى تونس مباشرة عن مؤسسها أحمد التيجاني بفاس [87].

ونضـيف إلى قائمـة العلمـاء الجزائـريين الـذين كانـت لهـم اتصـالات بالقطر التونسي، حمودة المقائسي [88]، الذي مر بتونس أثناء عودته من مصـر إلى الجزائر. وأحمد الشريف الزهار، الـذي انتقـل إلى تـونس في عـام 1832م، وحضـــر دروس العلامـــة إبـــراهيم الريـــاحي، والشـــيخ الطيـــب بـــن عيسى الجزائري[89].

هذا ما يمكن قوله عن العلاقات الثقافية بين الجزائر والأقطار المغاربيـة في العهد العثماني. وبحلول عام 1830م، تتعرض الجزائـر للاحـتلال الفرنسـي. وكان لذلك انعكاسـات سـلبية علـى الأوضـاع العامـة بمـا في ذلـك الحيـاة الثقافية[90]، إذ فضل العلماء الجزائريون مغادرة بلادهم ليستقروا في الأقطـار المغاربية والمشرقية [91]. فهناك مـن أرغـم علـى الهجـرة، وهنـاك مـن رحـل بمحض إرادته. وما لاحظناه أن العلماء المغاربة كانوا يشكلون مدرسة واحدة منذ أقدم العصور، فهناك التكامل فيما بينهم. كما أن العلاقات الثقافيـة بـين الأقطار الثلاثة لم تتأثر طوال العهـد العثمـاني، بـالتوترات والخلافـات الـتي كانت تحدث من حين لآخر. وهنا يصدق القول القائل إن العلاقات الثقافيـة تعتبر أفضل السبل لتقارب الشـعوب. فهـي في نظرنـا تـأتي قبـل العلاقـات

السياسية والاقتصادية التي غالبا ما تكون ظرفية، لكونها مبنية على المصلحة المادية، فبمجرد ما تتحقق تلك المنفعة، تزول تلك العلاقات، عكس العلاقات الثقافية التي تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ، فهي بمثابة جسور صامدة عبر الدهر في وجه كل التقلبات، تقوي روابط الاتصال بين الشعوب عبر الأجيال.

الهوامش:

---

(1) الدولة الحفصية في تونس (1229–1574م)، الدولة الزيانية في الجزائر (1235–1550م)، الدولة المرينية في المغرب الأقصى (1269–1465م)

(2) R. SANDER ET D. FERDINAND : **Fondation de la régence d'Alger, Histoire des Barberousse**, éd. Bousalama, 2T. T.1, Tunis, P.127.

(3)) محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس**، سراس للنشر، تونس 1980، ص68.

(4) A. BERBRUGGER : « Une lettre inédite d'un Empereur du Maroc », **R.A.** N°10, Alger 1866, P.455.

(5) محمد ماضور : **مقدمة الكتاب الباشي**، لحمودة بن محمد بن عبد العزيز، الدار التونسية للنشر، تونس 1970، ج1، ص. 9.

(6) يعد أبو العباس أحمد المقري التلمساني المتوفى عام 1041هـ/ 1632م، من مشاهير علماء الجزائر الذين صالوا وجالوا في معظم الأقطار المغاربية، ليستقر نهائيا بالقاهرة .

(7) يعتبر من أقدم الأروقة في الأزهر، إضافة إلى دوره العلمي والثقافي، كان له دور اجتماعي، إذ يقدم عدة خدمات للمغاربة طوال مدة إقامتهم بمصر، مثل الإيواء ومساعدات مالية. وكان الرواق يتلقى الدعم المادي من التجار المغاربة الذين يتعاملون مع مصر أو المقيمين بها. وهناك عدد كبير من المغاربة الذين زاولوا تعليمهم بالأزهر. ومنهم من تقلد مناصب عليا كالتدريس والإفتاء، أمثال الشيخ محمد حسن الجزائري المتوفى في عام 1187هـ/ 1773م، الذي تولى تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشية. والشيخ أبو العباس الجزائري المغربي، المتوفى في عام 1202هـ/ 1788م، الذي كان مدرسا في الرواق. أنظر عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : "المغاربة في مصر في العصر

العثماني 1517–1798م"، منشورات **المجلة التاريخية المغربية**، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، تونس 1982، ص. 99.

[8] لم يكن المغاربة المقيمين بمصر منغلقين اجتماعيا، فإلى جانب الترابط الاجتماعي الذي كانوا يتميزون به، فإنهم اندمجوا مع فئات المجتمع المصري، وأصبحت ظاهرة التزاوج بين المغاربة من المصريات والشاميات منتشرة وبصورة واسعة. كذلك تم التزاوج بين كثير من طلبة العلم والعلماء المغاربة ومصريات وبخاصة أولئك الذين استقروا بمصر، واتخذوها وطنا لهم. نفس المرجع، ص. 114–115.

[9] لوسات فلنزي : **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790–1830**، نقله إلى اللغة العربية حمادي الساحلي، سراس للنشر، تونس 1994، ص. 75.

[10] إبراهيم حركات: **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، مطبعة الدار البيضاء، المغرب 1985، ص. 22.

[11] نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري، الذي نشأ بسجلماسة ثم رحل إلى فاس وأخذ عن بعض علمائها. فسافر إلى الحجاز، وأخذ العلم عن علماء مصر، منهم سيدي علي الأجهوري. ثم عاد إلى المغرب، واستقر بالجزائر حيث مارس التدريس، وتخرج على يده عدد كبير من الطلبة. توفي بالجزائر عام 1057هـ/ 1647م. أنظر نور الدين عبد القادر: **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي**، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965، ص. 190–191.

[12] نذكر على سبيل المثال، رحلة العياشي، هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي من المغرب الأقصى (1628–1679م)، مر بالجنوب الجزائري أثناء رحلته إلى المشرق. دون رحلته المسماة "**ماء الموائد**". أنظر مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ش.و.ن.ت. الجزائر 1979، ص. 18.

وكذلك ناصر الدين سعيدوني : **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، دار الغرب الإسلامي 1999، ص.376.

[13] نذكر من الرحلات الدبلوماسية، رحلة التمقروتي، المتوفى عام 1595م، هو أو الحسن علي بن محمد بن علي من تمقروت بالمغرب الأقصى، بعثه سلطان المغرب أحمد

المنصور السعدي إلى تركيا في مهمة دبلوماسية، سلك طريق البحر مرورا بالمدن الجزائرية الساحلية عام 1589م. فسجل ملاحظاته عن رحلته المسماة "**النفحة المسكية في السفارة التركية**"، **الطبعة الحجرية**، د.ت.

(14) محمد مزين: "المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرن 16 و17م"، **في مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، الجزائر 1995، ص. 98.

(15) سعيد بن عبد الله المنداسي، شاعر شعبي توفي بسجلماسة. ويذكر أنه حرض السلطان مولي إسماعيل على محاربة الأتراك في الجزائر. أنظر محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت. الجزائر 1979.

أنظر أيضا، بركات : **المرجع السابق**، ص. 100.

(16) **نفسه**، ص. 93.

(17) محمد أبو الأجفان : **رحلة القلصادي**، لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص. 26

(18) للمزيد من التفاصيل عن حياته ومؤلفاته، أنظر ابن مريم : **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، د.م.ج. الجزائر 1986، ص 141ـ143.

(19) نفسه.

(20) اشتهرت أسرة ابن مرزوق بعدد علمائها بتلمسان، منهم ابن مرزوق الخطيب جد الحفيد، ومحمد بن مرزوق الحفيد، وابن مرزوق حفيد الحفيد، وابن مرزوق الكفيف. يعود أصل العائلة إلى القيروان، التي هاجرت بعد أن حل بها بنو هلال في أواخر القرن 5هـ/ 11م. أنظر محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تقديم محمود بوعياد، ش.و.ن.ت. الجزائر ص. 15. وكذلك أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم للنشر، الجزائر 1991، 2ج. ج1، ص.145-172.

(21) القلصادي : **المصدر السابق**، ص. 96-107.

(22) تعد الإجازة التي يمنحها الشيخ للطالب بمثابة الشهادة العلمية. فهي تجيز له أن يدرس العلوم والمعارف التي أخذها عن شيخه. وغالبا ما كان الطالب يجمع عدة إجازات من

شيوخ مختلفين، ليبرر بها سعة معرفته. أما صيغة الإجازة، فإنها تختلف من شيخ لآخر. فهناك من يفضل الاختصار، وهناك من يفضل الإسهاب. فكانت إجازة علماء الجزائر وتطوان لابن زاكور (1663-1705م)، تحتوي على ثلاثة وعشرين ورقة. أنظر بركات: المرجع السابق، ص 35.

(23) فمن علماء الشرق الجزائري الذين كانت لهم اتصالات بالمغرب الأقصى، عبد الكريم الفقون (ت. 1662م)، وأبو القاسم القسنطيني (ت. 1586م)، ومحمد بن الكماد القسنطيني (ت. 1740م)، ويحيى الزواوي (ت. 1590م). أنظر عمار هلال : "العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين"، **في مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، الجزائر 1995، ص. 36.

(24) بركات : **المرجع السابق**، ص. 23.

(25) كثرت الغارات الإسبانية على السواحل الجزائرية، فتم خلالها احتلال مرسى الكبير عام 1505م، ووهران عام 1509، وصخرة البنيون في ساحل مدينة الجزائر، وبجاية عام 1510م. ومن أشهر الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر، حملة شارل الخامس في عام 1541م . أنظر مجهول: **كتاب غزوات حروج وخير الدين**.

(26) يعتبر أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي من أشهر علماء الجزائر في مطلع القرن السادس عشر. ولد حوالي عام 1430م، وتوفي عام 1498م، تتلمذ على يد مشاهير علماء تلمسان ثم انتقل إلى فاس، فأخذ العلم عن محمد بن أحمد اليفري، قاضي مكناس، ومحمد القروي. وكان الونشريسي ضليعا في الحديث والتفسير والتوحيد والمنطق. وقد انتقل إلى المغرب بعد أن تعرض للمضايقات من طرف السلطان الزياني. تولى التدريس في مدارس فاس، منها المدرسة المصباحية. وأخذ عليه عدد كبير من الطلبة، منهم : عبد الواحد، الذي تولى قضاء فاس. وللونشريسي عدة تأليف، أشهرها "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، جمع فيه النوازل الفقهية. أنظر سعيدوني: **المرجع السابق**، ص. 277. وكذلك الحفناوي: **المرجع السابق**، ج.1، ص. 66.

(27) ينحدر من أسرة العقبانيين التي أنجبت عددا كبيرا من العلماء اشتهروا في تلمسان والمغرب عامة، تخصصوا في القضاء والإفتاء، منهم : سعيد بن محمد العقباني (ت 811هـ)، وقاسم بن سعيد العقباني (ت854هـ)، وأحمد بن قاسم بن سعيد العقباني

(ت 840هـ)، وإبراهيم بن قاسم بن سعيد (ت 880هـ)، ومحمد بن أحمد بـن قاسـم بـن سعيد (ت 871هـ). أما أحمد العقباني، فقد توفي في عام 979هـ/ 1571م. أنظر:

CH. BROSSELARD : « Les inscriptions orales de Tlemcen, tombeaux des familles El Makari et El Okbani », **in R.A.** N°5 Alger 1861, P.401-421.

(28) عمار هلال: المرجع السابق، ص. 28.

(29) كان ابن جلال عارفا بالمنطق والعقائد والبيان والحـديث والتفسـير. أنظـر الحفنـاوي: **المرجع السابق،** ص. 257.

(30) محمد الطمار: **الروابط الثقافية بـين الجزائـر والخـارج،** ش.و.ن.ت. الجزائـر 1983، ص. 256.

(31) هلال: **المرجع السابق،** ص. 31.

(32) كان محمد بن عبد الكريم الجزائري فقيها وأديبا، أخذ العلـم عـن الشـيوخ المشـارقة والمغاربة، منهم : أبو سيدي عبد القادر الفاسي، وأبو علـي اليوسـي، والشـيخ سـعيد قدورة، والشـيخ الأجهـوري، والبـابلي، والفيشـي، والقشاشـي، ومحمـد الزرقـاني، وغيرهم. أنظر الحفناوي : **المرجع السابق،** ج. 2، ص. 264.

(33) بعد مقتل محمد الشيخ خلفه ابنه عبد الله الغالب على عرش السـعديين. وقـد تميـز عهـده بالاضطرابات، نتيجة لسياسته الداخلية المتشددة، التي كادت أن تعصف بعرشه. فاضطر قـادة الثورات (مولي عمر، وعبد المالك، وأحمد المنصور) بعد فشـل محـاولتهم الراميـة إلى الإطاحـة بالغالب، إلى الفرار إلى الجزائر، أين وجدوا الدعم الضروري الذي مكنهم مـن الانتصـار في موقعة وادي المخازن في شهر أوت 1578م. تحالف فيها محمد المتوكل بن عبد الله الغالـب مـع الملك البرتغالي سباستيان، أما المعارضون فوجدوا الدعم العسكري لدى حكام الجزائر. أنظـر حسن إبراهيم شحاته: واقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1578، دار الثقافـة، دار البيضـاء، المغرب 1979. أنظر أيضـا عبـد الهـادي التـازي : التـاريخ الدبلوماسـي للمغـرب مـن أقـدم العصور إلى اليوم، المغرب 1988، المجلد الثامن، ص 47.

(34) هلال، **المرجع السابق،** ص. 189.

(35) محمد بن محمد عبد الكريم الفكون : **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1987، ص. 31-32.

(36) بالحميسي: المرجع السابق، ص. 116-117.

(37) فرحات عباس : **حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار**، نقله إلى العربية أبوبكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت. ص 60.

(38) أحمد توفيق المدني : **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م**، م.و.ك. الجزائر 1986ن ص. 68.

(39) أسرة جزائرية (على ما يبدو أصلها من عرش أث منقلاث، بأعالي جرجرة)، اشتهر أفرادها بالعلم، منهم علي بن محمد المانجلاتي، الذي أخذ المعقول والمنقول على الشيخ علي بن الأمين الجزائري، ومحمد الشاهد، وأحمد بن عمار، والشيخ محمد أخو السفار. تولى الإفتاء والتدريس بالجزائر، توفي في عام 1833م. أنظر عبد الحميد بك : أعيان من المشرق والمغرب (تاريخ عبد الحميد بك)، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000، ص. 153.

(40) للمزيد من التفاصيل عن حياته وطريقته أنظر L. ARNAUD : « HISTOIRE DE L'OUALI SIDI AHMED EL TEDJANI », **R.A.** N° 5. ALGER 1861, P. 468.

(41) الطمار : **المرجع السابق**، ص. 258.

(42) حركات : **المرجع السابق**، ص. 23.

(43) عبد الرزاق بن حمدوش : **لسان المقال في النبأ عن النسب والحال**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، ش.و.ن.ت. الجزائر 1982.

أنظر أيضا: سعيدوني: **المرجع السابق**، ص. 425.

(44) حركات : **المرجع السابق**، ص. 23.

(45) ولاه محمد بن عثمان، باي وهران، رياسة مجلس الشورى. وبني له مدرسة سماها المدرسة المحمدية بمعسكر. أنظر سعيدوني والمهدي بو عبدلي: الجزائر في التاريخ، م.و.ك. الجزائر 1984، ص. 151.

(46) نفسه.

(47) عبد الحميد بك: **المصدر السابق،** 150.

(48) **نفسه،** ص. 160.

(49) التمقروتي : **المصدر السابق**.ص. 32

(50) **نفسه**

(51) بالحميسي : **المرجع السابق،** ص. 90.

(52) ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان، توفي في عام 909هـ، انتقل بعد إتمام دراسته في الشمال إلى توات. وقد شن حملة ضد يهود توات الذين احتكروا التجارة الصحراوية. أنظر محمد بن عبد الكريم : أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية، م.و.ن.ت. الجزائر 1974، ص. 8.

(53) سعيدوني : **المرجع السابق،** ص. 376.

(54) حركات : **المرجع السابق،** ص. 32، 280.

(55) هلال : **المرجع السابق،** ص. 24.

(56) بالحميسي : **المرجع السابق،** ص. 89.

(57) **نفسه،** ص. 124.

(58) **نفسه،** ص. 20.

(59) سعيدوني : **المرجع السابق،** ص. 476.

(60) بالحميسي : **المرجع السابق،** ص. 179

(61) هو الحاج محمد بن أحمد بن مالك، تولى قضاء المالكية بمدينة الجزائر في عام 1795م. أنظر أحمد الشريف الزهار : **مذكرات نقيب أشرف الجزائر،** تقديم وتعليق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر 1974، ص. 91.

(62) بالحميسي : **المرجع السابق،** ص. 21.

(63) محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962،** الدار العربية للكتاب، ش.و.ن.ت. الجزائر 1983، ص. 85.

(64) صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب،** منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ص. 85.

(65) الطمار: **المرجع السابق،** ص. 84.

(66) للمزيد من التفاصيل عن الحياة الثقافية والفكرية في القيروان في العهد الأول، أنظر أبو العرب محمد بن أحمد تميم القيرواني : **طبقات علماء إفريقية وتونس،** تقديم وتحقيق، علي الشابي ونعيم حسن نعيم اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968.

(67) الجابري : **المرجع السابق،** ص. 21.

(68) **نفسه،** ص. 22.

(69) يعود أصله إلى بلدة يسر. بعد أن استقر ببجاية التي دخلها في عام 1399م، أخذ العلم عن علمائها، أمثال عبد الرحمن الوغليسي، وأحمد بن إدريس، وغيرهما، انتقل إلى تونس حيث أخذ العلم عن أبي مهدي عيسى الغبريني، وأبي عبد الله الأبي، وأبي القاسم البرزلي، وأبي يوسف يعقوب الزغبي، وغيرهم، ثم انتقل إلى المشرق، فأخذ العلم عن علماء مصر، أمثال أبو عبد الله البساطي، وولي الدين العراقي. ولما عاد من المشرق استقر بمدينة الجزائر، ودفن بها. أما عن تاريخ وفاته، فهناك من أرجعه إلى سنة 875هـ. أنظر الحفناوي: **المرجع السابق،** ج.1، ص. 73.

(70) الجابري : **المرجع السابق،** ص. 23-27.

أنظر أيضا : هلال : **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962،** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995ن ص. 380.

(71) استنجد السلطان الحفصي الحسن بالإمبراطور الإسباني شرلكان لاسترجاع تونس من خير الدين بايلرباي الجزائر، الذي احتلاها في عام 15343م. أنظر غزوات عروج وخير الدين، ص. 35.

(72) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي نسبا، التونسي بلدا، فقيه تونس وعالمها وخطيبها. توفي سنة 803هـ. أنظر ابن قنفذ القسنطيني : **كتاب الوفيات،** تحقيق عادل النويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980، ص. 379.

(73) هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الخطيب شمس الدين، شهر بالخطيب والجد (711-761هـ). أنظر عن حياته وآثاره مقدمة المسند الصحيح. وكذلك الحفناوي : **المرجع السابق،** ج.8، ص. 161.

(74) ألحقت تونس بمشمولات الدولة العثمانية في عام 1574م.

(75) ماضور : في تقديمه لكتاب الباشي، ص. 13-14.

(76) الفكون : **المصدر السابق**، ص. 41.

(77) هلال : **المرجع السابق**، ص.393.

(78) قال عنه عبد الكريم الفكون : كان قاضيا بمدينة قسنطينة في زمن الشيخ الوزان. وتولى إمامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده إليه به. وكان العم قاسم ممن تصدى للتفسير زمن مشيخة عصره. وتوفي خمسة وستين وتسعمائة 965هـ/ 1557م. **المصدر السابق**، ص. 43.

(79) الجابري : **المرجع السابق**، ص. 22.

(80) ماضور : **المرجع السابق**، ص. 14.

(81) هلال : **المرجع السابق**، ص. 396.

(82) شاعر وأديب، صاحب الرحلة الحجازية، ولي الإفتاء بمدينة الجزائر، توفي عام 1206هـ. أنظر سعد الله: **أعيان من المشارقة والمغاربة**...ص.153. وذكر أحمد توفيق المدني، أن أحمد بن عمار أعظم علماء العاصمة وأكبرهم صيتا وأنبغهم في علوم المعقول والمنقول، ومن كبار الشعراء والأدب، ازدان به منصب الإفتاء المالكي بالعاصمة مدة طويلة. ومن آثاره كتاب اسماه " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب". إلا أنه أخطأ في تحديد تاريخ وفاته، إذ حدده ب 1270هـ، ربما خطأ مطبعي. محمد عثمان باشا...، ص. 73. وورد في موضع آخر، أن أحمد بن عمار كان مفتيا مالكيا بمدينة الجزائر عام 1180هـ. أنظر عبد القادر نور الدين : **المرجع السابق**، ص. 19.

(83) ماضور : **المرجع السابق**، ص. 19.

(84) هلال : **المرجع السابق**، ص. 396.

(85) كان خطيبا بجامع الزيتونة في عهد الباي أحمد. وكان الباي عند حضوره بجامع الزيتونة في الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي، يشرع خطيب الجمعة الشيخ إبراهيم الرياحي في تلاوة تأليف له في فضائل الميلاد النبوي، وفيه كثير من الموضوعات التي يرفضها علماء الحديث. أنظر محمد الصادق بسيس : محمد بن عثمان السنوسي، حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، 1978.

(86) سعيدوني : **المرجع السابق** ،ص. 461.

(87) حل إبراهيم الرياحي بالمغرب سنة 1803م، موفدا من باي تونس حمودة باشا إثر مجاعة حلت بالقطر التونسي. فطلب باسم حكومة تونس مساعدة من الحبوب. أنظر حركات : **المرجع السابق،** ص. 22.

(88) هو حمودة بن محمد بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقايسي. قرأ بالأزهر . فلما عاد إلى الجزائر توقف بتونس، فطلبوا منه الجلوس للتدريس ويقومون بما يحتاج إليه. ولكنه أراد أن ينصرف إلى الجزائر، فوجد فيها علماء ولم يشأ أن يتوظف. فكان يتعيش من صنعة يديه. وأكل كتبه كما قال يعني أنه باعها وأنفق ثمنها على نفسه. ومن صنعته جاء لقبه المقايسي، توفى عام 1245هـ/ 1829م. أنظر عبد القادر نور الدين : المرجع السابق، ص. 209.

(89) **نفسه،** ص. 154.

(90) للمزيد من التفاصيل عن الوضع الثقافي في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، أنظر أبوالقاسم سعد الله : "مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954"، **في مجلة الثقافة،** العدد 79، الجزائر 1984.

(91) حول النشاط العلمي والفكري للطلبة وعلماء الجزائر في المشرق، أنظر هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916" **في مجلة الثقافة،** العدد 79، الجزائر 1984.

دراسة في ثروات النساء
في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني

أ/ ليلى خيراني

جامعة الجزائر2

يعد الوقوف على إدراك أهمية دراسة الوثائق العثمانية فعلا خطوة إيجابية نحو الكشف عن آثار شاهدة على كل ما حدث في المجتمع، في مستوياته المختلفة، ومجموع تلك الوثائق يعد فعلا منجما ومخزونا تاريخيا، يحتوي على معلومات جد ثرية ومتنوعة، لا يمكن أن يهملها دارس الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فهي شاهد على تلك الحقبة فعلا وواقعا يمكن من خلالها أن نتعرف بدقة على الحياة في العهد العثماني الذي احتلت فيه شريحة النساء في مجتمع مدينة الجزائر حيزا هاما أسفرت عنه جملة القضايا التي عرضت على المحكمة الشرعية، وكان عمل مؤسسة بيت المال من جرد وإحصاء لتركات الأشخاص المتوفين الذين لم يتركوا عاصبا شرعيا عملا في غاية الدقة والإحكام، وقد برزت شريحة النساء في تلك الدفاتر بكثرة، فتشكل لدينا بذلك مصدران أساسيان متنوعان في القضايا، تضمنا من المعلومات ما يسمح بالقيام بقراءة جديدة، تكشف عن جوانب هامة من حياة النساء وواقعهن في المجتمع، ظل لوقت طويل حكرا على كتابات الغربيين من خلال مذكرات الأسرى، وملاحظات الرحالة، وتقارير القناصلة والجواسيس والرهبان، وقد آن الآوان لإعادة كتابة التاريخ المحلي كتابة موضوعية وعملية.

1- **درجة التفاوت بين الثروات:**

يعد حجم الثروة التي خلفها المتوفى، أهم نقطة فاصلة سعى فيها الموثقون لضبطها وتقييدها، كيف لا ،والأمر يتعلق بالقيمة المالية الإجمالية للمتروك، الذي وإن لم يكن " سيولة نقدية " Argent liquide، فقد عمل بيت المالجي على إعطاء قيمة كل متروك بما يقابله من مقدار العملة المحلية، ليصل في الأخير ـ بعد عملية الجمع إلى تحديد ثروة المتوفى، وهو الأمر الذي سهل علينا كثيرا التعرف على قيمة المبلغ المالي.

تتميز المخلفات في مجملها بالتفاوت الشاسع بين مستويات الثروة بين الأفراد ـ نخص بالذكر فئة النساء ـ فهناك تباعدًا صارخا بين الحدين الأدنى والأقصى، فقد وجدنا أدنى ثروة في الفترة الممتدة بين 1799ــ 1817، هي متروك عجوزة من باب الجديد خلفت ريالين اثنين (02)، سنة 1802، بينما بلغ أقصى حد للثروة في سنة 1801، وهو متروك امرأة بلغ 9066 ريالا، وكانت الثروة الثانية لامرأة أخرى تدعى بنت بن دارم التي توفيت سنة 1800 حيث خلفت ثروة تقدر بـ 8726 ريالا.

أما بالنسبة للمخلفات في عينة 1807 ـ 1817، فقد وجدنا أن أدنى ثروة قد بلغت ريالين (02)، خلفتها عجوز في سنة 1804، والمبلغ نفسه خلفته عجوز أخرى من سباط الحوت سنة 1813، أما أقصى ثروة فقد بلغت 38.242 ريالا، وهي متروك مومنة زوجة خليل بنت الحاج محمود، أواسط جمادى الأولى سنة 1817.

كما رصدنا حالتين لامرأتين كانتا تمتلكان ثروة تفوق العشرة آلاف ريال، وهما تخصان ثروة راضية من عين شاه حسين التي تقدر بـ 18.595 ريالا سنة 1809، وثروة امرأة من القهوة الكبيرة، متوفاة أواخر محرم 1813، وتقدر بـ 12.609.

وفيما يلي جدول يوضح توزع مستويات الثروة حسب العينة المدروسة:

توزع الثروة:

الفترة الزمنية	1799-1803		1807-1817		الكلي	
توزع الثروة(الريال)	عدد الحالات	النسبة	عدد الحالات	النسبة	عدد الحالات	النسبة
أقل من 50	29	٪14.57	105	٪21.42	134	٪20.15
من 50 إلى 100	27	٪15.42	66	٪13.46	93	٪13.98
من 100 إلى 500	58	٪33.14	148	٪30.20	206	٪30.95
من 500 إلى 1000	25	٪14.28	68	٪13.87	93	٪13.98
من 1000 إلى 5000	31	٪17.71	83	٪16.93	114	٪17.14
فوق 5000	05	٪02.85	20	٪04.08	25	٪03.75
	175		490		665	

يتضح من خلال الجدول، أن التباين واضح وشاسع بين نسب توزع الثروة عند النساء، فقد كانت فئة معتبرة منهن لا تمتلكن أزيد من 500 ريال،

وهي تشكل بذلك ما يقرب من 30٪، ثم تليها الفئة التي لا تتجاوز ثروتها 1000 ريال، وشكلت نسبتها 17٪، بينما وجدنا نسبًا قليلة يفوق حجم ثروتها الـ 5000 ريال هي 04٪، ومما نستنتجه من دراسة هذا المخطط أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري آنذاك، جد صعبة وقاسية، انعكست على ثروات الجزائريين، الذين يمكن وصف معيشة بعضهم بالفقر المدقع، وهذه الفترة هي مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، فقد كتب القنصل الفرنسي **دوفال** إلى وزير خارجيته متحدثا عن وضعية الجزائر بعد هجوم الفرنسيين على مدينة الجزائر عام 1815: "لقد ذكرت هاته الأيام كل أنواع المصائب التي حلت بالبلاد منذ تولي عمر باشا الحكم منها هزيمة الأسطول الجزائري على يد الأمريكيين، والسلم المخجلة التي تلت ذلك ثم جيش من الجراد قدم من الصحراء وانتشر في كامل الولاية، متلفا القسم الأكبر وتسببت في مجاعة عمت البلاد".

2 ـ كبيرات الثريات:

تم تصنيف فئة كبيرات الثريات حسب الحالات الواردة في دفاتر بيت المال التي تتجاوز فيها قيمة الثروة الخمسة آلاف ريال (5000) فمن كن هؤلاء؟ وإلى أي الفئات الاجتماعية ينتمين؟ وما هو المقياس الذي يساعدنا في التعرف أكثر على الطبقة الثرية التي عرفها مجتمع مدينة الجزائر في الفترة العثمانية؟

أولا نبدأ بالعينة التي تخص الفترة الزمنية الممتدة بين 1799/ 1803، فقد رصدنا خمس حالات، وهي بذلك لا تمثل سوى نسبة 02.85٪، فهي نسبة ضئيلة جدا تعكس أقلية هذه الفئة في المجتمع، أما في العينة الثانية فقد ارتفع عدد الثريات حيث وصل إلى عشرين حالة (20)، فتشكل بذلك نسبة 04.08٪.

وفيما يلي جدول يوضح فئة كبيرات الثريات في المجتمع:

الفترة الزمنية	عـــــدد التركات	الحـــــد الأدنى	متوسـط الثروة	الحـــــد الأقصى	مجمـــــل الثروة
1799 ـ 1803	05	5095	6766.6	9066	33833
1807 ـ 1817	20	5311	9213.4	38.242	184268

يتضح من الجدول أن ظاهرة الثراء الفاحش، عند فئة النساء لا تخـص إلا فئة قليلة جدا، والظاهرة نفسها شهدها المجتمع التونسي، الذي لا تشكل نسبة ثراء النساء فيه سوى 04.8٪ وهي الفئة الـتي تراوحـت مخلفـاتهن بـين 1000 و3000ريال. والتباين بين حجم ثرائهن واضح في العينة نفسـها، حيـث نجـد مثلا في الفترة ما بين 1799 ـ 1803 فرقا واضحا بين المخلفات (5095) خمسـة وتسعون وخمسة آلاف ريال، هي مخلف زوجة الجيجلي سـنة 1801، ومخلـف امرأة سنة 1803، المقدر بـست وستين وتسعة آلاف ريـــال (9066)، والفـرق كما نلاحظ هام، ونجد أيضا فرقا شاسعا في العينة الثانية الممتدة بـين 1807 ـ 1817، بين المخلف إحدى عشر وثلاثمائـة وخمسـة آلاف ريـال 5311، وهـو مخلف عجوز من زاوية أيوب، توفيت سنة1811، وبين اثنين وأربعين ومائتين وثمانية وثلاثين ألف ريال 38242، وهـو مخلـف مومنـة زوجـة خليـل بنـت الحاج محمود المتوفاة سنة 1817، ويعد الفرق مذهلا بين هاتين الثروتين.

وعليه يتأكد لدينا أنه حتى في فئة كبيرات الثريات يوجـد تفـاوت واضـح بين حجم ثرائهن، وهو ما يعكس حتما انتماءهن الاجتمـاعي والاقتصـادي داخل مجتمع المدينة. ونحـاول تفصـيل ذلـك بالاعتمـاد علـى رسـم جـدول نصنف فيه الفئة الثرية اجتماعيا واقتصاديا.

قائمة أسماء كبيرات الثريات 1799 ـ 1803(دفاتر بيت المال)

السنة / م	الاسم	الثروة
1803	امرأة من الخبوط	9066
1800	بنت بن دارم	8726
1802	عايشة الشوشانة	5542
1801	القبايلية	5404
1801	زوجة الجيجلي	5095

قائمة أسماء كبيرات الثريات 1807 ـ 1817(دفاتر بيت المال)

السنة / م	الاسم	الثروة
1817	مومنة زوجة خليل بنت الحاج محمود	38242
1809	راضية	18595
1813	امرأة	12609
1813	آمة	8757
1808	امرأة بنت بن علي البشاطني	8756
1817	زوجة شاوش العلجة	7790
1816	الإسلامية	7627
1817	نفيسة بنت الحاج قدور	7600
1817	بنت بوزيان قايد	7500
1813	زوجة القايد إبراهيم	7417

1809	دالي يمونة	6980
1811	بنت الحداد بكرجي	6814
1817	بنت القايد عمر	6803
1813	بنت الباي	6491
1808	امرأة	5433
1815	مليسة المسمعة	5433
1814	امرأة	5394
1817	الولية مونى بن ابن ناجح	5378
1810	امرأة محمد بن سيد علي بن مبارك	5338
1811	عجوز	5311

نلاحظ بالنسبة للعينة 1799 ـ 1803، أن أكبر ثروة كانت لامرأة لم يرد ذكر اسمها، حيث تركت ثروة تقدر بـ 9066 ريال، وهي بذلك تمثل نسبة 26.79٪ بالنسبة لمجمل الثروة، كما عثرنا على حالة لاحدى البرانيات تعد ضمن الطبقة الميسورة الحال وهي القبايلية التي تركت ثروة تقدر بـ 5404 ريالات، وهي تشكل نسبة 15.97 ٪.والغريب في الأمر أن نعثر على إحدى المعتقات اللاتي ارتقين إلى سلم الثراء والغنى وهي "الشوشانة"، فقد تركت ثروة تقدر بـ 5542 أي تمثل نسبة 16.38٪، وهو أمر يثير الاستغراب ويفتح مجالا واسعا من وضع الفرضيات التي أهلت خادمة إلى ارتقاء سلم الثريات واحتلال المرتبة الرابعة منه، فهل خدمة البيوت من المهن المربحة في ذلك العهد؟ أم يوجد هناك تفسير آخر نجهله كان سببا في كسب هذه الثروة؟ فإذا أردنا تحليل هذه الظاهرة أكثر بالعودة إلى الوثيقة فإننا نجد أن قيمة مصاغها

فقط شكلت 2025 ريالا، وهو أمر ربما له علاقة بحب المرأة اكتساب المصاغ واعتباره ثروة قائمة بذاتها.

أما بالنسبة للعينة الثانية (1807 ـ 1817)، وتتضمن عددا أكبر مما تتضمنه العينة السابقة، وهذا حتى من حيث قيمة الثروة، فإننا نجد أن متروك مومنة زوجة خليل بنت الحاج محمود يقدر بـ 38.242 ريالا، وهي بذلك تمثل نسبة 25.51٪ من مجمل الثروة، تليها راضية التي تركت ثروة تقدر بـ 18.595 ريالا تمثل نسبة 12.40 ٪ من مجمل الثروة، والأخرى تخص المرأة التي تركت ثروة تقدر بـ 12.609 ريالا، وهي تمثل نسبة 08.41٪، أما ثروة الفئات المتبقية اللاتي تقل ثروتهن عن عشرة آلاف ريال. وقد تمكنا من التعرف على شريحة من النساء كن ذوات شأن في المجتمع، فمن خلال نسبهن وأسماء أو ألقاب أزواجهن، فوجدنا بنت الباي التي تركت ثروة تقدر بـ 6491 ريالا، وهي تمثل نسبة 04.33٪، كما رصدنا حالات أخرى الأولى لزوجة القايد والثانية لابنة القايد وهو لقب إداري ومنهن أيضا من كن بنات لحرفيين، كبنت الحداد البكرجي التي خلفت ثروة تقدر بـ 6980 ريالا وبنت البشاطني التي تركت 8.757 ريال، كما وجدنا حالة زوجة الشاوش، التي خلفت 7790 ريالاً، وحالة جديرة بالاهتمام لامرأة حرفية هي مليسة المسمعة، التي تركت ثروة تقدر بـ 5.433 ريالاً ومما يدعو إلى الاستغراب هو وجود حالة لأمة احتلت المرتبة الرابعة ضمن سلم ميسورات الحال، فقد بلغت تركتها 8757، وهي تمثل بذلك نسبة 5.84٪ من مجمل الثروة، وهنا ارتأينا أن نطرح جملة من التساؤلات علّها تقودنا إلى الكشف عن خصوصية امتلاك فئة العبيد لثروات تؤهلها الارتقاء إلى مكانة مرموقة في المجتمع، وهي تأكيد آخر على تسامح المجتمع الإسلامي وتحرره في معاملة العبيد الذين يمكن أن يرتقوا إلى مكانة هامة في المجتمع.

3 ـ **النساء المتوسطات الثراء:**

تم تصنيف فئة متوسطي الثروة عند شريحة النساء حسب الحالات التي تتراوح فيها قيمة الثروة بين 1000 و5000 ريال.

وقد حاولنا من خلالها أن نميز بين فئة النساء، وأن نتعرف على الشريحة المتوسطة الحال في مجتمع مدينة الجزائر التي تنتمي إليها هؤلاء النساء، من العينتين السابقتي الذكر وطرح السؤال: هل هناك أصل ثابت لتفسير نسبة التفاوت بين ثروة عناصر هاته الشريحة؟ فهل توفر الأصل والنسب والانتماء إلى الفئة الحرفية كاف للارتقاء إلى مستوى مقبول ووسط من العيش؟ أم هناك أسباب أخرى هي التي تتحكم في توزع الثروة؟ لنصل في الأخير إلى التعرف على حجم ثروة الفئة الوافدة، ومعها الإماء، التي شاع عنها أنها أكثر الفئات حرمانا وفقرا.

وفيما يلي جدول توزع وسطي لثروة كل الفئات (1799 ـ 1803) و(1807 ـ 1817)

ـ الثروة بالريال دراهم صغار.

الفترة الزمنية	وسطي الثروة العام	وسطي الثروة عند الفئة	وسطي الثروة عند	وسطي الثروة عند الإماء والمعتقات
1799 ـ 1803	2374	2389	2466	1761
1807 ـ 1817	2015	2129	1650	1758

أحصينا في العينة الأولى 1799 ـ 1817 حوالي 30 حالة تفوق ثروتها الألف ريال (1000)، وكان بذلك مجموع الثروة الاجمالي لهاته الفئة يقدر

بـ 73.608 ريالا، إن أضخم ثروة كانت لربيبة الجيلالـي البقـار الـتي قـدرت بـ 4597 ريالا، وهي تمثل بذلك نسبة 06.24٪ من مجموع الثروة، وقدر أدنـى حد للثروة بـ 1063 ريال لامرأة متوفاة سنة1800، أما متوسط الثـروة فيقـدر بـ 2374 ريال.

إن أهم ما نستخلصه من هاته المعطيات الإحصائية، هـو إمكانيـة وصـف هاته الشريحة مـن النسـاء في المجتمـع، بأنهـا كانـت أيسـر حـال مـن الفئـات الأخرى ـ المتوسطة الحال ـ، فمبلغ الألف ريـال في الفـترة قيـد الدراسـة لا يستهان به، خاصة إذا ما قارناه بأدنى حد في الثروة الـذي لم يتجـاوز ريـالين اثنين (02)، وكذلك وجدنا أن عدد الحالات يمثل نسبة 17.14٪ مـن مجمـوع عدد حالات العينة، وتعد هي الأخرى نسبة هامة أيضا.

أما العينة الثالثة (1807 ـ 1817)، التي عثرنا فيهـا علـى 82 حالـة وتفـوق ثروتها الألف ريال (1000)، وتمثل بذلك نسبة 16.73٪ من مجمـوع حـالات العينة، الذي يقدر مجموع ثروتها الاجمالي بـــ 167267 ريـال، كانـت أضـخم ثروة فيها لـ زوجة الحاج محمد العربي المتوفـاة سـنة 1815، فقـد قـدرت بـــ 4633 ريال، بينما وجدنا أدنى حد للثروة هو لامرأة متوفـاة سـنة 1223 هـــ، فقد بلغت ثروتها 1052 ريال، ليكون بذلك متوسط الثروة عند هاته الحالات هو 2015 ريال.

من خلال هاته الإحصائيات يمكننا أن نقول بأننا وصلنا إلى النتائج نفسـها تقريبا التي توصلنا إليها بالنسبة للعينة الأولى، وأن تلك الشريحة كانت تعيش في وسط أقل ما يقال عنه أنه أيسر حال ـ في الفئة المتوسطة ـ.

الفئة الأرستقراطية:

إن دراسة عميقة لخصوصيات ما جاءت به دفاتر بيت المال، جعلتنا نصـل إلى تفاصيل دقيقة مكنتنا من التمييز بين فئات هاته الشريحة التي تضم فئة من النسـاء

ينتسب أزواجهن إلى الطبقة الإدارية والعسكرية، وأخرى تنتمي إلى فئة الحرفيين، وفيها نفصل بين الأزواج الحرفيين، وبين النساء الحرفيات أنفسهن.

ـ زوجات الفئة الإدارية والعسكرية: فوق 1000 ريال دراهم صغار:

1802	بنت قائد البحر	4071
1816	خدوجة بنت الرايس	3790
1800	أخت القبطان كان	2701
1802	زوجة ابن البحر	2111
1808	الولية صلوح بنت علي باي الشرق	2078

ـ زوجات الفئة الحضرية:

1803	ربيبة الجيلالي البقار	4597
1800	زوجة الكواش	3294
1803	زوجة سالم الحداد	1317

-فئة غير محددة:

1817	زوجة أمين الجيجلية	1284

ـ نساء حرفيات:

1803	الماشطة	4075
1816	المبحرة	3970
1817	المبحرة	3908
1816	الشماعة	2403
1809	الحاجة المسمعة	2029
1816	المبحرة	1386
1808	مريومة الإسكافية	1178

يبدو واضحا أنّ ثمة تفاوتًا ملحوظا بين حجم ثراء الفئات، ونـذكر علـى سبيل المثال ثروة بنت قايد العيون وهي أضخمها حيث تقدر بـ 4071 ريـال، بينما كانت ثروة الولية صلوح بنت باي الشرق هي أدناهـا، حسـب القائمـة وتقدر بـ 2078 ريال، ومنه كـان متوسـط الثـروة هـو 2950 ريـال. وفي فئـة زوجات الحرفيين وجدنا أضخم ثروة هي لربيبة الجيلالـي البقـار وتقـدر بـــ 4597 ريال، بينما كانت أدنى ثروة لزوجـة أمـين الجيجليـة، وتقـدر بـــ1284 ريالا، وكان متوسط الثروة هو 2623 ريال.

أما في فئة النساء الحرفيات، فقد وجدنا الماشطة أي الحلاقـة، الـتي تركـت ثروة تقدر ب 4075 ريال وهي أضخم ثروة في العينةـ الأولى والثانية ـ بينمـا

أدنى ثروة كانت للإسكافية التي قدرت ثروتها ب1178 ريالا فكـان متوسـط الثروة يقدر ب 2527 ريالا.

الفئة الوافدة:

يتعلق الأمر بالفئة الوافدة من خارج مدينة الجزائر، والـتي يـتراوح حجـم ثروتها بين 1000 و5000 ريال دراهـم صـغارا، وقـد رصـدنا في العينـة قيـد الدراسة (1799ـ 1817)، خمس حالات (5) بلغ مجموع ثروتها 10182 ريالا.

إن أضخم ثروة كانت للعباسية المتوفاة سـنة 1801، حيـث تقـدر ثروتهـا بـ 2966 ريالا، بينما كانت أدنى ثروة هي للمرابطـة فاطمـة البليديـة المتوفـاة سنة 1815، وتقدر ب 1598ريالا، لنحصل بذلك على متوسط الثروة المقـدر بـ 2036ريالا، وفي الحقيقة يمكننا أن نعتبر أن حال الفئة الوافـدة عمومـا جـد متقارب، ونخص بذلك الفئة الأيسر حالا في الشريحة المتوسطة الثروة.

فئة الإماء والمعتقات:

قد نستغرب وجـود هاتـه الفئـة ضـمن الفئـات الأيسـر حـالا في العينـة المدروسة، والتي حددنا حجم ثروتها المتراوح بـين 1000 و5000 ريـال. فقـد عثرنا على أربع حالات (4) لإماء بلغ مجمـوع ثـروتهن 9009 ريـال دراهـم صغار، وكانت أضخم ثروة لأمة متوفاة سنة 1813 بلغت قيمتها 4293 ريالا، أما أدنى ثروة فهي لأمة متوفاة في السنة نفسها، وتقدر بـ 1398 ريالا، ليكون بذلك متوسط الثروة عند فئة الإماء هو 2252 ريـالا، إن هاتـه الإحصـاءات تعد إثباتا صريحا لواقع معيشة هاته الفئة التي ارتقى البعض منهـا للعـيش في وسط أقل ما يقال عنه أنه أفضل بكثير من فئات أخرى وإن كانت حرة.

ثروات الإماء 1817.1799 :

أما المعتقات، فقد رصدنا خمس حالات بلغ مجموع ثـروتهن 6821 ريـالا، وقد بلغ متوسط الثروة 1364ريالا، وهنـا نلاحـظ تفاوتـا واضـحا بـين هـذا العدد وما سبق ذكره عند فئة الإماء، فهل التحـرر مـن العبوديـة لـه علاقـة بالثروة؟ أم أن للثروة دلالات خاصة بها تتظافرها عـدة معطيـات هـي الـتي تفسر ارتقاء الفئات إليها مهما كانت أوضاعها الاجتماعية والاقتصـادية، إن أضخم ثروة هي لأمة معتوقة متوفاة سنة 1813 فقد بلغت 1633 ريـالا، أمـا أدنى ثروة فهي ليـاقوت معتقـة التونسـي المتوفـاة سـنة 1815، وقـد قـدرت بـ 1069 ريالا.

الفئة الأقل يسرا في الطبقة الوسطى :

قمنا بإحصاء عدد الحالات الواردة في دفاتر بيت المال، والتي يتراوح فيهـا مبلغ ثروتها بين 100 و1000 ريال دراهم صغار، وأدرجناهـا ضـمن شـريحة النساء التي اعتبرناها أقل يسرا ضمن وسطي الثـروة. وقـد قـدر نسـبة عـدد الحـالات الـواردة في العينـة الأولى 1799 ـ 1803 بـــ 47.42٪ مـن مجمـوع الحالات، وكانت أضخم ثروة لامرأة مـن عـين السـباط المتوفـاة سـنة 1801 وتقدر بـ 966 ريالا، وتمثل بذلك نسبة 03.11٪، أما أدنى ثروة فهي لعجـوزة من سباط الذهب وقد بلغت 101 ريال.

الفترة الزمنية	عـدد التركات	الحـد الأدنى	وسطي الثروة	الحـد الأقصى	مجمـل الثروة
1799 ـ 1803	83	101	385	996	31973
1807 ـ 1817	216	100	382	995	82574

إن ما لاحظناه على توزع ثـروة هاتـه الشـريحة هـو التفـاوت الواضـح بـين الحدين الأدنى والأقصى، كما أن الثـروة الـتي تـتراوح قيمتهـا بـين 100 و500 ريال لدى العينتين قيد الدراسة والتي رصدنا فيها 206 حالات، فهي بذلك تمثـل نسبة 30.95٪، أما الثروة التي تتراوح ما بين 500 و1000 ريال، فرصدنا فيهـا 93 حالة، وهي تمثل نسـبة 13.98٪، وهـذا مـا يجعلنـا نسـتنتج أن أغلبيـة الحـالات الواردة في دفاتر بيت المال الخاصة بالفئة الأولى شكلت أكبر نسبة، وبـذلك تعـد الأغلب على الإطـلاق في كـل الحـالات، ويقودنـا هـذا الأمـر إلى القـول بـأن الأغلبية الساحقة في شريحة النساء في مجتمع مدينة الجزائر، كانـت تعـيش عيشـة متقاربة في مستواها المادي والاقتصادي متوسطة الحال على العموم.

أما في العينة الثانية 1807 ـ 1817 فقد عثرنا على مجموع ثروة يقدر بـــ 82574 ريالا، والغريب في الأمر أن أضخم ثروة هو لأمة من سباط بيالـة المتوفـاة سـنة 1227 هـ، والـتي تقـدر بـــ 995 ريـالا، وتمثـل نسـبة 01.20٪، وكـذلك بالنسـبة لأدناها وهي لأمة متوفاة سنة 1814، وتقدر ثروتها بـ 100 ريـال، وهـذا إثبـات آخر وصورة أدق لما وصلت إليه هاته الفئة مـن ارتقـاء مـادي وإن تعلـق الأمـر بالفئة المتوسطة الحال، فقد كانت أكثر حظا من فئات أخرى أدنى مستوى منهـا، وإن كانت حرة، وهذا ما سنحاول الكشف عنه في العنصر الآتي.

4 ـ النساء الفقيرات:

أخذنا في الحسبان كل الحالات، التي تراوحت فيهـا قيمـة الثـروة بـين 50 و100 ريال، واعتبرنا أن هاته الفئة هي فقيرة ومحرومة دائمـا مقارنـة بالحالـة الاجتماعية السائدة وقتذاك، وأيضا مقارنة مع الفئة التي درسناها سابقا فقـد تبين لنا من خلال مخلفات هاته الفئة أنها لا تملك سوى أشياء عديمة القيمـة. ونأخذ على سبيل المثال متروك عجوزة متوفاة سنة 1801 ويقدر بـ 54 ريالا، وقـد تضـمنت حوائجهـا أشـياء جـد بسـيطة، مثـل: وصـندوق، ومضـربة،

ومطرح، ومجموعة أشياء هزيلة عبر عنها "بالقاربرطال"، ولا تتجاوز قيمة المفروشات 33 ريالا، أما الحوائج التي لا قيمة لها فهي لا تتجاوز 13 ريالا، ونستشف من هذه المعطيات أن تلك العجوز كانت فقيرة.

وفيما يلي جدول يبين توزع ثروة الفئة المحرومة من خلال دفاتر بيت المال في العينة قيد الدراسة.

جدول توزع ثروة الفئات المحرومة (بالريال دراهم صغار):

الفترة الزمنية	عدد التركات	الحد الأدنى	المتوسط	الحد الأقصى	مجمل الثروة
1799 ـ 1803	27	50	75.33	96	2034
1807 ـ 1817	66	50	55.13	99	5128

أحصينا في العينة الأولى 1799، 27 حالة تراوحت فيها الثروة بين 50 و100 ريال، وهي بذلك تمثل 15.42٪، أما مجموع الثروة فيقدر بـ 2034 ريالا، كما تبين لنا أن أضخم ثروة كانت لامرأة من زنقة الجنايز متوفاة سنة 1802 إذ قدرت ثروتها بـ96 ريالا، وتمثل بذلك نسبة 4.71٪ من مجمل الثروة، وكانت أدنى ثروة لعجوز متوفاة سنة 1801 قيمتها 50 ريالا.

أما في العينة الثانية 1807 ـ 1817، فقد رصدنا 66 حالة، أي بنسبة 13.98٪، حيث كانت أضخم ثروة لامرأة سالمة من جامع الأخضر قدرت بـ 99 ريالا، وهي تمثل نسبة 1.93٪، وأدنى ثروة لعجوز وأمة متوفيتين في سنة 1808، وقد تركتا مبلغ 50 ريالا.وكان متوسط الثروة الإجمالي هو: 55.13 ريالا.

يعد الغناء من المهن المربحة التي عادت على نساء المجتمع بالأموال، ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لحالة المسمعة المتوفاة سنة 1814، التي خلفت ثروة تقدر ب 79 ريالا فقط.

الوافدات الفقيرات:

عثرنا على ثمان حالات (8) لنساء وافدات أو برانيات، ينتمين إلى فئة الفقيرات التي تتراوح قيمة ثروتهن بين 50 و100 ريال، وقد بلغت قيمة الثروة عندهن 610 ريالات، وبلغ متوسط الثروة 76.25 ريالا، وفيما يلي قائمة بأسماء الوافدات الفقيرات حسب ما جاء في العينة (حجم الثروة بالريال):

ـ امرأة عنابية	97 ريالا
ـ عجوز جيجلية	85 ريالا
ـ امرأة مغربية	85 ريالا
ـ امرأة قليعية	84 ريالا
ـ امرأة سباوية	79 ريالا
ـ خيرة النايلية	75 ريالا
ـ امرأة بسكرية	54 ريالا
ـ امرأة جيجلية	51 ريالا

من الواضح أن هناك بعض من الفئة الوافدة من عاشت في فقر وحرمان، ويعود ذلك لظروف وأوضاع اجتماعية واقتصادية أثرت لا محالة في نمط معيشة هاته الفئة التي وفدت من المناطق الداخلية إلى مدينة الجزائر، إما لمرافقة أزواجهن الذين دخلوا للبحث عن العمل، وهو حال الفئة البرانية كالجيجلية والسباوية والنايلية والبسكرية، ولم تكن فئة الرجال بمعزل عن

تدني الحالة الاجتماعية، بل كانت الأرقام والنتائج التي توصل إليها الباحثون في الفترة نفسها، تنتهي عند الحقيقة نفسها وهي حرمان الفئة البرانية.

فئة النساء الأكثر فقرا:

يتعلق الأمر بالفئة التي تقل فيها الثروة عن خمسين ريالاً(50) وهي بذلك تعد الأدنى مستوى في طبقات المجتمع من حيث الثروة وهي الأكثر فقرا وحرمانا فإلى أي الفئات الاجتماعية تنتمي هاته الفئة؟ وما هي ميزة مستواها المادي؟.

تم إحصاء 134 حالة تنتمي إلى الفئة الفقيرة في العينتين قيد الدراسة، أي ما يمثل نسبة 20.15٪ من مجمل عدد الحالات، ويتعلق الأمر بنسبة هامة من شريحة المجتمع التي عاشت ظروفا جد صعبة وقاسية وأقل ما يمكن قوله أن هاته الفئة عاشت في فقر مدقع وهو ما يجعل مجال التصور عندنا واسعا يدفعنا إلى تصور إمكانية وجود نمط عيش لهذه الفئة التي بلغ أدنى حد فيها إلى مبلغ ريالين فقط، فما هي الأسباب التي أدت إلى تفشي ظاهرة الفقر في المجتمع؟ فهل يرجع ذلك إلى الأوضاع السائدة وقتذاك؟ خاصة والأمر يتعلق بفترة تراجعت فيها القوة الاقتصادية والبحرية الجزائرية، حيث عرفت هذه الأخيرة مرحلة ضعف وانكماش منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فشحت الغنائم وقل عدد الأسرى وتناقصت الإتاوات بعد أن اقتصر دور البحرية الحربي على رد الاعتداء وترقب الغارات والهجمات، وقد استمرت الأوضاع حتى بداية القرن التاسع عشر.

إن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر منذ نهاية القرن السابع عشر اتصف بالجمود حيث أن تردي تلك الأوضاع أثر سلبا على معيشة الأفراد، ومما زاد من سوءها آنذاك هو عجز الجهاز الإداري على تطوير أساليبه، والمطالب المالية الثقيلة، وانعكس ذلك على السكان فانخفض مستوى معيشتهم، وقد استمر ذلك إلى غاية أواخر العهد العثماني، وبذلك اتخذ

التنظيم الاجتماعي القائم على مبدأ التفاضل، ومن خلال نوعية التعامل وطبيعة العلاقة مع السلطة شكل هرم مقلوب تحتل أعلى قمته التي تمثلها القاعدة التي تشكل الأغلبية الطائفية التركية وتتمتع بكافة الحقوق والامتيازات، بينما نجد في أسفل الهرم المقلوب (الأقلية) التي يجسدها سكان الرعية ومعهم الطوائف البرانية وعامة الناس، كما شكل الصراع والتنافس الحاد بين فرق الأوجاق وجماعات الرياس وجها من الأوجه الخطيرة التي عادت سلبا على الأوضاع الداخلية وخاصة على الجانب الاقتصادي منها وقد وصف **هانريش** حضر الجزائر بأنهم:" قد أصبحوا كلهم اليوم فقراء، ولم تكن ثروتهم في العهد التركي بطبيعة الحال كبيرة أبدا "، إن مدينة الجزائر لم تكن بمعزل عما كان قائما في باقي الولايات العربية العثمانية، فقد صرح الإخباري يوسف الحلبي، بأن عدد الفقراء في مدينة حلب تضاعف سنة 1787، من جراء سوء التغذية، حيث انتشرت المجاعات الرهيبة، هذا وعلى الرغم من محاولة الأسر والعائلات الثرية التخفيف من حدة الأزمة وانتشار الظاهرة، إلا أن ذلك لم يكن وحده كافيا، وقد حمل الجهاز الإداري الممثل في الحكومة العثمانية مسؤولية عدم التكفل بهاته الشريحة المحرومة.

وفيما يلي جدول توزيع ثروة الفئة الأكثر فقرا حسب ما ورد في دفاتر بيت المال (العملة بالريال دراهم صغارا):

الفترة الزمنية	عدد التركات	الحد الأدنى	متوسط الثروة	الحد الأقصى	مجمل الثروة
1799 ـ 1803	29	02	22.48	47	652
1807 ـ 1817	134	02	17.10	49	2292

يتبين من خلال الجدول أن ثمة تباين واضح بين متوسط الثروة في العينة الأولى (1799/ 1803) للفئة الفقيرة التي تقدر بـ 22.48 ريال والعينة الثانية (1807 ـ 1817) حيث يبلغ 17.10 ريال فإلى ماذا يعود هذا الانخفاض؟ لاشك أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها مدينة الجزائر منذ مطلع القرن التاسع عشر، لاحظنا فيها أنه كلما توالت السنوات، كلما ازدادت معها سوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية.

في الفترة ما بين 1799 إلى 1803 تراوحت الثروة ما بين ريالين وسبعة وأربعين ريالا، وكانت أضخم تركة لثلاث نساء وهن عجوزة وأمة وامرأة تركن مخلفا يقدر بـ 47 ريالا، ويمثل نسبة 7.20٪، أما أفقرها فكانت عجوز من باب الجديد متوفاة سنة1802، وقد بلغت ثروتها ريالين (2) فقط.

وتراوحت الثروة فيما بين 1803 إلى1817 بين ريالين اثنين وتسعة وأربعين ريالا، الأولى كانت لعجوزتين خلفت نفس قيمة الثروة ريالان اثنان (2 ريال)، أما الثانية فهي للحاجة ملوكة المتوفاة سنة 1817، وتمثل ثروتها نسبة 2.13٪.

وقد عثرنا على حالة لمسمعة (مغنية)، تركت ثروة تقدر بـ 28 ريالا، وهي بنت الحمامجي المتوفاة سنة 1817، وهي عادة من المهن التي كانت تعود على النساء بالربح وقتذاك.

الوافدات الأكثر فقرا:

رصدنا ثلاث حالات لنساء وافدات على مدينة الجزائر ينتمين إلى الفئة الأكثر حرمانا في مجتمع مدينة الجزائر حيث لم تتجاوز ثروتهن قيمة 50 ريالا، وهن بذلك ينتمين إلى الفئة المهمشة. وفيما يلي قائمة الوافدات الأكثر فقرا.

ـ العنابية	46 ريالا
ـ امرأة عنابية مقتولة	31 ريالا
ـ القسنطينية	05 ريالات
ـ المجموع	82 ريالا

إن السؤال الذي يبقى مطروحا هو هل كان حقا خروج هاته الفئة من مواطنها الأصلية للبحث عن توفير سبل العيش؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو حالهن في مدينة الجزائر التي كانت وقتذاك عاصمة البلاد وتحتوي من المرافق ما لا يوجد في غيرها من المناطق؟ وهل يمكن أن نستنتج بأنهن لم يوفقن في توفير معيشتهن، فكانت الهجرة بذلك زمانا ومكانا أصعب وأشق على قدرة الفرد على التحمل؟.

قائمة المصادر والمراجع:

- سلسلة بيت المال.دفتر4، علبة رقم:2، ودفتر5، علبة رقم:2

1- عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في تاريخ المغرب (الجزائر وتونس وليبيا) 1816-1871**، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس، 1985

2-عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون، بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية واقتصادية**، رسالة دكتوراه الدولة، جامعة الجزائر، 2002

3-ناصر الدين سعيدوني " البحرية الجزائرية في العهد العثماني " **مجلة التاريخ**، الجزائر 1986 العدد 22

4-ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق مقارنات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، دار الغرب الإسلامي، 2000

5-هانريش فون مالستان، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، أبو العيد دودو، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973

6-A,Marcus ,»Poverty and poor relief in eighteenth century in Aleppo" In Revue au Monde Villes au Levant,Hommage à André Raymond , Edisud, 1990

7- T, SHUVAL, **La ville d'Alger vers la fin du 18e siècle**, Population et cadre urbain, édition, C.N.R.S, Paris, 1998

8-T ,Barchouche, «Niveaux de fortune et stratification sociale», In Les **Cahiers de Tunisie**, N.129-130,Tunis 1984

9-PASCUAL, J.P, «Meubles et objets domestiques quotidiens des Intérieurs Damascains du 17e siècle», **In Revue du monde Musulman**, nº 55-56-,1990.

10-PASCUAL, J.P, «Les interventions après décès, une source pour l'histoire économique et sociale de Damas au 17e siècle», **In les villes dans l'Empire Ottoman**, activités et sociétés, T.1, édition du C.N.R.S.

11- LARGUECHE, D, «Sur les traces du quotidien des femmes ordinaires.vivre, paraître, et défier, familles marginaux dans le monde Ottoman: femmes, enfants, pauvres et handicapés, sous la direction de Abdel jelil Temimi, fondation temimi pour la recherche scientifique et l'information, zaghouan, Août, 2002.

12-ESTABLET, C, «Les intérieurs Damascains au début du 18e siècle, sous bénéfice D'inventaires», **Les villes dans L'empire Ottoman activités et sociétés** T2 – C.N.R.S, Aix en Provence, 1994.

13-DENY, J, «A propos du Fond Arabe-Turc des Archives du Gouvernement Général de l'Algérie» **In Revue Africaine**, Vol 62, Alger, 1921.

14-CHERIF, M.H, «Les Documents de Bayt AL Mal dans les Archives de l'ancienne direction des Habous, **In Revue d'Histoire Maghrébine**, Tunis, N 39-40/1985

تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي
في إطار الدولة العثمانية
الفترة الحديثة

أ/ رقية شارف

مقدّمة:

من دواعي الكتابة في موضوع "تشكل كيانات المغرب العربي في إطار الدولة العثمانية" أن الفترة الحديثة في تاريخ المغرب العربي لم تستوف حقها من الدراسة، ولا سيما الدراسة الشاملة، والتي تعتمد على دراسة المغرب العربي كوحدة حضارية؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فبالرغم ممّا بذله مؤرّخونا في هذا الموضوع، فهو لا يزال يستحق أكثر من دراسة معتمدة على المصادر العثمانية، والإسبانية، خاصة منها المحلية، والتي لم تستغل بعد كما ينبغي.

ولأهمية الفترة، وتميزها في تاريخ المغرب الإسلامي، باعتبارها مرحلة المخاض، والصراع الدولي في إطاره الحضاري بين العالم الإسلامي، والعالم المسيحي، وبالتالي فهي – أي الفترة- المعبر الذي عبر من خلاله المغرب الإسلامي من تمزق سياسي، إلى بروزه ككيانات مستقلة ذات حكم مركزي.

والطريقة التي اعتمدناها لدراسة هذا الموضوع هي تناولنا المغرب العربي كموضوع واحد وليس كل قطر على حدة، مبتعدين قدر الإمكان عن السرد التاريخي للأحداث، بل سلكنا منهج تقصي الأحداث ومقارنتها، وتحليلها لنصل في النهاية إلى الإجابة على الإشكاليات التالية:

تحديد واقع ومنطلقات الكيانات السياسية في المغرب العربي؟ وهل كانت هذه الكيانات السياسية تعتمد على نوعية تكون بنية المجتمع والدولة في كل قطر من أقطار المغرب العربي أم لا؟ ثمّ ما هي علاقة هذه الكيانات -إن وجدت- بالدولة العثمانية؟ وما علاقتها بأوربا؟ وأخيرا، ما هي نتائج تشكل كيانات الدولة من حيث الواقع الاستعماري، ومن حيث الأمة والتفسير التاريخي اليوم؟

يجب الإشارة إلى أن مصادر الموضوع كثيرة، ومتنوعة، انتقينا منها القائمة المشار إليها في هوامش هذه المقالة. كما نشير إلى أن وضع المغرب الأقصى كان وضعا متميزا بالنسبة للدولة العثمانية، ورغم ذلك لم ندرسه على حدة، وهذا راجع إلى طرحنا الموضوع طرحا حضاريا.

وموضوعنا المدروس ليس موضوعا قديما، بل هو موضوع الساعة، موضوع عصرنا المعاصر، حيث لا تقوم قائمة لمغربنا العربي، الموحد|المجزأ إلا إذا استفدنا من التجارب السابقة.

كما نتمنى أن يستفيد القارئ من هذه الوقفة التاريخية، وخاصة طلبة قسم التاريخ الذين يدرسون وحدة المغرب العربي الحديث.

تمهيد:

إنّ عملية استقصاء أوضاع المغرب العربي في مطلع الفترة الحديثة، لهي خطوة أساسية لتحديد واقع ومنطلقات الكيانات السياسية للمغرب العربي. إذ تميز هذا الأخير بوقوعه بين شقي رحى:

أولا: واقعه الداخلي الذي تميز بالتأزم والفراغ السياسي، فبعد انتهاء حكم الموحدين عام 260هـ/ 1276م، انقسم المغرب إلى ثلاث دويلات إقليمية[1].

تميز المغرب بشيوع البداوة، وثنائية السلطة، سلطة دينية، تمثلها الزوايا التي أصبحت قوى سياسية منافسة للسلطة السياسية التقليدية.

كما تميز مغربنا بالخمول الثقافي، والركود الفكري والجمـود الاجتمـاعي، حيث أغلق باب الاجتهاد، وأصبحت المؤسسات الدينية عمادهـا التقليـد في مهمتها التربوية، أو التعليمية، والدينية.

كمـا زادت الحـروب والأوبئـة والمجاعـات والفـتن المغـرب العربـي انهيـارا ديموغرافيا، منذ مطلع القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر، حيث تعـدلت البنية الديموغرافية للمغرب العربي بالهجرة الأندلسية، لا سيما بعد 1492م.

دون أن نستثني تحكم اليهود في الاقتصـاد، وتحـول الطـرق التجاريـة مـع السودان، نتيجة عدم استقرار الأوضاع بالصحراء، وسيطرة الدول الأوربيـة على السواحل الغربية لإفريقيا، كل هذا لم يزد اقتصاد المغرب العربي سـوى انكماشا وتدهورا.

ثانيا: إذا كان هذا واقع المغرب العربي داخليا، فإن واقـع العـالم قـد تميّـز بالصراع الدائم بين قوتين سياسيتين وحضـارتين متبـاينتين في العقيـدة: قـوة تمثلها الدولة العثمانية الحاملة لواء الجهـاد الإسـلامي، والمندفعـة نحـو أوربـا الشرقية. وقوة الدول الأوربية الحاملـة شـعار الاسـترداد المسـيحي، متخـذة لذلك ذرائع اقتصادية، وسياسية، لا سيما بعد النجاح الـذي حققتـه خـلال الكشوف الجغرافية، وتوحد إسبانيا عام 1492م، هذه الأخيرة والتي كانت مع البرتغال على رأس الدول الأوربية الحاملة للواء المسيحية. فـاللاتوازن هـذا بين الغرب الإسلامي (شمال لإفريقيا)، وجنوب أوربا سرعان مـا عـدل في إطار الصراع بين الشـرق والغـرب، أو مـا سمـي بالمسـألة الشـرقية، وذلـك بالضغط العثماني على منطقة غرب المتوسط وتجسد ذلك في جهـود الإخـوة بربروس، خاصة عروج، وخير الدين، والعلج على، وصالح ريس.

فثنائية الصراع الدولي والتقاء المغرب العربي مع الدولة العثمانية في العقيـدة، جعل المغرب يأخذ مكانه في هذا الصراع في صف الدولة العثمانية، كـذلك دور المرابطين والأشراف، والمهاجرين الأندلسيين حمل لواء الجهاد في وجه الصليبية_ في إطار الدولة العثمانية_ جعل المشروع الإسباني_البرتغالي يعـاني الضـغطين، الضغط العثماني في أوربا، والضغط المغربي في شمال إفريقيا.

فما هي معـالم أو مظـاهر تشـكل كيانـات المغـرب العربـي خـلال تطـور العلاقات المغاربية_ العثمانية في مختلف مراحلها؟

- **مظاهر تشكل كيانات المغرب العربي- الإسلامي-:**

بدأت عملية تشكل كيانات المغرب العربي بإنقاذ وتوحيد البلاد على يـد الأخوين عروج وخير الدين بربروسة اللّـذين كانـت جزيـرة جربـة منطلقـا لجهادهما البحر، في غرب البحر المتوسط، وكـذلك علـى يـد الـوزير سـنان باشا، والقائد طرغود (درغوث) بالنسبة لتونس، وطرابلس الغرب (ليبيا).

نستطيع القول بأن العمليات البحرية الإنقاذية التي قام بها هـؤلاء لمنطقـة الغرب الإسلامي وضعت حدّا لفترة الفوضى والغموض الداخلي من جهة، وللأطماع الصليبية الخارجية من جهة أخرى منذ نهاية القرن الخامس عشـر، إلى سنة 1529م، في الجزائر، وهي السنة التي تمكن فيها خير الدين مـن تحريـر حصن البنيون (برج الفنار)، والذي ظل شوكة في قلب مدينة الجزائـر فطـرد منها الإسبان، وبنى رصيفه المشهور[2].

وإلى سنة 1553م[3]، بالنسبة لطرابلس الغرب حيث وقع الاتصال المحلي_ العثماني من خلال جهود القائد درغـوث الـذي خلـص الـبلاد مـن حكـم فرسان القديس يوحنا.

أما تونس، ففترة الغموض والفوضى وضع لها حدّ على يد الوزير سنان باشا الذي افتكها من الإسبان[4]. وأسر الأمير الحفصي محمد بن الحسن الذي حمله إلى اسطنبول، وعلى هذا الأساس أقام نيابة تونس عام 981هـ/ 1573م.

كما شهدت سنة 1574م، بالمغرب الأقصى تولى محمد المتوكل للولاية والذي تعتبر ولايته تمهيدا لعصر المنصور الذهبي.

تلك كانت بوادر تشكل كيانات المغرب العربي في إطار الصراع بين الشرق والغرب، والتي نلمس مظاهرها من خلال ما يلي:

أ/ الاستقلال والتبعية للدولة العثمانية: اتسمت طبيعة العلاقات العثمانية في كل قطر من أقطار المغرب العربي بنوع من التفاوت والتمايز، وإن اشتركت في نقاط عامة، وذلك مردّه إلى الظروف الداخلية لكل قطر.

- **في الجزائر ندرس الاستقلالية والتبعية من خلال أربع فترات:**

- مرحلة البايلربايات (1518_1588) تميزت ببداية ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سياسيا وإداريا طواعية[5]. وكان خير الدين بربروس مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة باتفاق معظم المؤرخين[6].

وكان البايلرباي في الجزائر حاكم الإيالات الثلاث، ومنسقا مع الباب العالي، حيث شكلت الجزائر خلال هذا العهد_ عاصمة شمال إفريقيا في الدولة العثمانية، وجبهة صراع متقدمة في البحر المتوسط، لذلك سميت بدار الجهاد، ومن ثمة كان البايلربايات الموجهين الرئيسيين لسياسة الباب العالي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وما لاحظناه هو أن هذا التوجه كان يخضع بالدرجة الأولى لاعتبار حماية المنطقة، ورعاية مصالحها. إذ خلال هذا العهد وبخلاف العهود اللاحقة استطاعت الجزائر أن توفق بين موقفها

الاستقلالي في صياغة سياستها الغربية والمحافظة على علاقتها الوطيدة مع الدولة العثمانية، ومن مظاهر ذلك حصول فرانسوا الأول من سليمان القانوني، أثناء تحالفهما ضد شارلكان، على امتياز استغلال المرجان في الشرق الجزائري (القالة)، وذلك عام 1560م.

كما أدت الجزائر وعن طريق خير الدين دورا أساسيا في توطيد علاقة سليمان القانوني بفرانسوا الأول هذا الاخير الذي استنجد بسليمان القانوني ضد الملك الإسباني شارلكان، وهولندا وأمريكا اللاتينية [7]، ويمكن اعتبار دحر حملة شارلكان وصدها عن الجزائر عام 1541م، نصرا للعالم الإسلامي ككل، وليس للجزائر فقط.

أما في مرحلة الباشوات (1587–1659م)، فعدة عوامل جعلت العلاقات العثمانية_ الجزائرية تنفرج (تبتعد)، أهمها معركة الليبانت عام 1571م، واسترجاع تونس نهائيا من الحكم الإسباني، فتحولت الجزائر إلى ولاية عثمانية عادية تهتم أساسا بحماية الحدود الغربية للدولة العثمانية على غرار بغداد شرقا ولعل الفوضى والاضطراب في جهاز الحكم، وثورة الجند التي كانت خاتمة لهذه الفترة دليلا على الرغبة في الاستقلال السياسي والإداري عن الدولة العثمانية. فمرحلة الأغوات (1659–1671) تعتبر مرحلة انتقالية من التبعية المباشرة إلى الحكم المستقل عن الدولة العثمانية والذي تجسد في عهد الدايات(1671– 1830)، أطول العهود في تاريخ الجزائر الحديث، فلا أحد ينكر سنة 1711م كتاريخ لاستقلال الجزائر عن الدولة العثمانية سياسيا، ومن مظاهر هذا الاستقلال رفض الداي علي شاوش مبعوث الباب العالي إلى الجزائر وهو الباشا إبراهيم، بل ونجح الداي في اكتساب لقب الباشا الشرفي من الباب العالي، هذا الأخير الذي اعترف بسياسة الأمر الواقع، فأصبح الداي يجمع بين اللقبين والسلطتين، الداي والباشا، وبالتالي أصبحت الجزائر قوة حليفة للباب العالي، أكثر منها تابعة له، فإرسال الهدايا

لم يكن يعبر عن الحصول على الترسيم، بقدر ما كان يعبر عن الولاء للسلطان كخليفة للمسلمين[8].

ومن مظاهر السيادة الجزائرية أيضا استعمال رايات متعددة حسب شهادة الأسير الألماني كاثكارت في مذكراته في أواخر القرن الثامن عشر والذي ذكر أن الجزائريين يرفقون يوم العيد العلم التركي على قصر الداي، والعلم الجزائري على التحصينات، أما العلم الإسلامي فيرفع يوم الجمعة[9].

- **أمّا في طرابلس الغرب فندرس التبعية والاستقلال من خلال ثلاثة عهود بارزة:**

العهد العثماني الأول(1551-1711) حيث كانت طرابلس الغرب تابعة للدولة العثمانية مباشرة منذ أن خلصها درغوث من حكم فرسان القديس يوحنا الصليبي سنة 1553م، ومن طبيعة هذه الظروف، في هذه الفترة ما سمحت بسيطرة الجنود الإنكشارية، أما عن مظاهر التبعية للدولة العثمانية فهي مشاركة الأسطول الطرابلسي مع الأسطول العثماني في حصار جزيرة كريت سنة 1667م[10].

أما العهد الثاني، فهو العهد القرمنلي(1711- 1835)، تميز بالاستقلال عن الدولة العثمانية، ومن مظاهر ذلك عقد الأسرة القرمنلية معاهدات مع الدول الأجنبية رأسا دون الرجوع إلى القسطنطينية[11].

فإذا كان استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية، قد تمّ سنة 1711م، فإن الأمر بالنسبة لطرابلس الغرب كان غير ذلك، إذ ما فتئ أن انتهز السلطان محمود الثاني فرصة الصراع على الحكم داخل أسرة القرمنلي بالإضافة إلى تكالب الدول الأوربية على المغرب العربي _ لا سيما بعد احتلال الجزائر سنة 1830م.

ليلحق طرابلس الغرب بالدولة العثمانية منذ سنة 1835م. وهنا دخلت ليبيا في العهد العثماني الثالث (1835-1912م)، والذي تميز بتبعية ليبيا للدولة العثمانية، وهنا نقف عند عدم فعالية الحكم الوراثي في طرابلس الغرب، والذي لم يقد البلاد نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية، بل ظلت الدولة العثمانية، ثم تركيا، وصيّة عليها، تتعامل مباشرة مع فرنسا في شأنها[12]. إلى أن وقع الغزو الإيطالي على ليبيا، وتوقيع تركيا لمعاهدة لوزان سنة 1912م.

- **تونس: وهي ثالث ولاية في المغرب العربي تنضم إلى الدولة العثمانية:**

إذ تم إعلان الحكم العثماني في تونس عام 1574م بناء على توجيهات اسطنبول، عكس ما حدث في الجزائر، كما سبقت الإشارة إليه[13]، تميز في تطور العلاقات العثمانية- التونسية، ثلاث مراحل:

المرحلة العسكرية للباشوات (1574-1594م)، لما كانت هذه المرحلة فترة قوة للدولة العثمانية، وكانت أوامر السلطان نافذة في تونس بعدما استند الحكم إلى الباشا الذي يسميه الباب العالي مباشرة[14]، وكان ضم تونس إلى الدولة العثمانية في هذه المرحلة تأمينا لظهر الدولة العثمانية[15]. لكن الضعف الذي عرفته الإمبراطورية منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، والذي يتمثل في أزمة السلطة، قاد تونس نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية. ومن مظاهر ذلك إبعاد الداي للإنكشارية خلال المرحلة الثانية، وهي مرحلة الدايات، كما أصبح الباشا ينتخب من طرف الديوان، ولا يعينه الباب العالي[16].

وإذا تميزت العلاقة التونسية- العثمانية بالارتخاء في عهد البايات المراديين فقد تدعم استقلال تونس أكثر منذ سنة 1705م، حيث الباي الحسيني مصدر القرار في حين الداي والباشا ظلت ألقابا تشريفيةفاعتراف السلطان العثماني

بطبيعة الحكم والاستقلال الداخلي لتونس مقابل تقديم هذه الأخيرة المساعدات العسكرية للدولة العثمانية، وكان ذلك في الحملة التركية على طرابلس سنة 1745م، والحملة على جزيرة كريت سنة1810م، وفي ثورة اليونان سنة1822م، حيث جهز محمود باي فرقة من الأسطول التونسي المؤلفة من تسعة مراكب[17]. وأخيرا معركة نافارين سنة 1827م.

العلاقات مع اسطنبول لم تتوقف عند حد الاستقلال بل توترت بعد سنة1835م، وذلك لموقف الرفض الذي وقفه بايات تونس إزاء إلحاق طرابلس سنة 1835م، من طرف الدولة العثمانية[18].

وحسب تحليلنا واستنتاجاتنا للأحداث أنه كان في نية الدولة العثمانية إلحاق تونس بها، على غرار ليبيا، في هذه المرحلة، لكن هذا لم يحدث، ومرجع ذلك قوة الحكومة في تونس على عكس ليبيا التي لم تقم الأسرة القرمنلية بدورها التاريخي فيها، مثل الأسرة الحسينية. هذا من جهة، ولضعف الدولة العثمانية في هذه المرحلة، والتي أصبحت أراضيها محل اقتطاع وتكالب الدول الأوربية في إطار ما يسمى بالمسألة الشرقية، من جهة أخرى.

وليس أدل على استقلال تونس بكيانها عن الدولة العثمانية من كون أن البايات الحسينيين كانوا يحررون اتفاقاتهم باللغة العربية، وليس باللغة العثمانية، ويعقدونها مباشرة مع القوى الاوربية[19].

- **المغرب الأقصى:** مستقل عن الدولة العثمانية سياسيا، لكن يعيش في إطار الثقافة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية. لذلك وجد في المغرب العربي في الفترة الحديثة حكمان، حكم السعديين في الغرب، وحكم العثمانيين في الشرق، ومؤسستان اجتماعيتان، ونظامان اقتصاديان[20].

لكن نشير هنا إلى الحكم العثماني للمغرب الذي كان يعبر عن طبيعة المنطقة أكثر من تعبيره عن النظام العثماني، وهذا ما يفسر استقلالية كيانات المغرب العربي لا سيما تونس والجزائر.

عدم تبعية المغرب الأقصى لاسطنبول لم ينف وجود تفاعل عبر عنه بالصراع تارة، وبالتأثير الثقافي تارة أخرى.

فالوطاسيون كانوا أكثر خضوعا لسياسة الباب العالي، ومن مظاهر ذلك الدعوة للسلطان العثماني على المنابر، وضرب السكة باسمه، لكن حكم السعديين عدّل الكفة، بل ورفض أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الامتثال لأوامر السلطان سليمان، كما نفهم من كتابه (رسالته) له: " **لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر إن شاء الله، وحينئذ أكتب لسلطان القوارب**[21].

ويكفي الاطلاع على الصراع السعدي العثماني من خلال الجزائر لنشير إلى عدم تبعية المغرب الأقصى للدولة العثمانية، رغم احتلال فاس سنة1554م، من طرف صالح رايس، بمعنى أن هذا الصراع لم ينته بإخضاع المغرب الأقصى، ولعل ذلك يعود إلى فقدان الدولة العثمانية اندفاعها منذ نهاية القرن السادس عشر، أمام تزايد قوة الدولة السعدية، لا سيما في عهد أحمد المنصور الذهبي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

أمّا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر، فقد تطورت العلاقة بين الطرفين نحو الأحسن إذ تميزت بالتمثيل الدبلوماسي المغربي في الدولة العثمانية، ومرد هذا التقارب هو إحساس السلطان الحسن الأول بضعف دولته، وتكالب الدول الأوربية على المغرب الأقصى، كما لا ننسى دور الجامعة الإسلامية، ونضيف إلى ذلك شخصية عبد الحميد الثاني الذي كانت شخصيته إصلاحية، لكن ما تجب الإشارة إليه هو أن هذا التقارب سرعان ما أجهض بوفاة الحسن الأول[22]. وبالهجمة الشرسة

للاستعمار الأوربي الحديث على المغرب، ونستنتج أن شخصية عبد الحميد الثاني، وشخصية الحسن الأول، كان لهما الدور التاريخي في توطيد العلاقات بين البلدين، عكس الدور الذي قام به محمد الشيخ السعدي الذي ذهب إلى حد محالفة الإسبان ومهادنة البرتغال ضد الدولة العثمانية[23].

ومن العوامل التي نراها قد حالت دون تبعية المغرب الأقصى للدولة العثمانية، انفتاحه على التأثيرات الشرقية والغربية، وقربه من شبه الجزيرة الإيبيرية، وهو ما جعله دائما منطقة دفاع حتى وإن تعلق الأمر بالعثمانيين الذين هدفوا إلى جعله حليفا لمساعدة المورسكيين الأندلسيين، كذلك بعده عن مركز الخلافة أبقى عليه منطقة عازلة بين الصراع العثماني- الإسباني. لكنه لم يكن مستقلا فكريا عن الخلافة العثمانية الإسلامية، هذه النقطة التي طالما جهلها أو تجاهلها المؤرخون -لا سيما الغربيون- فالبعد الثقافي في العلاقات بين الدولتين نستشفه من خلال زيارات علماء وكتاب البلاط الملكي مثل زيارة علي بن ميمون المغربي الأندلسي في أواخر القرن السادس عشر، والحسين بن القاسم الدرعي وغيرهما. وكان هؤلاء يشدون الرحال إلى اسطنبول لغنى الحياة الفكرية فيها ووفرة الكتب بها[24].

ب/ الحكومة ومصادر اتخاذ القرار: تطور مصدر القرار في الجزائر في الفترة العثمانية- تبعا لتطور نظام الحكم والجهاز الإداري- بحيث نسجل تباعدا في المواقف والقرارات السياسية بين اسطنبول والجزائر مع اعتبار الخليفة رمزا للوحدة الدينية والسياسية.

شكل الديوان[25] في الجزائر منذ عهد خير الدين مصدر القرار، ففي فترة ما قبل الدايات كانت سلطة الديوان تنفيذية تسيطر عليها طائفة رياس البحر بحيث كان البايلرباي يتولى التنظيم الإداري والعسكري.

ثم تطورت وظيفة الـديوان بتطـور الحكومـة إذ تحـول مصـدر القـرار أو السلطة الفعلية في عهد الباشوات إلى ديوان الجند، مـع بقـاء الباشـا كممثـل السلطان لكنه خاضع لقرارات الجند.

وقد ظهر منذ مطلع القرن السابع عشر ديوانان: الديوان الصـغير، وكـان يتكون من الحاكم والآغا، والكاتب، والمفتي[26]. وقاضي الحنفيين، والضـباط الساميين، وعدد أعضائه حوالي خمسين عضوا. أما الديوان الموسع أو الكبير، فهو يضم الضباط الكبار والمـوظفين السـاميين، وممثلـي الاعيـان، والعلمـاء الجزائريين، دوره المصادقة على القرارات التي يصدرها الديوان الصغير.

ومع مرور الوقت فقدت تلك الـدواوين صـلاحيتها حيـث أصـبحت لا تعقد جلساتها كما هو الحال في بداية أمرها. وأصبح الداي يعتمد أساسـا في تسيير شؤون البلاد على مجلس وزراء متكـون مـن خمـس قـوى: الخزنـاجي كوزير مالية الدولة، وآغا العرب مهمته الإشـراف علـى الأهـالي، وخوجـة الخيل كوزير للفلاحة- بمفهومنا المعاصـر- ووكيـل الخـرج مسـئول البحريـة ووزير الشؤون الخارجية، وأخيرا بيت المـالجي، ويسـاعد هـؤلاء الـوزراء في مهمتهم مجموعة كبيرة من المـوظفين الـذين عرفـوا بالخوجـات، كمـا كانـت سلطة الديوان نافذة على البياليك[27].

دار السلطان: ومركزها الجزائر العاصمة، وهي مقـر الحكـم، ثـم بايلـك التيطري وعاصمته المدية، وبايلك الشرق، وعاصمته قسنطينة، وأخيرا بايلك الغرب، وعاصمته وهران.

كان الديوان يقوم بتثبيت أوعزل الباي في رحلة الـدنوش الـتي يقـوم بهـا السلطان، ومن خـلال البـاي كانـت قـرارات الـداي نافـذة علـى الأوطـان والقبائل والدواوير.

الفكرة التي نخلص إليها كون الجهاز الإداري كان منظما، ومحكما، وكان وسيلة فعالة للحكومة الجزائرية التي كانت مصدر القرار، أشبه ما تكون بجمهورية، الحكم فيها شورى، مما حال دون ظهور الحكم الوراثي في الجزائر.

أما طرابلس الغرب فقد كانت قرارات الباب العالي نافذة فيها خلال العهدين العثمانيين، أما في عهد الأسرة القرمنلية[28] فكان أفراد الأسرة هم مصدر القرار، ورغم نفوذ هذه الأسرة الذي كان يشمل جل الأراضي الليبية الحالية، إلا أن الحكم كان غير فعال، والقرارات غير نافذة، ومرد ذلك هو التطلعات العثمانية من حين إلى آخر للقضاء على الأسرة.

أما في تونس، فكان البايات يختارون من الأسرة الحاكمة سواء المراديةأو الحسينية، وظل الباي مصدر القرار دون إلغاء منصب الداي أو الباشا.

لكن نلاحظ أن بايات تونس الأواخر لم يكونوا مصدر القرار سواء بالنسبة لسياستهم الداخلية، أو الخارجية، وذلك للتنافس الأوربي على تونس منذ نهاية القرن التاسع عشر، وعدم جدوى الإصلاحات التي قامت في تونس، لاسيما بعد انتهاء تجربة خير الدين الإصلاحية سنة 1876م، هذا من جهة، ومن جهة أحرى اضمحلال الدولة العثمانية التي لم تحرك ساكنا عند وقوع الحماية الفرنسية على تونس سنة1881م.

أما في المغرب الأقصى فقد كان وبقي الحكم فيه وراثيا، وكان الملك مصدر القرارات سواء في السياسة الداخلية للمغرب الأقصى، أو الخارجية، أو الدينية.

أما من ناحية إسهام الاحتكاك العثماني- المغربي في تطور جهاز الحكم فقد أجمع المؤرخون أن أحمد المنصور كان لديه مدربون ومستشارون من الأتراك العثمانيين في الترسانة الملكية وفي أقسام المدفعية، وهذا ما يبرر استعمال مصطلحات: باشا السباهي، وغيرها.

كما استفاد الجيش المغربي لأول مرة من استعمال الأسلحة النارية التي عممها الجيش العثماني في النصف الثاني من القرن السادس عشر[29].

ج/ العلاقات الداخلية والمجتمع: إن مفهوم الدولة في الأدبيات المعاصرة يتحدد بنوعية العلاقة بين جهاز الحكم والمجتمع، ففي تونس والجزائر نجد نفس البنية الاجتماعية بمعنى: كان المجتمع على شكل هرم مقلوب رأسه في الأسفل، وقاعدته في الأعلى، أقلية تركية وكرغلية، في الأعلى حاكمة، وأغلبية(الرعية) محكومة، مجتمع قائم على جدلية الريف بدأ يتزعزع ويبتعد عن تقاليد الماضي العريق، والتحول نحو تنظيم اجتماعي من خلال الاحتكاك بالمدينة التي كانت ذات طابع حضاري، ومتعددة الأجناس، فالجهاز الإداري الفعال استطاع أن يتحكم في العلاقة بين الفئات المتعددة في المجتمع، ويذكر حمدان خوجة قائلاً: "**حين تكونت في مدينة الجزائر مدينة قائمة على ميادئ معتدلة دعت إلى التفاهم لربط مصالح الاهالي بمصالح الأندلسيين**"[30].

فرغم استبداد العثمانيين إداريا، واقتصاديا، حيث كان سكان المدن الذين يمثلون خمسة بالمائة، يحتكرون خمسة وسبعين من الاقتصاد، في حين خمسة وتسعين بالمائة من سكان الأرياف يحتكرون نسبة خمسة وعشرين بالمائة من الثروات، إلا أننا لا نفهم هذا كاستعمار- كما فهمه وفسره الغربيون- بل عرفت المجتمعات المغربية خلال الفترة العثمانية اندماجا بطيئاً، أكسبها أسلوب حياة، بل بفضل العثمانيين ودور الكيانات المغربية -لا سيما الجزائر وتونس- انمج الأندلسيون ضمن الوحدة الإقليمية للدولة العثمانية[31].

كما استطاع البايات في تونس تأسيس أسرة وطنية محلية، فعالة بدليل الشخصيات التي اشتهرت في ظلها كمصطفى خزندار، وخير الدين، وغيرهم من ذوي الأصول المختلفة، بمعنى أنها وظفت الاختلاف أو التنوع في فعالية الجهاز الإداري.

أما ليبيا فالتفاعل بين الأتراك والسكان المحليين لم يحدث بدليل الثورات المتواصلة منذ سنة1587م، والتي أخذت طابعا وطنيا تحريريا، حتى قيل عن نظام السنوسيين أنه " حكومة داخل حكومة"[32]. فسياسة الإخضاع بالقوة التي مارستها الإدارة في طرابلس الغرب ضد السكان جعلتهم في حالة اللااستقرار،، وحملهم لمدنهم على جمالهم على حد تعبير أحد المؤرخين[33].

أما في المغرب الأقصى فالمجتمع لم يكن أحسن حالا، من المجتمعات المغربية الأخرى، إذ لم تعمل السلطة المركزية على ضبطه والذي كان مجتمعا قبليا، بل عملت على تهميشه، كما غيبت الاندماج بين قواه الفعالة، وكانت السيطرة الفعالة على مستوى علاقات الإنتاج لا على مستوى قوى الإنتاج للمخزن، بل كانت قوى الإنتاج محرومة حتى من الدورة الإنتاجية، خاصة في مجال الفلاحة والرعي[34].

الخاتمة:

من خلال عرضنا البسيط نستنتج ما يلي:

- بدأت كيانات المغرب العربي في التشكل انطلاقا من واقعها الداخلي المتأزم، والانحطاط العميق الذي ميز المغرب العربي بدون استثناء، خاصة خلال القرن الخامس عشر، ومن واقع الصراع الحضاري بين المسيحية والإسلام- لا سيما في غرب البحر المتوسط- فكان على شعوب المغرب العربي أن تختار بأن تكون مع الدولة العثمانية في إطار الخلافة الإسلامية، أو لا تكون، فاختارت تونس، وطرابلس الغرب، والجزائر الحل الأول، واختار المغرب الأقصى بقاءه خارج الإطار العثماني سياسيا، لكن متصل به فكريا، وحضاريا.

- كانت كيانات المغرب المدروسة تعتمد بنية اجتماعية متميزة نوعا ما في كل قطر من أقطار المغرب العربي، ومهما يكن الشكل الذي أخذه النسق الاجتماعي في العهد العثماني، فقد تميز بالفعالية، والتطور التدريجي

للمجتمع- لا سيما في الجزائر وتـونس- فـالمجتمع الجزائـري مـثلا لم يعـرف النظام الإقطاعي إلا في عهد الاستعمار الفرنسي، وهنا يحضرنا قـول حمـدان خوجة الذي فضل ظلم الأتراك على عدل الفرنسيين، وهـذا مـا يسـمح لنـا بنزع فكرة الاستعمار عن الوجـود العثمـاني بـالمغرب العربـي، كمـا قضـى الكيان السياسي لدول المغرب العربي على مبدأ تقديس الأشخاص.

• أما نظام الحكم الملكي في المغرب الاقصى فقد أبقى على ركـود البنيـة الاجتماعية، وأبقى على نفوذ الطرق الصوفية التي قلل الحكم العثمـاني مـن حدّتها في باقي دول المغرب العربي.

• علاقة الكيانات المغاربيـة بالـدول العثمانيـة كانـت علاقـة حضـارية، وروحية بدأت متينة، ثم انفرجت، ثم انفصلت، بعدما تكونت هذه الكيانات نهائيـا، كانـت علاقـة ولاء أكثـر منهـا تبعيـة، وبفضـل هـذه العلاقـة أُبعـد الاستعمار الصليبي عن المغرب الإسلامي.

• أما علاقة هذه الكيانات بأوروبا فكانت هذه الأخيرة تنظر إلى المغـرب كعدو تاريخي وحضاري عقدت معه اتفاقات تجارية لما كان قويا، ثـم أصـبح منطقة قابلة للاستعمار من طرف هـذه الـدول نفسـها منـذ منتصـف القـرن التاسع عشر.

• ومن نتائج تشكل كيانات المغرب العربي: اكتساب دوله بطاقة التعريف السياسية أي تحديد الحدود التي طالما كانت محل خلاف بين الشعب الواحـد، وسيادة المغرب العربي عبر عنها منذ سقوطه في الاستعمار الحديث.

• بروز الشعب المغربي كشعب يعرف بمـا لـه مـن حقـوق ومـا عليـه مـن واجبات، ومن خلال علاقاته وتفاعلاتـه مـع السـلطة الحاكمـة، ومـن خـلال إحساسه وانتمائه الحضاري الإسلامي شعب رفض وما يزال يـرفض الحـدود

المصطنعة بدليل واقعه الاستعماري الواحد، وحركته التحريرية الموحدة، وهذا ما يؤكد لنا اضمحلال المغرب شكلا لا روحا عشية الاحتلال الغربي له.

• من حيث مفهوم الأمة فالشعب المغربي ينتمي وقبل الأتـراك إلى الأمـة الإسلامية_ العربية فهو عربي اللسان، وإسلامي العقيدة.

أما من حيث التفسير التاريخي اليوم فنقول بـأن الشـعب المغـاربي يعـيش اليوم نفس الظروف التي كان يعيشها عند مطلع القرن السـادس عشـر، فهـو مهدد من طرف الصليبية الحديثة في عوامل اتحاده التي هي العروبة والإسلام، ومصيره مرهون بألاّ يظل يتأثر ولا يـؤثر بـل عليـه أداء دوره التـاريخي، ولا يكون ذلك إلا باقتران الدفاع عن الوطن بالدفاع عن الـدين، لتكـون فكـرة الوطنية أصيلة.

الهوامش:

---

[1] الحفصـيون في المغـرب الأدنـى (مـن طـرابلس إلى نـواحي دلـس) (1229-1574م)، وبنوعبـدالواد أو بنوزيـان في المغـرب الأوسـط (تلمسـان) (مـن إقلـيم الجزائـر إلى منطقة ملوية) (1236-1554م)، وبنو مرين، ثم بنوالوطاس بالمغرب الأقصى(غـرب ملوية إلى أقصـى منطقـة السـوس) (1269-1549م). نشـير إلى أن هـذه الحـدود لم تكـن مستقرة إبل كانت في حالة مد وجزر إلى أن تشكلت الكيانات المغربيـة في الفـترة الحديثـة والتي من مظاهرها استقرار الحدود على ما هي عليه اليوم.

[2] مؤلف (مجهول)، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليـق، نـور الـدين عبـد القادر، الجزائر، 1353هـ/ 1934م، ص66.

[3] محمد (رفعـت)، **تـاريخ حـوض البحـر المتوسـط وتياراتـه السياسـية**، مصـر، 1959م، ص313.

[4] أحمد بن أبي ضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملـوك تـونس وعهـد الأمـان**، ج2، تونس، 1963م، ص20.

(5) محمد بن محمد التلمساني، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، نشره سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، رقم03، جويلية1967م، ص ص13-14.

(6) جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619_ 1830)**، الجزائر، ص23؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص ص44_45.

(7) مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل 1830م**، ط1، قسنطينة، (1405هـ/ 1985م)، ج2، ص13.

(8) خليفة إبراهيم حماش، **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م**، رسالة ماجستير، التاريخ والآثار، القاهرة، 1988م، ص150.

(9) حماش، **المرجع السابق**، ص162.

(10) رفعت، المصدر السابق، ف17، ص313.

(11) **المرجع نفسه**، ص313.

(12) شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، الكتاب 03**، تر وتح ونق محمد عبد الكريم الوارفي، طرابلس، ليبيا، ص688.

(13) صلاح العقاد، **المغرب في بداية العصور الحديثة، د ت، د م ط، الفصل الخاص بنيابتي طرابلس وتونس**، ص50.

(14) حسين خوجة، **ذيل بشائر الإيمان بفتوح آل عثمان، تق وتح الطاهر المعموري**، ليبيا، تونس، 1395هـ/ 1975م، ص21.

(15) *Robert Mantran, **L'Evolution des relations entre la Tunisie et l'empire Ottomane ,du XVI au XIX siècle, T VII, année 1959,** Tunis, p320.*

(15) ***ibid,****p324*

(16) ***ibid,****p324*

(17) حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس من أقدم العصور إلى الزمن الحاضر**، تونس 1976م، ص193.

[18] ما يؤكد موقف تونس الرافض لإلحاق طرابلس بالدولة العثمانية سنة 1835م، هو عدم إرسال التونسيين عام 1876، أثناء المعركة الروسية- العثمانية سوى النقود والخيول، وكان ذلك تحت ضغط خير الدين التونسي.

أنظر *Robert Mantran ,**Ibid**, p331.*

[19] *,Ibid, p331. Robert Mantran*

[20] *LarouiAbdellah, **Histoire du Maghreb**, T1, Paris,1970,pp235,236*

[21] أبو العباس أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، وتع، وكذا المؤلف، الدار البيضاء، 1954م، ج5، الدولة السعدية، ص32.

[22] محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول(1873-1894م) (1290-1311هـ)**، إشراف، أبوالقاسم سعدالله، الجزائر1985م-1986م ص ص 186-187.

[23] محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الجزائر، جانفي**، 1985م، ص22؛ *Yamilé Bouabba « Les Turcs au maghreb centrale du 16eme au » Alger, 1972*

[24] عبد الجليل التميمي، "تاريخ العلاقات الثقافية بين اسطنبول والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث" **المجلة التاريخية- المغربية**، ع43- 44، نوفمبر، 1986م، تونس، ص 97-99.

[25] الديوان: بنية إدارية مقتبسة عن الدولة العثمانية، وهو يمثل عنصر تجديد وتطوير في المجتمع الجزائري.

[26] مهمة المفتي جد مشرفة في الدولة، فهو يقوم بشرح القوانين المختلفة للناس مشافهة أو كتابة. أنظر:

Venture De Paradis, Alger au XVIIIe siécle, **Revue Africaine,** Alger, 1995, p275-276

[27] قسمت الجزائر في الفترة الحديثة إلى أربعة بياليك من طرف حسن بن خير الدين عام 1556م.

(28) **ينتمي أحمد القرمنلي مؤسس هذه الأسرة سنة 1711م، إلى أسرة تركية موطنها قرمان، هاجر جده إلى طرابلس الغرب، وتزوج مع بعض النساء الوطنيات، لذلك أصبح أبناؤه من الكراغلة.** أنظر: العقاد، المرجع السابق، ص70.

(29) **نلاحظ أن استعمال هذه الأسلحة كان له دور في نجاح الجيش المغربي في حملاته على** السنغال والسودان الغربي في أواخر القرن السادس عشر.

(30) **حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق، وتع، محمد العربي الزبيري،** ط2، الجزائر، 1982م، ص109.

(31) **ميكال يبلز،** "العثمانيون واندماج الأندلسيين المطرودين من إسبانيا في المغرب العربي خلال القرن 17"، **المجلة التاريخية المغربية،** ع31، 32، 1983م، ص522.

(32) **رفعت، المرجع السابق،** ص316.

(33) **محمد امحمد الطويل،** "الحركات التحريرية ضد بعض الولاة العثمانيين بليبيا (1551-1911)" **المجلة التاريخية المغربية،** ع53-54، تونس، 1989م، ص110.

(34) الزين عبد الفتاح، "المغرب الماقبل استعماري، سيرورة مجتمعية (1631-1912)، **المجلة التاريخية المغربية،** ع55، تونس، 1989م، ص11.

البرلمان الفرنسي وقضايا الجزائريين خلال القرن التاسع عشر (19)

أ/حياة سيدي صالح

برز الاهتمام البرلماني الفرنسي بالجزائر منذ الفترات الأولى للاحتلال وتحديدا بعد ثلاث سنوات من الغزو، حيث أخذت الأمور في التأزم، مع ازدياد شكاوى الكولون تجاه تعسف القادة العسكريين وخدمة مصالحهم الذاتية[1]، وكذا استمرار الجزائريين في مقاومتهم بأساليب مختلفة بما فيها الأسلوب السلمي عن طريق العرائض والاحتجاجات. وقد دفع هذا الوضع بالبرلمان الفرنسي إلى التحرك في عدّة مناسبات لإيجاد السبل والطرق الكفيلة بحلّ هذه المشاكل والقضايا بما يخدم مصالح الاحتلال ويحافظ على المستعمرة.

وقد عرفت فترة الحكم العسكري إرسال عدّة لجان لتقصي الحقائق، حول حقيقة ما يحدث في الجزائر، تمثلت خاصة في اللجنة الإفريقية، وزيارتي نابليون الأولى في 1860 والثانية 1865، ثم لجنتي التحقيق الزراعية بعد الجائحة التي أصابت الجزائر خلال سنوات 1867 و1868 و1869، وعرفت فترة الحكم المدني هي الأخرى قدوم عدة لجان كانت أهمها لجنة جول فيري التي اشتهرت بلجنة 18.

لقد حاولت من خلال هذا العمل أن أسلط الضوء على حقيقة هذا النشاط وسعيت للوقوف عند الأهداف الحقيقية وراء اهتمام الحكومات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر بإرسال هذه اللجان، وأردت توضيح دور

الكولون في الضغط على هذه اللجان من خلال استعمالهم مختلف الوسائل خاصة منها نوابهم داخل البرلمان، سعيا منهم إلى الحفاظ على مصالحهم.

فما هي أهم هذه اللجان البرلمانية خلال الفترتين العسكرية والمدنية؟ وما النتائج التي تحققت لها؟ وكيف كانت مواقفها تجاه قضايا الجزائريين (الأهالي)؟ وأخيرا ما موقف الجزائريين تجاهها؟.

1- النشاط البرلماني خلال فترة الحكم العسكري ونتائجه:

- **اللجنة الإفريقية:** هي لجنة تحقيق مهمتها معاينة الوضع في الجزائر، وتقديم تقرير يتضمن اقتراحات واضحة حول مستقبل الجزائر، وقد تلخصت أسباب تكوين هذه اللّجنة في مناقشة البرلمان الميزانية الخاصة بمواصلة الحرب في الجزائر، إضافة إلى الشكاوي التي كان يقدمها بعض الجزائريين المنفيين أمثال حمدان خوجة ضد تعسف الإدارة الفرنسية، وضغط الرأي العام الأوربي على فرنسا لتحديد موقفها من الاحتفاظ أو التخلي عن الجزائر[2]، خاصة بريطانيا التي عبّرت منذ الوهلة الأولى عن رفضها للاحتلال، وطالبت من فرنسا ضرورة توضيح نواياها من تواجدها بالجزائر، ولم يكن موقف بريطانيا هذا بدافع حماية الجزائر بقدر ما كان طمعا في الاستفادة من الامتيازات خاصة وأن هذه المرحلة كانت تشهد صراع الدول الأوربية حول الأسواق الخارجية كنتيجة للنهضة والثورة الصناعية.

على ضوء تقرير قدّمه وزير الحربية المارشال "سولت" (Soult) في 7جويلية 1833، وافق "لويس فيليب" على تكوين لجنة أصبحت تعرف باللجنة الإفريقية Commission Africaine وكان هدفها المعلن جمع معلومات عن حالة الجزائر، وتصور مستقبلها، وإيجاد حلول لمشاكلها[3].

شرعت هذه اللّجنة في أعمالها بمجرد وصولها في 2 سبتمبر 1833 برئاسة الجنرال بوني (Bonnet) وبمساعدة الكاتب بيسكاتوري (Piscatory)،

وإنطلقت في أعمالها في 3 سبتمبر 1833 وانتهت اللّجنة بعد دراستها طريقة التعامل مع الجزائريين إلى أنّ العرب لن يأخذوا عادات الأوربيين ولا تقاليدهم ولا حاجاتهم، وأنّهم لن يختلطوا بهم أبدا، كما أوصت بالتعامل مع بعض الحضر من الجزائريين الذين يرضون بالبقاء في المدن المحتلة.

تشكلت في 12 ديسمبر 1833 لجنة جديدة بعد أن عادت الأولى في 9 نوفمبر 1833، وكانت هذه اللجنة تتألف من تسعة عشر (19) شخصا، يترأسها الدوق "ديكازيس" (Decazes) عضو مجلس الشيوخ برفقة ثمانية من أعضاء اللّجنة الأولى، إضافة إلى أحد عشر (11) عضوا، منهم العسكريين والمدنيين[4]. وبعد ست وخمسين (56) جلسة أوصت اللجّنة بجعل الجزائر كلّها أملاكا فرنسية، والسماح لجميع الأجناس دون تمييز بالاستيطان بها، مع إعطاء الأولوية للمزارعين وأصحاب الحرف.

- **زيارتا نابليون 1860–1865**: سياسة الإمبراطورية II بزعامة نابليون الثالث لم تكن ترمي إلى خدمة مصالح الجزائريين. وإنّما الهدف منها هو خدمة مصالح فرنسا، وقد وضح ذلك الإمبراطور في رسالته إلى ماكماهون، والتي أبرز من خلالها أهدافه الحقيقية من محاولة استمالة الجزائريين، وأنّها لتقوية مركز فرنسا، وتوفير الأمن والسلام للجيش الفرنسي (الثروات)، وتدعيمه بالجنود الجزائريين الذين جرّبت فرنسا شجاعتهم في حروبها بالقرم وإيطاليا والصين والمكسيك، وخدمة الاقتصاد الفرنسي عن طريق استثمار ثروات الجزائر المحلية التي سينتج عنها "تاسيس حركة تجارية عظيمة لصالح فرنسا".

أما هدفه من الاهتمام بالزوايا، فليس لغرض تطوير التعليم العربي الإسلامي وإنّما إيجاد طبقة من "المخبرين والجواسيس"، تعتمد عليهم فرنسا في فرض رقابتها السياسية، والحيلولة دون قيام ثورات ضدها، ويكون منطلقها تلك الزوايا[5]. وقد اتضحت هذه السياسة جلية من خلال مواقفه خلال المجاعة

التي اصابت الجزائر في الستينات من القرن 19، ومنها مسألة تنصير الأطفال الجزائريين، وإقامة القرى الخاصة بهم، وكذا غضه النظر عن سياسة نهب ممتلكات وأراضي الجزائريين من قبل الكولون، ثم قانون السيناتوس كونسلت (14 جويلية 1865) الذي يمنح فيه الجنسية لليهود دون إشتراط التخلي عن الأحوال الشخصية لهم، في حين يشترط على القليل من الجزائريين الذين سمح لهم بالتجنس ضرورة التخلي عن الأحوال الشخصية.

أصدر نابليون الثالث في 24 جوان 1858 قرار تكوين وزارة الجزائر والمستعمرات[6]، وقد ساهمت هذه السياسة في مضاعفة المستوطنين لنشاطهم الاستيطاني على حساب ممتلكات الجزائريين، وكان لذلك آثار سلبية، حيث ازداد عدد الشكاوي من قبل الجزائريين، وحتى من القادة العسكريين الذين كانوا يتخوفون من ازدياد وتيرة المقاومات. وفي 17 سبتمبر 1860 نزل نابليونIII والإمبراطورة "أوجيني" (Eugénie) زوجته بميناء الجزائر في زيارة أولى للجزائر[7]. بعد إقناعه من العديد من المستشارين أمثال "إسماعيل عربان"(Ismail Urbain)[8]، وكانت هذه الزيارة بعد الأزمة الإقتصادية لسنوات 1858-1860 التي أدّت إلى تراجع عجلة التطور داخل المستعمرة، وكذا بروز الأوبئة وبالأخص الكوليرا[9]. وقد دعا خلال هذه الزيارة إلى ضرورة تشجيع الاستيطان الرأسمالي الكبير[10] على الاستيطان الصغير المدعّم من قبل الدولة، وأوصى بمزج المصالح الفرنسية والأنديجينية، وقد أثارت هذه السياسة معارضة شديدة من قبل المستوطنين[11].

والملاحظ من هذا أن نابليون الثالث ركز في زيارة الجزائر على الوقوف عند أسباب الأزمة الاقتصادية التي أثّرت على فرنسا، وأراد بذلك إيجاد الحلول لها، ولم تكن الزيارة بدافع الوقوف على واقع الجزائريين (الأهالي). وفي 26 نوفمبر 1860 ألغى نابليون وزارة الجزائر والمستعمرات، وأعاد تكوين الحكومة العامة بقيادة بيلسي (Maréchal Pélissier)، وكانت أسباب هذا

الإجراء حسب ماذكره آجيرون هو استمرار الثورات في الأوراس 1859، والحضنة 1860، التي كانت دوافعها مختلف الإجراءات القمعية، من نزع للملكية وتفكيك للقضاء الإسلامي، وكان المستوطنون يتهمون الضباط بإثارة هذه الثورات[12]، وفي 6 فيفري 1863 أعلن نابليون الثالث من خلال رسالة للحاكم العام بيلسي (Pélissier) عن سياسته الجديدة ومن أهم ما جاء فيها "الجزائر ليست مستعمرة بالمعنى التام، لكن مملكة عربية، والأهالي مثل الكولون لهم نفس الحقوق في الحماية، وأنا إمبراطور العرب وإمبراطور الفرنسيين"[13].

«L'Algérie n'est pas une colonie proprement dite, mais un royaume arabe. Les indigènes ont comme les colons un droit égal à une protection, et je suis aussi bien L'empireur des arabes que l'empireur des français»

والرسالة التي وجهها نابليون III للمارشال بيلسي كانت بإيحاء من مجموعة من الضباط والمنظرين، مثل المحافظ "فريديريك لكروا" (Frederic la croix)، ومستشار الحكومة "إسماعيل عربان" (Ismail Urbain)، الذين أقنعوه بخطر سياسة الاستيطان الريفي مصرحين بقولهم: "...إنّ فلاح الجزائر الحقيقي هو إبن البلاد، وتنمية خيرات البلاد لا يمكن أن تتم إلا بإشتراك العرب والأوربيين تحت إشراف الحكومة المحلية"، وبذلك اشتدت قبضة العسكريين على الجزائر من جديد، كما اشتد استياء المستوطنين.

قام نابليون III بزيارة الجزائر للمرة الثانية دامت من 3 ماي إلى 7 جوان 1865 [14]، وصفت بالأطول، رافقه خلالها إسماعيل عربان[15]، وقد استقبل من قبل ماكماهون والكولون ببرودة وشك. وبعد عودته إلى فرنسا وضع تعليماته وملاحظاته في رسالة تضمنت السياسة الفرنسية في الجزائر، ووجهها

إلى المارشال "ماكماهون" وذلك في 20 جوان 1865، وقد تضمنت 88 صفحة، وجاء فيها خاصة ضرورة إعادة تنظيم قبائل المخزن، وإنشاء مدرسة عليا لانتخاب المسلمين، مع إعادة تنظيم المدارس، وتطوير المدارس من الدرجة الأولى، والملاحظ أن الرسالة تزامنت مع وجود الأمير عبد القادر في فرنسا[16].

أشار نابليون الثالث في هذه الرسالة أنّه: "طبق في الجزائر أكثر من 15 نظاما، لم ينتج عنها سوى الغموض"[17] معبرا بذلك عن استيائه مما آلت إليه أوضاع الجزائر خاصة ما لمسه خلال زيارته من صراع بين العسكريين والمستوطنين، وقد أكّد ذلك من خلال الرسالة أنّ: "هذا البلد هو في الوقت نفسه مملكة عربية، ومستوطنة أوربية، وقاعدة فرنسية"[18].

«Ce pays est à la fois un royaume arabe, une colonie européenne et un camp Français».

أراد من خلال هذا التصريح طمأنة الكولون والعرب، وبذلك محاولة التوفيق بينهما بما يخدم مصالح فرنسا طبعا

- لجنتا التحقيق الزراعية لوهون 1868 وراندون 1869: من بين أهم لجان التحقيق التي شهدتها الجزائر خلال فترة الحكم العسكري لجنتي التحقيق المعروفة بلجنة الكونت لوهون ولجنة المارشال "راندون"، اللتين تكونتا عقب المجاعة التي أصابت الجزائر، والتي تضرّر منها الجزائريون (الأهالي) ولم تمس الأوربيين الكولون.

عرفت الجزائر في الستينات من 1866 إلى 1868 ظروفا خاصة بسبب المجاعات والنكبات المختلفة[19]، ففي 1866 أعلن الإمبراطور على فتح تحقيق زراعي، وكانت المجاعة التي أصابت الأهالي تعبر عن تدهور الوضع الاقتصادي

تألفت لجنة التحقيق الخاصة بدراسة مشاكل المجاعة في 29 أفريل وبقيت إلى 15 جويلية 1868[20]، وذلك لأجل إيجاد حلول للوضع، وترأسها "الكونت لوهون" (Le comte le Hon) تجولت هذه اللجنة في الولايات الثلاث (الجزائر ووهران وقسنطينة). وقد ركزت في استجواباتها على الجانب الزراعي واستهدفت المناطق المدنية، ولم تستمع تقريبا للمسلمين إلاّ البعض منهم[21].

والملاحظ أنّ لجنة لوهون لم تغامر في المناطق العسكرية حيث المجاعة والفقر، وتركز التحقيق مع الكولون وفي مناطق الحكم المدني حيث عدد الأهالي قليل، وقد اعترف الكولون أنّ هذه الأزمة كانت بالنسبة لهم مربحة، والملفت للانتباه أيضا أنّ الأراضي تعرضت خلال هذه الفترة لنفس الظروف المناخية.

أراد نابليون III من خلال هذه اللجنة تهدئة الأوضاع وإزالة المخاوف، لذلك عين على رأسها أحد المقربين منه، الذي خضع لآراء المستوطنين الذين كانوا ضد الحكم العسكري. وقد انتصرت اللجنة بذلك للكولون انتصارا كبيرا، بحيث في 27 فيفري 1869 وضع الكونت لوهون عريضة يطالب فيها بجملة من المطالب، كانت كلها تخدم المستوطنين وتجاهلت المسلمين، وتحصل لوهون على 129 صوت مقابل 80 صوت في البرلمان[22]، وقد طالب لوهون وجول فافر (Jules Favre) من خلالها بضرورة تطبيق الحكم المدني[23]، فتمكن بذلك الكولون من تحقيق أهدافهم بحيث أنّ نتائج النقاش البرلماني كانت كلها تخدم مصالحهم، وقد تلاشت بذلك سياسة المملكة العربية[24]، وأصبح لوهون الناطق الرسمي للكولون الذين عبروا له بقولهم: "الآن تبدأ مهامك، ستصبح نائبا عنا "c'est maintenant que commence votre tache, vous allez devenir notre "

وبذلك فإنّ تحليل المجاعة وتحديد أسبابها عبر عنه بمنطق الكولون[25]

وهكذا فإنّ لجنة لوهون لم تكترث تماما لما أصاب الجزائريين، واعتبرت مصيبة الجزائريين بذلك فرصة خدمت مصالح الكولون "مصائب قوم عند قوم فوائد".

ألفت حكومة الإمبراطور في 5 ماي 1869 لجنة تحقيق أخرى من تسعة (9) أعضاء برئاسة المارشال راندون (Randon) حاكم الجزائر السابق وعضوية عدد من الشخصيات[26] البارزة من فرنسا، إضافة إلى قادة عسكريين وشخصيات معروفة بتعاطفها مع العرب[27]، وترأس هذه اللجنة المارشال راندون (Randon) بصحبة ثلاثة عسكريين هم الجنرال "آلار" (Allard) و"ديسفوا" (Le général Desvaux) والكولونيل "جريسلي" (Gresley)، بالإضافة إلى خمسة (05) مدنيين هم السيناتور "أرموند بييك" (Armand Béhic)، و"فيرديناند باروا" (Ferdinand Baroot)، و"تلابو" (Talabot)، و"قاستمبيد" (Gastambide)، وشمبلن (Chamblin)، وكان الكتاب (السوكريتاريا) وكانت الأمانة (السكرتاريا)متكونة "فولد" (Fould)، و"روجينا" (Roginiat)، بمساعدة "تاسان" (Tassin)[28].

وقد عاب الكولون عن هذه اللجنة غياب ممثلين عنهم، وكان غياب لوهون بالنسبة لهم مفاجأة مؤلمة[29]، ولم يمثل المستوطنين سوى شخصية واحدة وهي "فيرديناند بارو" Ferdinand)اجتمعت هذه اللجنة بين 31 ماي و24 جوان عشرة (10) مرات[30]، تولى السيناتور أرماند بييك إعداد التقرير النهائي لها، ومثل دور الحكم بين مختلف الاتجاهات بإعتباره محايدا، أو غير متأثر بأي إتجاه[31]، وقد عالجت اللجنة ثلاث قضايا رئيسية هي النيابة والحكم والاندماج[32]. وقام السينانور (Béhic) بتسليم التقرير في 29 جويلية، وتضمن 127 مادة (Article)، انتقدت فيه النظام العسكري وطالبت بإحلال النظام المدني الذي يسيره وزير مقيم بالجزائر[33]. ووافقت على أن يكون للكولون حق انتخاب نوابهم، وكذا انتخاب أعضاء المجالس العامة

(الولايات) ومجالس البلـديات، وأن يكـون للأهـالي حـق التمثيـل في جميـع المجالس دون حق الانتخـاب، وتبقـى الإدارة عسـكرية لكـنّ المنـاطق المدنيـة ستتوسع على حسابها كل خمس سنوات، ودعمت اللجنة الحكم اللامركـزي بإعطاء صلاحيات واسعة للحاكم العام بما في ذلك دراسة الميزانية[34].

ومن بين أهمّ ما أقرتـه إيجـاد ولايـتين، ولايـة مدنيـة خاصـة بـالأوربيين وولاية خاصة بالأهـالي، وهكـذا فـإنّ مشـروع المملكـة العربيـة سـيتحقق، وستصبح المكاتب العربية محمية من قبل هيئة تشريعية[35].

وكانت اللجنة قد وجهـت خمسـة أسـئلة مكتوبـة إلى النـواب الجزائـريين "حسين بن بريهمات" عن الجزائر، و"المكي بن باديس" عن قسطينة، و"أحمـد ولـد القاضي" عـن وهـران، وقـد أجـاب هـؤولاء بكـثير مـن الجـرأة والشـجاعة والصراحة وحرروا هذه الإجابات في باريس[36]، وقد بين هؤولاء ممارسـات المعمرين التي كانت البلاد مسرحا لها[37].

وقد رفض هؤلاء النواب (بن بريهمات، والمكي بن بـاديس، وأحمـد ولـد القاضي) أن يكون سبب المجاعة ما يدعيه المستوطنون، من جهـل الجزائـريين بأمور الفلاحة، كما نددوا ضمنيا بممارسة اليهود الربا الفاحش، وإسـتنكروا تقسـيم أراضـي الأعـراش، أوبيعهـا للأوربـيين لأنّ ذلـك يشـتت الأسـرة الجزائرية، كما نددوا بنظام البلديات الذي لا يخدم إلاّ مصالح الأوربيين، في حين أن الجزائريين هم الذين يمونونه ماديا (الضرائب)، وأشاروا إلى أنّ لجنـة الكونت لوهون 1868 لم يطّلع عليها إلاّ أقلية من الجزائريين، وأنّ الأوربـيين تجاوزوا الحد في آرائهم أمام تلك اللجنة، لدرجة أنّهم حاولوا أن ينـالوا مـن كرامة الشريعة الإسلامية[38]

وفي 9 مارس 1870 صادق مجلس البرلمان على تقرير "بييك" (Béhic)، وأصدر أمرا نص على أنّ الوضع بالجزائر يستدعي وضع نظام مدني يوفق بين مصالح الأوربيين والأهالي[39].

المطالبة بتكوين لجان برلمانية لتقصي الحقائق واقتراح مشاريع إصلاحية، فكان تقرير بيردو Burdeau 1891، ثم تقرير جونار 1892 مثلا، سببا في إصدار قرار من مجلس الشيوخ للقيام بتحقيق واسع في الجزائر.[40]

2- أهم اللجان في ظل الحكم المدني:

أصبحت الجزائر منذ 1870 خاضعة لهيمنة الكولون الذين حاولوا استغلال إهمال الحكومة الفرنسية للوضع، وسعوا لأجل الحصول على المزيد من الامتيازات معتمدين في ذلك على دعم وضغط ممثليهم داخل البرلمان.

وبدأ اهتمام البرلمان بالشأن الجزائري بعد إهمال دام عقودا كان فيها الجزائري تحت رحمة المستوطن وتحت سيطرة حكام عامين كانوا لعبة في أيدي غلاة المعمرين[41]، وازدادت في ظل هذه الظروف مأساة الجزائريين الذين لم يجدوا أسلوبا إلا أسلوب العرائض والشكاوى، التي طالبوا من خلالها بلجان تحقيق خلال القرن التاسع عشر، وبالأخص مرحلة التسعينات منه. وكان ذلك كنتيجة لصراع حاد داخل البرلمان بين نواب الكولون، والنواب الأحرار الذين جعلوا من مصالح الجزائريين (الأهالي) قضية الجزائر.

وغالبا ما كان هذا الصراع بسب تنامي هيمنة الكولون وإزدياد استغلالهم لثروات الجزائر، وقد دفع هذا الواقع بالبرلمان إلى إصدار قوانين حاول من خلالها الحفاظ على التواجد في الجزائر، ومن أبرز هذه القوانين، قانون تجنيس الأوربيين المولودين في الجزائر الصادر في 26جوان 1889[42].

ولا شك أنّ التخوّف من الكولون الأوربيين خاصة منهم الإسبان مع تزايد أعدادهم[43] كان وراء إصدار مثل هذا القانون، ذلك أنّ المخاوف من هيمنة الكولون الأوربيين على الجزائر أخذت في التطور وبرزت معها فكرة الاستقلال الذاتي التي لوّح بها هؤلاء منذ 1870، وهذا ما أوضحه النائب جاستون في إشارته إلى أنّ الاستقلال الذاتي يراد به تنظيم الجزائر مصالحها بنفسها، وأنّ برلمانا كولونياليا وحده يستطيع أن يسنّ القوانين[44]، وفي نفس السياق ذكر رئيس المجلس العام لولاية وهران في 2 اكتوبر1876 بقوله «إنّ كلمة الاستقلال الذاتي قد أصبحت موضة والذين يتزعمون الفكرة هم من غير الفرنسيين».[45]

لقد كان الصراع البرلماني في كثير من الأحيان ينتهي بقرار إرسال لجان تحقيق، كما طالب النواب الفرنسيون كذلك بضرورة إرسال لجان تحقيق، بدعوى إصلاح شؤون الجزائر معتمدين في ذلك على الشكاوى التي كانت تصل إلى البرلمان من الجزائريين مثل العريضة التي قدمها أعيان الجزائر للحكومة الفرنسية أثناء زيارتهم لباريس في 1878[46]، والتي دعوا من خلالها إلى ضرورة الاهتمام بالعرب بحكم ما يؤدونه من واجبات وما أثبتوه من تفاني في خدمة الإدارة الفرنسية[47]، وكذا العريضة التي قُدمت من قبل أعيان قسنطينة في 10جويلية 1887 والتي وقع عليها 1700 شخص احتجوا من خلالها على التجنس وطالبو بإبقاء القضاء الإسلامي[48].

وقد سجل القرن التاسع عشر محاولات بعض البرلمانيين لتشكيل لجان تحقيق غير أنّ الكولون تصدوا لها بقوة وأفشلوها ففي 21 ماي 1874 واقترح النائب «دولافرني»Léonce de Lavergne تشكيل لجنة تحقيق خاصة تضم عشرين عضوا لدراسة الوضع السائد في الجزائر، وإعداد مشروع قانون يتعلق بنظام حكم المستعمرة[49]، وطالب هؤلاء النواب بإقصاء ممثلي الجزائر (نواب الكولون) من عضوية تلك اللجنة، وبعد النقاشات والتعديلات

الضرورية تقرر في 18ديسمبر1874 اللجوء إلى التصويت لتشكيل اللجنة المذكورة، غير أنّ البرلمان تراجع عن فكرة إجراء التحقيق، وبذلك انتصر نواب الكولون مرّة أخرى[50]، وأكدوا على ضرورة دمج الجزائر بفرنسا[51]. وبعد أربع سنوات ردّ الكولون بتشكيل لجنة وذلك في 16 فيفري 1878 أرادوا من خلالها الإطاحة بالحاكم العام«شانزي» (Chanzy)، وطالبوا بالتقليص من صلاحيات الحاكم العام ويربط كل المصالح الإدارية في الجزائر بالوزارات المعنية في باريس[52]

وقد أشارت صحيفة «لافيجي آلجيريان» (La vigie Algérienne) في عددها 1564 إلى تكوينها بمايلي: «لقد تم تكوين اللجنة البرلمانية الخاصة بالدفاع عن مصالح الجزائريين (الكولون) ومن واجب اللجنة المطالبة بتطبيق كل القوانين المعمول بها في فرنسا»[53]. وتكونت هذه اللجنة من (Leon Gambita) (Crémieux) وشخصيات بارزة في الحكومة والبرلمان الفرنسي، منها كريميو (louis Blanc) «لويس بلان» (Jules Favre) ليون جمبيتا «جول فافر» (Albert Grévy)[54]«ألبير جريفي» لقد ذهب بعض النواب المكونين لهذه اللجنة إلى حد المطالبة بإلغاء منصب الحاكم العام، وبعد سنة من تشكيل هذه اللجنة نظم الكولون قافلة برلمانية استطلاعية، لقيت ترحيب الحاكم العام الجديد (Chanzy)الذي عيّن بدلا عن «شانزي» (Albert Grévy)[55]«ألبير جريفي» وكان ذلك دليلا آخر على ضغط نواب الكولون داخل البرلمان.إنطلقت القافلة البرلمانية كما وصفها (Paul Bourde) "بول بورد" في صحيفة (Moniteur Universel) والذي كان ضمن المشاركين في القافلة في 22سبتمبر 1879 من مدينة مرسيليا باتجاه مدينة الجزائر، وعلى متنها مجموعة كبيرة من البرلمانيين منهم السيناتور (Chevassieux)عن قسنطينة و"شوفاسيو" (Lucet) عن الجزائر و"لوسات"(Le lievre) لوليفر رفقة مجموعة كبيرة من الصحفيين[56].عن "لالوار"(La loire) استغرقت هذه الجولة أربعة أسابيع بين

سبتمبر وأكتوبر، وضمت 25 نائبا فرنسيا بمعية "جيرد كاتب الدولة المساعد للشؤون الداخلية الفرنسية[57]، وكان مشروع هذه الرحلة البرلمانية التي حضر لها السيد "تومسون" (Thomson) وهو نائب عن مدينة قسنطينة هو الحصول على المزيد من الامتيازات لصالح الكولون في الجزائر[58].

ورغم أن هذه القافلة لم يكن لها شكلا رسميا غير أن سكان الجزائر (المسلمين) استقبلوها بجفاوة لا نظير لها في كل المناطق التي حلت بها[59]، رغم أنّ نشاطها اقتصر على مقابلة المعمرين والمنتخبين فقط، وكانت في واقع الأمر نزهة أراد من خلالها نواب الكولون إغراء وإقناع الـ 25 نائبا بضرورة الاستجابة لمطالبهم وتحقيق مشاريعهم بما فيها ربط المصالح الإدارية الجزائرية بالوزارات المعنية في باريس، وكذا تقليص صلاحيات الحاكم العام وغيرها من المطالب التي تضاعف من امتيازات هؤلاء الكولون على حساب الجزائريين (الأهالي) الذين تجاهلتهم هذه القافلة رغم أنهّم عبروا بطرق مختلفة عن تذمرهم من عملها بما فيها المقاومة. حيث تزامنت هذه الزيارة الإستطلاعية مع إنتفاضة الأوراس 1879، فاستغل الكولون ذلك للمطالبة بالمزيد من الإجراءات القمعية في الجزائر ، (Code de L'indigénat)، وهذا ما سيحصلون عليه في 1882 بإصدار "قانون الأهالي" ونتيجة لهذه القافلة تمكن الكولون من الحصول على مساندة هؤلاء النواب خلال الحملة التي خاضوها سنة 1880 لمضاعفة عدد نوابهم في البرلمان[60] وفي 22 أفريل 1880 طالب أحد النواب في مجلس الشيوخ وهو "الكونت دوسفيل" ، مناقشة السبل الكفيلة بتحديد المسؤوليات فيما يتعلق بتسيير (Le Comte d'Haussonville) الشؤون الجزائرية. وفي 15 نوفمبر 1880 تكونت لجنة من 20 عضوا منهم 11 عضوا كانوا ضمن اللجنة البرلمانية التي زارت الجزائر سنة 1879 ومن بينهم كاتب الدولة المساعد "جيرد" " Le Petit colon، وكان تكوين هذه اللجنة حسب صحيفة "(Gired) دليلا على اهتمام الحكومة بإعادة تنظيم شؤون

الجزائر، وقد أكدته الرسالة التي بعث بها وزير إلى النواب والبرلمانيين الجزائريين يقترح (Constans) الداخلية (Extra Parlementaire) عليهم أن يكونوا ضمن اللجنة البرلمانية الخاصة المكلفة بتحضير مشروع قانون لتنظيم الجزائر. والتي جاء فيها "بناءا على التقرير الذي قدمه الحاكم العام، والمتضمن اقتراحات تخص التنظيم الإداري للمستعمرة (الجزائر)، والذي يقترح فيه تعيين لجنة برلمانية تكلف بإعداد مشروع لذلك، وبعد دراسته تمّ عرضه على رئيس الجمهورية الذي وافق على تكوين هذه اللجنة التي ستتكون من أعضاء من البرلمان، ومن الإدارة وممثلين عن الوزارات المعنية، وهي المالية والأشغال العمومية والزراعة والتجارة والبريد والتلغراف"[61]، وقد عقدت هذه اللجنة أولى اجتماعاتها برئاسة وزير الداخلية "كونستنس" الذي أشار إلى ضرورة ربط مصالح الجزائر بالوزارات في فرنسا. (Constans) أطلق الكولون مرّة أخرى مبادرة جديدة في أفريل 1887 حيث نظموا لجنة مكوّنة من ثلاثة وزراء وحوالي مائة بين نائب وموظف سامي، كلفوا بالقيام بتحقيق رسمي حول التقدم الذي حققه التعليم العمومي، وتطوير شبكة السكة الحديدية والتلغراف. عرفت بـ"القافلة البرلمانية الكبرى"[62]وكانت الجزائر في هذه المرحلة تشهد مقاومة بوعمامة، هذه المقاومة التي عرقلت مشاريع الإستعمار في الجنوب خاصة منها مدّ السكة الحديدية والتلغراف، وهذا مادفع بالاستعمار خلال التسعينات –عهد كمبون- إلى إنتهاج أساليب جديدة أكثر ديبلوماسية في التعامل مع هذه المقاومات من بينها عرض الأمان على بوعمامة[63].

كان الهدف من وراء تكوين هذه القافلة البرلمانية دفع المجلس التشريعي لقبول مشروع القرض المالي الذي والمقدر ب 50 مليون فرنك، (Louis Tirman) طالب به "تيرمان لويس" وكعادتهم إستغل الجزائريون (الأهالي) مجيئ هذه اللجنة لتقديم عرائضهم وشكاويهم، ففي منطقة القبائل تظاهر

السكان عند مرور القافلة وإشتكوا من إرتفاع الضرائب، مما دفع بالبعض منهم إلى المطالبة بتطبيق سياسة أكثر ليبيرالية في صالح الأهالي، وطالب البعض بتجنيسهم، في حين ألتزمت الغالبية الصمت[64] وكنتيجة لهذه اللجان إزدادت إمتيازات الكولون وإزداد نفوذهم في البرلمان حيث وجدوا الدعم من قبل النواب.

الملاحظ إذن أنّ أغلب الجان التي تكونت والتي توافدت على الجزائر كانت كلها تخدم مصالح الكولون، وتتجاهل تماما مصالح الأهالي، وأغلبها لم توجه أي إهتمام لمصالح الجزائريين (الأهالي)، بل على العكس جعلت منهم وسيلة لإثبات حق الكولون مثلما رأينا مع الجنة التي كوّنها الكولون في 1879 والتي كانت إحدى نتائجها سن قانون الأهالي.

كانت الأوضاع التي تعيشها الجزائر كلها تنبىء بخطر ضياع الجزائر من فرنسا[65]. وقد تدعمت هذه المخاوف عن طريق العرائض والمذكرات الاحتجاجية التي كان يرسلها الجزائريون إلى البرلمان، والتي كثيرا ما طالبوا فيها بجان تحقيق إضافة إلى استمرار المقاومة، لذلك فابتداء من مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر (1890) بدأ التحول يسجل في السياسة الفرنسية، خاصة على مستوى البرلمان وغرفة الشيوخ[66] إتجاه قضايا الجزائريين (الأهالي) خاصة بعد التقارير التي قدمها كل من بيردو (Burdeau) 1891 وجونار (Jonnart) 1892، وكلها توجهت بالنقد لسياسة الإدارة، وأثارت حفيظة مجلس الشيوخ ومخاوفها[67]، خاصة ما تعلق بالفضائح التي ارتبطت بأسماء مشاهير من غلاة المعمرين، مثل ما عرف بفضيحة "فوسفات تبسة" وتعيين (Tirman) حاكما عليها.

وقد أدّت هذه التقارير وهذا النقاش البرلماني إلى استقالة الحاكم العام"تيرمان" من جهة وقرار مجلس (Jules Cambon) حاكم أخر هو "جول

كومبون" الشيوخ إرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر من جهة أخرى في 16 مارس 1891 عرفت بلجنة مجلس الشيوخ وأطلق عليها كذلك إسم لجنة 18 تعبيرا عن عدد أعضائها[68]. وترأسها جول فيري بنيابة بارتيلو وكتابة فرانك-شفو وبوليات وكانت تضم مدنيين وعسكريين[69].

وبالمقابل أعربت غرفة النواب عن عدم رضاها بانفراد مجلس الشيوخ بمعاينة القضايا بمهمة إعداد تقرير عن ميزانية الجزائر، الجزائرية، فكلفت لذلك النائب بيردو (Burdeau) وأصبحت بذلك الجزائر محل اهتمام الغرفتين.

لقد قررت اللجنة استقصاء الآراء عن طريق استبيان نشرته ابتداء من أفريل 1891، اهتم بواقع ملكيات الأهالي ووضعيتهم المدنية، وقضايا الاستيطان، والميزانية المحلية والتعليم العمومي والتقسيم الإداري للجزائر، وكذا مسائل التمثيل النيابي للمسلمين واحتمال مشاركتهم في الانتخابات التشريعية وعضويتهم في المجلس الأعلى وتجنيسهم، خاصة منهم سكان القبائل[70]. تضمن هذا الاستبيان 12 سؤالا يدور حول المسائل التي تشغل الجزائريين والكولون معا[71]. وفي نهاية مارس 1892 قررت لجنة مجلس الشيوخ إرسال لجنة مؤلفة من سبعة أعضاء برئاسة "جول فيري"استغرق عملها 53 يوما وذلك من 19 أفريل إلى غاية 4 جوان 1892 قطعت فيها 4000كلم[72].

وقد عبّرت اللّجنة عن اندهاشها من الإجماع الذي لمسوه أينما نزلوا فيما يتعلق بأوضاعهم المتدهورة، وعن إفلاسهم وفقرهم، وعن رفضهم التجنس والخدمة العسكرية الإجبارية وكذا التعليم الإلزامي، ورغبتهم في الحفاظ على أحوالهم الشخصية، وبإعادة قضاتهم وإعادة الصلاحيات لمستشاريهم البلديين[73].

صُنفت لجنة جول فيري المعروفة بلجنة 18 بأنهّا أهم لجان القرن التاسع عشر التي توافدت على الجزائر، وبكونها اللجنة الوحيدة التي تعرضت في دراستها

وتقاريرها إلى قضايا الجزائريين (الأهالي)، وقد طُرحت نقاشاتها لأزيد من سبع سنوات 1891–1897 (فترة حكم جول كمبون)، غير أنّ الملاحظ أنّ هذه اللجنة تكونت في ظل ظروف خاصة كانت تعيشها السياسة الإستعمارية عموما والفرنسية خصوصا، منها الصراع على إحتلال إفريقية، والموقف من العالم الإسلامي، إلى جانب التطور الصناعي والسكاني للدول الاستعمارية(74)، الذي كان يحتاج إلى نوع من الاستقرار في داخل المستعمرات وهذا ماركّزت عليه سياسة جول كمبون مباشرة بعد توليه الحكم.

وكان موقف الكولون معارضا تماما للجنة جول فيري لجنة 18 منذ البداية، وقد عبروا على ذلك بتصريحات معادية منها "إنّ الجزائر لتهزأ بالسيد فيري، ولقد سبق لنا أن خبرنا آفات أخرى قبله وانتصرنا عليها في نهاية المطاف..."

ومن جهتها دعمت الصحف والمجلات موقف المستوطنين، فالمجلة "الجزائرية التونسية"، (La Revue Algérienne et Tunisienne) كتبت في عددها الثامن معبرة عن موقفها تجاه اللجنة ونوابها مايلي "العرب شعب مغلوب يجب معاملته وفق ما يخدم مصالحنا، وقد تجرأ البعض مقارنته بإخواننا من الألزاسيين واللورنيين الذين خضعوا لسيطرة الألمان.

وكان موقف الجزائريين من لجنة جول فيري أكثر وضوحا وربما كان ذلك بحكم الاهتمام الذي أولته هذه اللجنة لهم من خلال إدراج أسئلة خاصة بهم في الإستبيان الذي تضمن 12 سؤالا. وهذا ما دفع بالجزائريين ربما لاستغلال الفرصة وطرح انشغالاتهم بحرية أكثر، وقد تجلى ذلك من خلال العرائض التي جمعت هذه الانشغالات.

ومن أبرز العرائض التي قدمها الجزائريون للجنة جول فيري عريضة سكان مدينة تلمسان وقسنطينة، أشار أعيان مدينة قسنطينة في إجابتهم عن

استجواب اللجنة البرلمانية إلى أوضاع الجزائريين المسلمين، وقد شبهوهم بالأنعام التي يعجز الراعي عن رعايتها، إشارة إلى هيمنة الكولون على القرار السياسي في الجزائر[75]، وأشاروا من خلالها كذلك إلى وطأة الضرائب وقانون الأنديجينا، وطالبوا بإنتخاب نواب يمثلون الجزائريين وينقلون مشاغلهم إلى المجالس العليا[76].

وقد طرح حميدة بن باديس في تقريره عن حالة الجزائر نفس الانشغالات التي طرحت في باقي العرائض. ونُشر هذا التقرير في جريدة **الشهاب** الجزء الثالث، المجلد الثالث عشر في مقال حمل عنوان "**بين** الماضي والحاضر، شكوى الجزائر وبلواها منذ ست وأربعين سنة". وقد نشر تزامنا مع زيارة "موريس فيوليت" للجزائر سنة 1937 على رأس لجنة برلمانية[77]، وهذا دليل على مواصلة الجزائري مقاومته للسياسة الإستعمارية. في حين يظهر أن نفوذ وهيمنة الكولون بقيت متواصلة ومستمرة إلى غاية القرن العشرين.

الهوامش:

---

[1] بوحوش : **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، لبنان، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص121.

[2] سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الإحتلال"**، (ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982)، ص 97.

[3] **نفسه**، ص 97؛ أنظر أيضا محمد العربي الزبيري، «المقاومة في الجزائر 1830-1848»، **مجلة الأصالة** ع 29-30، جانفي-فيفري، الجزائر 1976، ص16؛ **بوحوش**: التاريخ السياسي للجزئر، ص121.

[4] سعدالله : **المرجع السابق**، ص103.

[5] بوعزيز: سياسة نابليون الثالث، (**الثقافـة** : وزارة الثقافة، الجزائـر) . -ع50، مارس-أفريل 1979. ص22.

[6] DESCHAMPS Paul et Autres : **Les Colonies et la vie Française pendant Huit siècle**, paris,Ed, Firmin – Didot, 1933. p179

[7] Jean – Jacques JORDI, et Jean Louis PLANCHE :1860.1930, **une certaine idée de la construction de la France** , (Ed, Autrement -Collection Mémoires,Paris 1999), p27

أنظر أيضا شارل روبير آجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ص57

[8] أحمد شـقرون: دور الاحـتلال الاسـتيطاني في سياسـة فرنسـا في الجزائـر مجلـة **المصادر** ع 17، السداسي الأول، ص 105.

[9] Jordi, **OP.Cit**, p17

[10] كان يقوم عليه رأسماليون كبار من أصدقاء نابليون III، الـذين منحـت لهـم إمتيازات ضخمة في الجزائر لاستثمار رؤوس أموالهم، كما منحـت لهـم أراضـي شاسعة إنتزعت من الجزائريين. انظر **Jordi, OP.Cit**, p17

[11] شقرون: **نفس المرجع**، ص 105.

[12] **آجيرون**: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى عصفور، الجزائـر، ط2، د م ج، 1982، ص58. أنظـر أيضـا philippe SECHAUD :**Année de L'algérie** Jean - Université (Lumière Lyon, 2003), p09

[13] YACONO Xavier :**Histoire de l'Algérie de la fin de la guerre Turque à l'insurrection de_1954**, Versailles, Ed - L'Atlanthrope , S.D., p161. voire aussi DECHAMP .**OP.Cit**, p180

[14] بوعزيز، **المرجع السابق**، ص21؛ أنظرأيضا سعد الله: **نفس المرجع**، ج2، ص 24؛ **شـارل روبـير آجـيرون**: **نفـس المرجـع** ص60، DECHAMP .**OP.Cit**, p181

[15] YACONO: **OP.Cit**, p163

[16] AGERON : **Politiques coloniales au Maghreb, Collection Hiér.**, Paris 1972. p69

[17] بـــوعزيز: **سياســة نــابليون III**، ص21 أنظــر أيضــا . voire aussi YACONO: **OP.Cit**, p163 DECHAMP .**OP.Cit**, p181

[18] YACONO: **OP.Cit**, p16 voire aussi ، DECHAMP .**OP.Cit**, p181

[19] بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص187.

[20] يحي بوعزيز: **نفس المرجع**، ص.187 أنظر أيضا، **YACONO**: OP.Cit, p77

[21] AGERON : **Politiques coloniales**, p77

[22] AGERON : **OP.Cit**, p78

[23] YACONO: **OP.Cit**, p177

[24] Annie REY Goldzeiguer : **Le Royaume Arabe, la politique Algerienne de Napoléon III 1861,1870**, Alger ,Ed, SNED, 1977 : 659

[25] **Ibid**, p657

[26] بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص170 أنظر REY : **OP.Cit**,p66 Voire aussi YACONO: **OP.Cit**, p177

[27] CH.A.JULIEN : **Histoire de L'Algérie Contemporain (la comquéte et les debuts de la colonisation 1827-1871)**, Alger, Ed, Casbah, 2005. p 443

[28]- . REY : **OP.Cit**,p 660

أنظر أيضا بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص170.

[29] REY : **OP.Cit**,p 661

[30]AGERON : **Politiques coloniales**, p79

[31] بوعزيز: **نفس المرجع**، ص188.

[32] سعد الله: **نفس المرجع**، ج1، ص 162.

[33] .AGERON : **OP.Cit**, p80

[34] سعد الله: **الحركة الوطنية**، دار البصائر، الجزائر، ط 2007، ج1، ص 162.

[35] REY : **OP.Cit**,p 663

[36] سعدالله، **مرجع سابق**، ص170.

[37] **محمد بن شوش**: الغزو الفكري للجزائر 1830- 1870، **مجلة المصادر** : المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر (السداسي الثاني 2008) ع، 18ص108.

[38] بوعزيز: **مجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19**، **مجلة الأصالة**، ع 33، سنة5، ماي 1976، ص15.

[39] بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، ص191.

[40] أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص 84.

[41] سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج 1، ص525.

[42] RENANDOT Françoise, **L'histoire des Français en Algérie1830-1962**, Ed, Robert Laffont, 1979.: op.cit,p88

[43] وصل عـدد الإسـبان بـالجزائر سـنة 1901إلى155 ألـف نسـمة ووصـل عـدد الإيطاليين إلى39 ألف نسـمة أنظـر : YACONO , **op cit** , p217 .

[44] صالح عباد : **المعمرون والسياسة في الجزائر 1870–1900، الجزائـر**، ديـوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص98.

[45] **نفســه**، ص99.

[46] استغل وفد من من أعيان الجزائر زيارته لباريس بدعوة من سلطات الإحتلال لحضور حفلة إفتتاح معرض باريس الدولي في 1878، ليقدموا عريضـة تضـمنت عدّة مطالب منها إنتخاب ممثلين للأهالي في المجالس .

[47] **قنان**: **نصوص سياسية نصوص سياسـية جزائريـة في القـرن التاسـع عشـر**، 1830– 1914، د.م.ج، الجزائر، 2009.، ص 174،

[48] نفسه: ص197.

[49] J, Le Tell , Journal politique et des intérêts coloniaux, **Dépêches télégraphiques**, SN , 21 mai , 1874

[50] آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871**–1919، **تر محمد حاج مسعود وأ. بـاكلي الجزائـر**، ط1، دار الرائـد للكتـاب 2007ج 1 ، ص 783.، **الجزائـر**، ط1، دار الرائد للكتاب 2007ج 1 ، ص 783.

[51] J , Le tell, **OP.CIT**.

[52] أجيرون : **نفس المرجع**، ص 784 .

[53] **La vigie Algérienne** , N° 1564,(sixième année) ,17 Février 1878

[54] بقية الأعضاء المشاركين في هذه اللجنة هـم كالتـالي : Le Blond – Gazot – Arago – Pelletan – Horace de Choiseul – Schoelcher – Krantz –Massot – Peyart – Floquet – Bozerian – Testelin – Bérenger Menier – Ferouillat – Cordier – Henri Brisson – Madier de Montjau – Paul Bert – Martin Nadaud – Margne –Laisant –Edouard Lockroy – Bertholon – Laglois – Foucher de Careil- Léon journault – Deufert –Ro J , La vigie Algérienne , 19 Février 1878 N °1566

[55] آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1 ص785.

[56] Paul BOURDE ; **A traver L'Algérie , souvenires de l'excursion parlementaire** , septembre – octobre 1879, Ed,G, Charpentier , Paris, 1880, p 1

[57] آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص 785.

[58] BOURDE , **OP.Cit**, P 02

[59] **Ibid**, p2

[60] آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص 785.

[61] J , le petit colon ,la réoraganisation algerienne, , 900 ,25 Novembre 1880 .

[62] آجيرون :**الجزائريون المسلون وفرنسا**، ج1، 788

[63] زوزو : **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصـرة 1830-1900**، الجزائـر: **د.م.ج**، 2007، ص93

[64] آجيرون :**الجزائريون المسلون وفرنسا**، ج1، 792

(65) DESCHAMPS : **OP.Cit** , p207

(66) بن داهة: **الاستيطان والصراع حول الملكيـة 1830-1962**، الجزائـر، طبعـة وزارة المجاهدين، 2008 ج 2، ص 107.

(67) آجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص84. أنظر أيضا

RENANDOT : **op.cit** , p88 ; voire aussi YACONO, **op.cit**, p 213

(68) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج1، ص801؛وانظر كذلك **بن داهة: المرجع السابق**، ج 2، ص107

(69) سعد الله: **الحركة الوطنية**، الجزء 1، ص526.

وقد ذكر عمار بوحوش في كتابه التـاريخ السياسـي للجزائـر تكـوين لجنـة 18 في مارس 1891 (ص188)، مثلما ذكر **آجيرون**:نفس المرجع، ج 2، ص802 **ذلـك**، غير أن بوحوش يذكر تاريخ تعيين جـول كمبـون 16 مـارس 1891 في حـين ذكـر آجيرون تاريخ تعيينـه في 10 أفريـل 1891 وهـو نفـس التـاريخ الـذي أشـار إليـه Yacono **في كتابه** "Histoire de l'Algérie".

(70) آجـــيرون: **الجزائريـــون المســـلمون وفرنســـا**، ج1، ص813. **أنظرأيضـــا** Deschamps : **OP.Cit**, p207

(71) سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج1، ص526

(72) آجيرون: **نفس المرجع**، ج1، ص819 .

(73) آجيرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، ج، 1 ص820

(74) سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج1، ص526

(75) قنان: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر**، ص215

(76) **نفســه**، ص 218.

(77) **نفسه**، ص226

هجرة أهالي تلمسان 1911
من خلال الصحافة ولجان التحقيق الفرنسية

دة/ نادية طرشون

جامعة الجزائر

يعترف الفرنسيون منذ احتلالهم للجزائر، بأن المدن الجزائرية غداة الاحتلال قد فقدت قسما كبيرا من سكانها، وغالبية نخبها، إما بالهجرة الى المناطق الداخلية، أو بالهجرة خارج الحدود الجزائرية الى البلاد العربية، مغربية كانت أو مشرقية. وقد دام الحال كذلك حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وكانت هذه الهجرات نتيجة حتمية للمواجهات العسكرية وحرب الإبادة التي اعتمدتها القوات الاستعمارية، وللعقوبات والضرائب المفروضة على الأهالي، وبسبب إصدار العديد من التشريعات والقوانين من طرف الادارة الاستعمارية، بقصد ادماج الجزائر كلية في المنظومة التشريعية الفرنسية.

والهجرة من الجزائر، لها شكلان سبق أحدهما الآخر. فالأولى هي هجرات جماعية لعائلات ومجموعات سكانية لها امكاناتها وأرزاقها، هاجرت من مختلف مناطق الجزائر إلى البلاد العربية وفضلت القطيعة مع بلادها التي سيطر عليها المستعمر الكافر، وهي هجرة غذتها العقيدة والاحساس بالحرية. وكانت أهم محطاتها الزمنية السنوات التالية، 1847 ـ 1860 ـ 1866 ـ 1871 ـ 1888 ـ 1898ـ 1909 ـ 1910 ـ 1911.

ولكن هذه الهجرة غطت عليها وحجبتها هجرة الجزائريين الى فرنسا، وهي هجرة لدواعي اقتصادية معيشية، قام بها شباب وأرباب عائلات لإعانة عائلاتهم وفي نياتهم العودة الى بلادهم. وموضوعنا المختار يندرج ضمن الشكل الأول من الهجرة، حيث يشاء القدر أن تختار تلمسان عاصمة للثقافة الاسلامية بعد مرور قرن على اختيار أهاليها الهجرة الى البلاد العربية الاسلامية. في حركة هجرة انطلقت سنة 1909 وما قبلها من مدينة تلمسان وضواحيها، وبلغت ذروتها في خريف 1911. وقد تميزت هجرة تلمسان عن باقي الهجرات بكثافتها. بحيث خرج ما بين شهري أكتوبر ونوفمبر 1911 ما يفوق 1200 شخص. حتى وصفها الفرنسيون من كتاب وصحفيين وسياسيين بالهلع الحقيقي والوباء المعنوي، الذي سيطر على البلاد كلية، وكان يرمي يوميا بالعشرات من العائلات الجزائرية التلمسانية الى الحدود الغربية[1]. كما قدرت مصادر أخرى؛ أن العدد فاق مائتي عائلة، أي بتعداد 3000 شخص تقريبا. وكانت هذه العائلات قد أبحرت الى بلاد الشام من الموانئ الاسبانية في المغرب الأقصى. وقد تجاهلت السلطات الفرنسية في المنطقة كلية هذه الهجرة في مراحلها الأولى، ولم تتخذ أية إجراءات لإيقافها أو الحد منها[2].

ظهرت البوادر الأولى لهذه الهجرة مع أواخر عام 1910، كرد فعل على إجراءات التجنيد الإجباري وشروع السلطات الاستعمارية في عمليات احصاء الشباب، بحيث أنه مع إعلان 8 فبراير 1911 للشروع في عمليات إحصاء الشباب المؤهلين للخدمة العسكرية في تلمسان، اشتدت الرغبة في الهجرة، وعمت كل سكان المنطقة. وقام المفتي شلبي جلول في خطب الجمعة يحذر الناس من الخطر الذي يتهدد المسلمين، ودعا الى الهجرة موضحا الخطورة التي تنجر عن إقامة المسلمين بين المشركين. وحسب ما أوردته السلطات الاستعمارية في تقاريرها، فإن أول شخصية مدنية بادرت الى الهجرة كانت قائد وادي شولي

المدعو سي لخضر، وكان برفقته 27 فردا من عائلته، ثـم لحـق بـه المـدعو "مومـو مزيان بن منور" وأشخاص آخرون انتقلوا الى المغـرب الأقصـى بواسـطة القطـار حتى وصلوا الى طنجة، التي أبحروا منها الى دمشق[3].

وشـرع هـذا القائـد مباشـرة بعـد وصـوله الى دمشـق في مراسـلة أقاربـه وأصدقائه يحثهم على الهجرة الى بلاد الشام للتخلص مـن تسـلط الفرنسـيين عليهم، وكان يعدد لهم محاسن بلاد الشام وكـرم أهلـها ويـذكر لهـم اهتمـام الحكومة بالمهـاجرين. وقـد أثـار رحيـل هـذا القائـد، تسـاؤلات الفرنسـيين واستغرابهم. فهو كان يتمتع بوظيفـة حكوميـة ولم يتعـرض لأي مسـاس في شخصه أو أمواله. وكان قد سبق هذا القائد في الهجرة الى الشـام مجموعـات كبيرة من أتباع الطريقة الدرقاوية، كان على رأسهم المقدم الشيخ بـن يلـس، وكان هؤلاء قد تقدموا بطلبات للترخيص لهم للسفر الى المشرق منذ سنوات 1903ـ 1904. وتم خروج البعض منهم رغم رفض طلباتهم، ثم كان خـروج المقدم بن يلـس سـنة 1908، ووصـوله الى جبـل طـارق بعـد محـاولتين غـير موفقتين، ومنه أبحر الى دمشق.

وعرفت القرى والمدن القريبة من تلمسان مثل "الرمشي وسبدو وندرومـة" استعدادات كثيفة للهجرة، حيث قام الأهـالي ببيـع ممتلكـاتهم مـن أراضـي وعقارات وأثاث للأوربيين، والفرار خفية عبر الحدود المغربيـة وأمـا م هـذه الحالة من الاضطراب قررت صحيفة l' echo d'oran، إرسـال أحـد محرريهـا وهو Eugene Gross الى تلمسـان للتحقيـق في أمـر هجـرة الأهـالي. وأثـار التقرير الذي نشره في ست حلقات ضـجة كـبيرة واعتمدتـه أكثـر الصـحف المحلية والباريسية التي كتبت عن هذه الظاهرة.

ومما جاء في أحد تقارير هذه الصحيفة؛ " إن الهجرة اشتدت خلال النصف الثاني من شهر سبتمبر والأيام الأولى من شهر اكتوبر، كانت موافقة للنصف

الثاني من شهر رمضان وشوال، ثم خفت ربما لفاعلية الحراسة التي وضعتها السلطات الفرنسية على الحدود مع المغرب الأقصى، ولخشية المهاجرين من تطورات الحرب التركية – الإيطالية في طرابلس الغرب. والملاحظ أن عائلات من أعيان المدينة هاجرت من تلمسان الشيء الذي دفع ببقية الناس الى اتخاذ قرار الهجرة، وعلى حد قول أحد الفرنسيين " فالكل يريد الهجرة لأن الجار هاجر " والوسيلة الوحيدة ذات الفاعلية التي اتخذتها السلطات المحلية، كان بحبس كل من يكشف وهو يستعد للهجرة أو اتخذ قرارا لذلك[(4)].

وأظهرت هذه الصحيفة في مقال آخر؛ " أن التجنيد ليس السبب الوحيد للهجرة مثلما أدعى ذلك بعض الأوربيين. بل الأسباب عديدة ومختلفة، وهي كلها ناتجة عن الوضعية المزرية التي يعيش فيها المسلم الجزائري، وما قضية التجنيد إلا القطرة التي طفح بها الكيل". وأعلنت نفس هذه الجريدة، أن لجان خاصة بالهجرة شكلت في بلاد الشام لاستقبال المهاجرين حيث كانت عملية الدعاية للهجرة متواصلة، سواء من بلاد الشام أو من استانبول، وسواء عن طريق الصحف مثل؛ صحيفة "المعلومات" و"ثمرات الفنون" أو بواسطة الرسائل المتبادلة بين المهاجرين وذويهم في الجزائر.

وقد اتخذت هذه الدعاية طابعا شبه رسمي إذ شكلت مؤسسات وتجمعات منحتها الحكومة العثمانية صلاحيات للاهتمام بأمر المهاجرين وتوطينهم. فظهرت في دمشق، اللجنة الدمشقية للتجمع الأخوي الجزائري ـ التونسي. والتي واضبت على إرسال النداءات ودعوة الجزائريين والتونسيين للهجرة الى بلاد الشام، تعبيرا عن سخطهم على النظام الفرنسي في الجزائر. ومما جاء في أحدى هذه النداءات عبر الرسائل: "... نطلب منكم أن تعرفوا إخواننا المغاربة الذين بطرفكم بما أعرفكم على فضائل بلاد الشام وبما فيه من خير. اعلموا أننا في انتظاركم بدمشق على القدوم إلينا عزما من غير تأخير، لأن الحكومة العثمانية تحتفل بالقادمين إليها من المهاجرين المغاربة، وأول وصولهم الى بيروت

تركبهم الحكومة العلية الى الشام. والسكن أيضا بلا شيء، من غير دراهم، وتعطي الدولة أيضا، كل نفس 20 هكتارا من الأراضي وتعطي له ثوران وزريعة. والولد الذي يولد عند المهاجرين يعطى له مثل الكبير ولا يؤخذ منهم العشر، إلا بعد عشرين سنة ويصير يدفع مثل أهل البلاد[5]. وكان مركز هذه اللجنة في بيروت، ولها فروع في استانبول ودمشق، وكان ممثلها في المدينة الأخيرة مهاجر جزائري يدعى محمد بن شطة، كان قد هاجر أواخر القرن التاسع عشر من مدينة الأغواط الى تونس، وعندما سقطت هذه الأخيرة تحت الحماية الفرنسية خرج منها متوجها الى دمشق هو وعائلته، وتولى فيها رئاسة تحرير جريدة "المهاجر" التي كانت تصدر في دمشق بين سنة 1912 ـ 1914، وهي الناطقة بلسان المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام.

وراحت الصحف المحلية الأخرى مثل صحيفة "الأخبار" تنشر معطيات هجرة أهالي تلمسان واصفة إياها، بأنها "هجرة سكان المدن المرتاحين ماديا" ومفندة الادعاءات التي ربطت هذه الهجرة بالخشية من الخدمة العسكرية، قائلة: "إن هذه الحجة قد قدمت من طرف المستوطنين المعارضين للخدمة العسكرية وهم أيضا المستفيدون من هجرة الأهالي هذه [6]".

أما صحيفة "الحق الوهراني" فقد ذكرت في مقال لها عن هجرة تلمسان، أن نائب المحافظ كان يشجع الناس على الهجرة، وأن المنادي العمومي كان يعلن أن الكل يستطيع أن يسافر شرط أن يكون قد أدى ما عليه من ضرائب[7].

وتتجه صحيفة "الإسلام" الى نشر مقال عن مظاهر هذه الهجرة وأسبابها مع إقتراح بعض الحلول فتقول: "إن حركة هجرة الجزائريين الى سورية ليست وليدة اليوم، فهي تعود الى سنوات عديدة، ولكنها اشتدت منذ سنتين خصوصا في مناطق الهضاب العليا، حيث أخذت آلاف العائلات في

التخلص من أراضيها، واختارت طريق المنفى، وقد شكل هذا الهروب الجماعي ظاهرة ووباءا صار يهدد البلاد بالإخلاء التام". ويستطرد صاحب المقال" أن هذه الصحيفة كانت قد نبهت منذ البداية الى هذا الخطر، وأوضحنا الأسباب التي تقف وراء اندفاع إخواننا للهروب من بلاد لم تعد فيها الحياة محتملة بالنسبة للأهالي" مؤكدا" أن هذا الخروج الجماعي هو في صالح جماعة من الوسطاء ومصاصي الدماء الذين وبإتفاق مع رجال الإدارة، كانوا يشجعون الناس على الهجرة ويدفعونهم الى بيع أراضيهم وممتلكاتهم بأبخس الأثمان" ولا تكتفي الصحيفة بالتنبيه ولكنها أيضا تعمل على تقديم النصيحة بقولها: " إن التحقيقات التي أجرتها السلطات قد بينت العديد من الحقائق، يتوجب التمعن فيها والشروع في عمليات إصلاح عميقة وشاملة في طريقة وأسلوب تسيير شؤون الأهالي، وإحداث تغييرات جذرية في النظام الضريبي والإقتصادي عامة وحتى السياسي" وعند تناول الصحيفة لهجرة تلمسان بالذات، فإنها تذكر أن المدينة جوهرة بلاد المغرب ومشعل من مشاعل الحضارة الاسلامية... وها قد جاء دورها لنسمع أنينها من الوضع البائس الذي تعاني منه البلاد بكاملها". ويذكر صاحب المقال كيف كان عيد الفطر 1 شوال 1329 الموافق ل 24 سبتمبر 1911 يوم حزن عام في المدينة والمنطقة بكاملها، حزنا على الذين غادروا الى سورية، وتركوا وراءهم الأهل والأقارب والجيران". وأوردت الصحيفة ضمن أخبارها، أن السلطات الفرنسية قامت أمام هذا الهروب الجماعي، بغلق الحدود مع المغرب الأقصى. ولكن هذا الإجراء دفع بالمهاجرين الى الحدود التونسية والليبية، حيث سجلت مشادات دموية في قرية بن قردان بين حراس الحدود وبعض المهاجرين عند اجتيازهم للحدود، وكانوا بتعداد 142 شخصا[8].

أما صحيفة " الراشدي"، فقد أوردت قولا لأحد الشخصيات من الأهالي جاء فيه: "... عندما نتكلم عن مطالب الأهالي يقولون إن ممثلي الأهالي في

مختلف الجمعيات لا يذكرون ذلك... ولكن هل للأهالي حقا ممثلون؟ وهـل ننسى الضغط الإداري مـع كـل حملـة انتخابـات، وهـل هنـاك مـن مـثقفين يرشحون أنفسهم؟ طبعا لا... لأنهم متأكدون مسبقا من فشـلهم، فهـم غـير مرغوب فيهم في المجالس، أما في الجمعيات العمومية، فالمرشحون هم عموما من القياد [9].

تقرير لجنة Barbedette 1911:

جاء تقرير هذه اللجنة على إثر الضجة التي أثارتها الصحافة حول هجـرة تلمسان، حيث تقدم المجلس البلدي بطلب الى الحكومة العامـة، للمبـادرة الى تعيين لجنة للتحقيق في أمر هذه الهجرة، على أن تكون شخصياتها ممن تتـوفر فيهم ثقة الأهالي. فبادر الحاكم العام "ليتو" الى تعيين لجنة وضع علـى رأسـها السيد باربيدات، وهو مندوب مالي [10].

والجديد في أعمال اللجنة أنها اتجهت الى استطلاع كل الآراء بما في ذلـك؛ السلطات المحليـة والمسـتوطنين والأهـالي، وذلـك تحـت ضـغط مـن بعـض الفرنسيين الذين طالبوا أن تكون اللجنة موضوعية في أعمالهـا حتـى تـتمكن من التوصل الى الحقيقة. والجدير بالذكر هنا، أن الفرنسيين اعتـبروا تلمسـان مدينة مختلفة ومتميزة عن باقي المدن الجزائرية، وجعلوا منها؛ المدينة الوحيدة التي تحمل صفة الأصالة، خاصة مـن حيـث عـادات النـاس وتقاليـدهم. ف "ويليام مارسييه" وهو مدير مدرسة في تلمسان آنذاك يقول: " عرفت في تلمسان مجتمعا يعمل ليعيش، وهو المجتمع الأكثر أصالة في الجزائر كلها، وهو شـديد التدين والمحافظة "

وفي عرضها لأسباب الهجرة وضعت اللجنة، مسـألة التجنيـد الإجبـاري على رأس الأسباب. فقد أوضح الأهالي، أن أبناءهم سيجبرون على مقاتلة مسلمين مثلهم في المغرب الأقصى، وهذا ما يرفضـه الـدين، كمـا سـيجدون

أنفسهم مبعدين عن ممارسة شعائرهم الدينية. أما المسألة الثانية التي أثارت حفيظة سكان تلمسان، فكانت فصل الدين عن الدولة. حيث رأى الأهالي، أن نتائج قانون الفصل، ستكون وخيمة على المؤسسات الدينية، لأنه ليس بيد الأهالي أوقاف ينفقون منها على مؤسساتهم، لأن تلك الأوقاف، أصبحت ضمن أملاك الدولة. كما أنه يصعب على الأهالي تشكيل جمعيات دينية بسبب العراقيل والصعوبات التي سطرتها الإدارة لذلك.

وأبدى الأهالي احتجاجهم ورفضهم للقانون الذي سنه الحاكم العام السابق السيد " جونار" والقاضي بتقييد الملكيات الخاصة وفق القانون الفرنسي، وبعيدا عن قانون الأرض الخاص بالشريعة الاسلامية. وكان سخط الأهالي شديدا تجاه قانون الأهالي، الذي تطبق مواده على أي كان ولأتفه الأسباب. كما كثرت الشكاوي من الضرائب الثقيلة المرتفعة يوما بعد يوم. وأوضحت اللجنة أن الأهالي يطالبون بإعادة القضاة المسلمين للفصل بين المسلمين بدل قضاة الصلح المعينين من طرف السلطة. كما أن الأهالي أبدوا امتعاضهم من ضعف تمثيلهم في المجالس والجمعيات، في حين يحصل اليهود وأبناء الأجانب على حقهم في الاقتراع باكتسابهم الجنسية الفرنسية.

ولا يهمل التقرير الحديث عن الأزمة الاقتصادية التي يتخبط فيها المسلمون في تلمسان وفي غيرها من المدن الجزائرية. فهذه الأخيرة قد فقدت حيويتها الاقتصادية والتجارية نتيجة؛ تحول الأسواق عنها ومنافسة البضاعة الفرنسية، وخطوط السكك الحديدية التي كانت تنقل عبرها البضائع من المدن الداخلية الى وهران والمدن الساحلية للتصدير أو الاستهلاك. وسادت بين أهالي تلمسان مقولة " أن هذه السكك قد حملت عنهم الخير والبركة ".

أما معاناة سكان الأرياف والمناطق الجبلية، فكانت خاصة من إجراءات قانون الغابات الذي أوصل الأهالي الى حالة من البؤس والفقر، بعد أن

طردوا في السابق من أراضيهم الخصبة وحوصروا في مناطق جبلية وغابية، وأصبحوا يعيشون من بيع منتوج حيواناتهم أو من بيع أكوام الحطب في المدن. وقد ينجر عن الاحتطاب أو الرعي من دون رخصة عقوبات صارمة، قد تصل الى الحبس لأيام عديدة حسب قانون الغابات.

خلصت اللجنة الى القول؛ أن الهجرة انطلقت من مدينة تلمسان لتشمل الضواحي والمدن والقرى ولاحظت اللجنة؛ أن هذه الموجة من الهجرة قد شجع عليها أيضا قدوم بعض الشخصيات المشرقية الى تلمسان، ومن هؤلاء محمد فريد بك، عضو الحزب الوطني المصري، والذي نزل ضيفا على القاضي سي شعيب. وكتب فريد بك عن رحلته هذه، التي تمت بين سنة 1903 ـ 1904 في مقالات نشرها في جريدة اللواء، وأنتقد فيها بشدة السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر. ومن الأسباب الأخرى أيضا، الرسائل التي كانت تصل الأهالي من المهاجرين الى الشام واطلاعهم أيضا على الصحف العثمانية والمصرية التي تدخل الجزائر خفية رغم المنع. وكل ذلك يكون قد أثار موجة من التعصب بين السكان. وأكدت اللجنة، أن الأهالي يرفضون الجنسية لأن الحياة الدينية للمسلم تمتزج امتزاجا كاملا بالحياة المدنية، ولا يمكنهم بأي حال التخلي عن قانونهم الشخصي.

وبعد مناقشة اللجنة لكل الشكاوي التي طرحها الأهالي، أبدت تأييدها لكثير من المطالب وقالت بحق الأهالي في التمتع بحياة كريمة، وطالبت من الإدارة بضرورة الاستعجال لإدخال إصلاحات على بعض القوانين التي تنظم حياة الأهالي المسلمين من ذلك؛ قانون الغابات، بحيث أنه تبين استحالة تطبيق قانون الغابات الفرنسي على بيئة غير البيئة الفرنسية. كما طالبت من جهة أخرى بالتوقف الفعلي عن حجز الأراضي لإقامة المستوطنات، وضرورة مراجعة قانون الضرائب ووضعه في إطار من المساواة والعدالة. وضمان تمثيل أحسن للأهالي في المجالس البلدية وفي اللجان المالية.

كما ايدت مطالب الأهالي الخاصة بقانون الأنديجينا. وأوضحت في الأخير أن هذه الشكاوي، لا تخص أهالي تلمسان وحدهم بل تشمل الجزائر كلها وأكدت أن مطالب الأهالي جديرة بالنظر والاهتمام. وبالمقابل أبدت اللجنة معارضتها لرفض الأهالي لقانون التجنيد الإجباري، ولكنها أوصت بعد اللجوء إليه إلا في الحالات التي تستدعي ذلك.

وعن المعلومات التي تخص الأماكن التي توجه إليها هؤلاء المهاجرون، تبين أن نسبة منهم اختاروا الإقامة في الاسكندرية والقاهرة، ومنهم من نزل في هاتين المدينتين، ثم أخذ طريقه الى دمشق أو الى مكة والمدينة. مع العلم أن غالبية مهاجري تلمسان كانوا من الميسورين، ولم يلاقوا صعوبات كبيرة في استقرارهم وهجرتهم. ففي برقية من وزير الخارجية الفرنسية الى الحاكم العام في الجزائر، يخبره؛ أن القنصل العام في الاسكندرية أعلمه عن وجود جماعة من حوالي مائتي جزائري من أهالي تلمسان موزعين بين فنادق المدينة[11]. وفي تقرير آخر للقنصلية الفرنسية في مرسين وأضنة، أن سفينة الشركة الخديوية حملت الى مرسين 500 جزائري بين رجال ونساء وأطفال غالبيتهم من سكان تلمسان وضواحيها، كان قد استقر بعضهم منذ أشهر في سورية ثم قررت الحكومة العثمانية، إسكانهم في نواحي أضنة[12]. في حين أوردت صحيفة الأخبار معلومة مفادها، أن 300 جزائري مهاجر عطلوا في ميناء مليلة ولم يتمكنوا من الإبحار نتيجة لما نتج عن الحرب التركية ـ الإيطالية من مخاطر على حرية الملاحة في اتجاه بلاد الشام[13]. وقد اعترف الفرنسيون أن الأخبار والمعلومات التي تتضمنها رسائل المهاجرين عن وضعيتهم الحسنة ليست خاطئة بل هي صحيحة في غالبيتها، وأعترف أحد القناصل أنه " بحسب السياسة الدائمة التي يتبعها الوالي العثماني في دمشق فإن المهاجرين يلقون الحفاوة والاستقبال وتسلم لهم الإدارة قرشين ونصف يوميا لكل فرد الى حين تمنح لهم قطع من الأرض...أما بعض الشخصيات

والتي يمكن أن تكون ذات فائدة دعائية، فإنه يمنح لهم من المال مقدار ما يشترون به قطيعا وآلات زراعية كما يمنح لهم السكن[14].

وهكذا، ومن خلال هذا العرض البسيط، يتضح لنا أن هجرة أهالي تلمسان، قد نالت قسطا كبيرا من الاهتمام خلافا للهجرات السابقة، والتي لم تكن أقل خطورة وكثافة منها. إلا أن هذه الأخيرة، كانت بمثابة المنبه الذي أيقظ الفرنسيين ودفعهم الى النظر في سلبيات وإيجابيات السياسة الفرنسية المتبعة في الجزائر.

الهوامش:

---

(1) l'exode des indigenes de Tlemcen , **in Afrique francaise** , janv 1912, p 38

(2) Bourdari , P : nouvelle exode algerienne , **in la Revue Indigenes** 6, 1911

(3)Conseil general d Oran : exode de Tlemcen , **rapport Barbedette**, oct 1911

(4) **l'écho d'Oran** : l'exode des indigènes de Tlemcen , n 14 oct 1911

(5) **AAE** , Algériens en Turquie , lettre du conseil général a M, Boppe le charge d'affaire a constantinople , damas 15dec 1910.

(**6**) **L AKHBAR** ,N 16, OCT 1911 , ARTICLE : L'EXODE ET LE SERVICE

(**7**) **EL HACK** , N 14 AVRIL 1911.

(**8**) **L'islam** , article : l'exode de Tlemcen , oct 1911.

(9) **el Rachidi** , n 26 oct 1911.

(10) أوضح الحاكم العام ليتو أنه لم يرغب في تكليف شخص واحد بإجراء التحقيق مما سيعطيه صفة إدارية بل قرر تكليف لجنة مؤلفة من إداريين وبرئاسة رجل أجنبي عن الإدارة وعن منطقة وهران .

(11) **AOM**, 9 h 105

(12) **AOM** ,9 105, Mercine 20 Nov 1911

(13) **l Akhbar**, op.cit.

(14) **AOM**, rapport varnier , juin 1910

دور الجزائريين في الجهاد الليبي

أ/محمد ودوع

جامعة الجزائر 2

قسم التاريخ

مقدمة:

تعرضت ليبيا في اليوم الرابع عشر من شهر أكتوبر من سنة 1911م الى الغزو الايطالي، وكانت ليبيا لا تزال تابعة للدولة العثمانية، وعليه فإن الحملة العسكرية بقدر ما كانت موجهة ضد ليبيا، كانت أيضا موجهة ضد الدولة العثمانية، لكن هذه الأخيرة لم يكن بوسعها دفع خطر الغزو الإيطالي عن ليبيا، وضاعت بذلك ايالة ليبيا كما ضاعت من قبل ايالتا الجزائر وتونس ،ورغم المقاومة العنيدة التي ابداها الليبيون لدفع صائلة العدو الا ان الاحتلال الايطالي تمكن من احتلال برقة في 19 أكتوبر 1911، ثمّ زحف نحو بنغازي، وإنقض بعدها على أغلب المناطق الساحلية لليبيا وذلك في غضون الشهر الأوّل - أكتوبر- من الغزو[1].

وكان الشّعب اللّيبي قد حصل له ما حصل للشّعب الجزائري عشية الاحتلال الفرنسي لبلاده 1830، فالشعب الجزائري الذي لم يحكم بلاده قرابة الثلاثة قرون، وأبعد حتى عن أبسط المسؤوليات[2]، وجد نفسه عشية الحملة الفرنسية للجزائر وجهًا لوجه أمام قوات الاستعمار الفرنسي،بعد أن خلي عنه من كانوا يحكومنه، وهكذا تكرر الموقف فرغم أن هذه الحرب كانت موجهة ضد الدولة العثمانية باحتلال إحدى ولاياتها، إلاّ أن هذه الأخيرة عجزت عن

الدفاع عن الشعب الليبي وتخلت عنه كما تخلت عن الشعب الجزائري من قبل، حيث وقعت الدولة العثمانية مع ايطاليا على معاهدة الصلح "أوشى" في 18 أكتوبر 1912 وخرجت بذلك من ميدان الجهاد[3]

لقد كان احتلال إيطاليا لليبيا صدمة أخرى أصابت العالم العربي والإسلامي، بعد وقوع بعض الدّول العربية تحت سيطرة الاحتلال الأوربي[4]، بحيث انتشر خبر احتلال إيطاليا لليبيا بسرعة، وسمعت جميع شعوب العالم العربي والإسلامي به، وكان أول رد فعل قامت به هذه الشعوب ضد هذا الغزو هو القيام بإحتجاجات واسعة عمت اغلب بلدان العالم الاسلامي، وفي نفس الوقت شرعت بعض الشعوب العربية في جمع التبرعات لصالح الجهاد اللّيبي[5]، بحيث شهد هذا في كل من مصر وسوريا وتونس، وعبر هذه الأخيرة كانت تصل المساعدات القادمة من الجزائر ومراكش[6]، ولم تكتف الشعوب العربية بمواقف الإحتجاجات وتقديم المساعدات المادية فقط، فمع تطور الاحداث في ليبيا اصبحت هذه الشعوب تسعى للمشاركة في الجهاد دفاعا عن ليبيا، وفي هذا الإطار فإن الجزائريين كانوا في مقدمة المتطوعين العرب دفاع ليبيا[7].

ردود فعل الجزائريين تجاه الغوة الايطالي لليبيا :

رغم أن الجزائر كانت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي عشية غزو ايطاليا لليبيا، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الدفاع عن ليبيا مما كانت قد وقعت فيه بلادهم -الجزائر- من قبل، وقد جاءت مواقف تضامن الشعب الجزائري مع الجهاد الليبي مختلفة، فهناك من عبر عن تضامنه مع الشعب الليبي بالكلمة والقلم [8]، والاخر ساهم بماله ومادياته، والاخر انتقل الى ليبيا مشيا على الاقدام فنال شرف المشاركة في الجاهد الليبي، و قد كانت أول ردود فعل الجزائريين تجاه الغزو الإيطالي لليبيا بعد سماعهم الخبر سريعا، بعد ان هالهم

ماسمعوه فسكنتهم الحسرة والحـزن، ويمكـن التمـاس بعـض جوانـب هـذه المشاعر من خلال كتابات عمر بن قدور الجزائري الذي عبر بصـدق، فقـدم وصفا لمشاعر الجزائريين وهم يرون بلدا عربيا آخر يسـقط في يـد الاسـتعمار الأوربي، حيث أظهر عمر بن قـدور الجزائـري مـن خـلال تلـك الكتابـات امتعاضه من مواقف الامة الاسلامية تجاه مأساة الشعب الليـبي، كمـا أبـدى تعجبه وتأسفه من عجزالسلطة العثمانيـة في الـدفاع عـن ليبيـا واسـتخفافها ببطولية شعبها[9]، كما كتب عمر بن قدور الجزائري سـنة 1913 رائعـة تحـت عنـوان « قتـال طـرابلس الغـرب" فابـدى في تلـك القصـيدة أعجابـا متزايـد بالشعب الليبي وإستماتته في مقاومة الغزو الإيطالي، فوصفه بأنه" مثال الحـزم ومضرب للشجاعة من أهل "درنة" و"الخمس" و"بنغـازي"، وأعتـبر "ذلـك الجهـاد تخفيفا من جراح القلب"، كما اعتبر مقاومة الشعب الليبي بأنها رمز للصـمود قائلا إن دفاع وجهاد الليبيين في دفـع صـائلة الغـزو الإيطـالي كـان مضـربا لشجاعة أهل طرابلس الغرب "الذين لو لا مثابرتهم لقلنا سلام على الشـرق والشرقيين إلى الأبد"[10].

لم يكتف الجزائريون في دعمهم للجهاد الليـبي بـالقول فقـط، بـل تعـدت مظاهر الدعم إلى مجالات أخرى،كجمع التبرعات والمـؤن، وفي هـذا الجانـب نشير الى شهادة تاريخية لاحد الليبيين قدم من خلالها صورة رائعة عـن مـدى تضامن الجزائريين مع إخوانهم الليبيين، وبناء على شـهادة هـذا الليـبي فإنـه يذكر انه لما سمع بخبر تعرض بلاده للغزو الايطالي هرع للدفاع عـن بـلاده، فانتقل من تركيا -حيث كان ضابطا بالجيش التركي_، مارا بفرنسا ثم الجزائر وأثناء مروره بالجزائر التقى ببعض بأعيان بمدينة قسـنطينة، حيـث سـرّوا بـه كثيرا، وذكروا له أنّ الجزائريين يعلّقون الأمل الكبير على الجهاد الليـبي و انّ خلاصهم من الاحتلال الفرنسي يتوقف على نتيجة جهاد اللّيبيين قائلين لـه :"إن أنتم تخلّصتم من الاستعمار وكسبتم حريتكم فسيبقى لنا امـل، وسـيبقى

طريق الخلاص مفتوحا أمامنا"، ومـن أجـل جمـع التبرعـات للشّـعب اللّـيبي عقدت إجتماعات، وخطب احد اعيان المدينة في الحاضرين حاثا اياهم علـى جمع التبرعـات، ومـا إن أتمّ كلامـه حتـى تهاطلـت التبرعـات مـن الرجـال والنساء، حتى أن النساء كانت تقـدّمن المصـوغات الذهبيـة والفضـية أسـوة بالرجال، الذين كانوا يتبرعون بنقودهم وما يملكون [11]

لقد كان لمثل هـذه التبرعـات الأثـر الإيجـابي علـى معنويـات المجاهـدين الليبيين، حيث كانت مواد التموين تاتي من الجزائر عن طريق تونس ثم بـن قرادن وغدامس إلى ليبيا ،وأكدّ أكثر من شاهد عيان أنذاك أن قوافل التموين والتبرعات كانت تعبر باستمرار الحـدود الجزائريـة متوجهـة نحـو ليبيـا، وأن الكثير من هذه القوافل التي كانت تقـل التبرعـات للمجاهـدين الليبـيين قـد لقيت حتفها وهي في طريقها نظرا لطول المسلك وقلّة الماء وإنعدام الراشدين بطرق الصحراء ،حيث لقي منهم في سـفرة واحـد إثـني عشـرة (12) رجـلا مصرعه لضياعهم في وسط الصحراء [12].

مشاركة الجزائريين في الجهاد الليبي:

شهدت المقاومة الليبية عشية الغزو الإيطـالي لليبيـا سـنة 1911 الألاف مـن المتطـوعين الجزائـريين القـادمين إلى ليبيـا لمـلآزرة إخـوانهم الليبـيين[13]، فهنـاك شهادات كثيرة من الليبيين تؤكد الدور الكبير الذي لعبه الجزائريـون في المقاومـة الليبية، ومن بين الجزائريين الذين كان لهم شأن في هذا المجال نذكر الأمـير علـي باشا وهو ابن الامير عبـد القـادر الجزائـري الـذي خـاض مقاومـة كـبيرة ضـد الفرنسيين في بداية الاحتلال استمرت حوالي خمسة عشر عاما، وكان الى جانـب الامير علي باشا إبنه الأمـير عبـد القـادر الجزائـري[14] ،ولاتـزال كتـب تـاريخ المقاومة الليبة تذكر بسالة وبطولة هـذين الـرجلين في المعـارك الـتي خاضـاها في منطقة "سواني بن يادم" مع حوالي عشرين جزائريا آخرين.

وإلى جانب دورهما في المقاومة العسكرية ضد الغزاة الايطاليين فإنّ الامير علي باشا وابنه الامير عبد القادر الجزائريين لعبا دورا آخر دعما للجهاد الليبي، يتمثل في ربط الإتصال بين المقاومة الليبية في الداخل وبين المناضلين الذين كانوا الخارج، فقد عمل الأمير علي باشا الجزائري كمراسل لبعض الصحف العربية، فكان يمدها بأخبار وتطورات الأحداث في ليبيا، ومنها جريدة الزهرة التونسية، التي تحدث في احدى رسائله إلى هذه الجريدة بتاريخ 13 محرم 1330هـ[15] عن مسار المقاومة في بعض المناطق الشرقية من ليبيا وكيف" أنّ الشّعب اللّيبي لا زال يجاهد بإرادة كبيرة"، طالبة من الدولة العثمانية دعم المجاهدين في ليبيا[16].

كما كان الأمير عبد القادر الجزائري يقوم بما كان يقوم به ابيه الامير علي باشا الحسيني الجزائري ايضا، بحيث كان يعمل شبه مراسل لبعض الصّحف العربية ويزودها بالأخبار حول العمليات الجهادية الدائرة في ليبيا، فهناك رسالة ضمنها تفاصيل رحلة والده الامير علي باشا من بنغازي إلى طرابلس، وقد وصف فيها جهاد ومقاومة الليبيين، وكيف هبوا كالبنيان المرصوص لمواجهة القوات الإيطالية في منطقة سرت التي أحدث الغزاة بها ضررا وخربوا دار محمد أفندي الجزائري الخالدي كاتب التحريرات، وجاء في هذه الرسالة أنّه بعد يومين من هذا الإشتباك قام الأمير علي باشا الجزائري على همّه إعادة تنظيم المجاهدين وحرّضهم على الجهاد ثمّ أمر مشايخ واعيان مناطق "الحسون" و"الغريان" و"المعدان" بالرجوع الجهاد[17].

ويبدو من أنّ الأمير علي باشا الجزائري كانت له مكانة كبرى لدى المجاهدين اللّيبيين وخاصة الشّعب اللّيبي عامة ففي رسالة أخرى يصف فيه كيف أنّ جموع المجاهدين في بعض المناطق اللّيبية مثل (" مصراته، زليطن، الساحل، ولبدة، وكذا معسكر الخمس) "قد هاجت واهتزّت طرابلس بقدوم " سيدي علي" وذكر أنّه عاجز عن وصف ما وقع لهم من حسن القبول وما

شاهده من الحياة القومية التي أنستهم -على حدّ تعبيره -الأهل و وطنهم الأصلي." [18] وتضيف هذه الرسالة أن الأمير علي باشا الجزائري كان بدوره يرحب بجميع الوافدين ويوجّه لهم عبارات الشكر والثناء على ما أبدوه من الحمية والشهامة العربيتين في الدفاع عن حوزة الإسلام ويحثهم على المقاومة والصبر والثبات حتى أنّ اليهود كانوا يبكون تأثرا منذلك المشهد .[19]

ويذكر الامير عبد القادر في رسالته هذه ان خطاب ابيه الأمير علي باشا الجزائري الذي ألقاه على جموع المجاهدين اللّيبيين كان له الاثر الكبير، فبعد هذا الخطاب " توافد العلماء والأشراف والأعيان على قائمقام منطقة مصراتة[20] وقالوا له أنّ خطاب الأمير علي باشا الجزائري قد أثّر فيهم، حتى العامة عموما جاءوا يطلبون المساعدة للإلتحاق بإخوانهم في معركة الجهاد بمعية الأمير، "، فقد رفع ذلك الخطاب حماس المقاومين اللّيبيين فاندفعوا جميعا لحمل السلاح الأمر الذي جعل القائمقام يقوم ببعث " تلغراف" إلى الأمير علي باشا الجزائري يرجوه تسكين هيجان الأهالي وتهدئتهم، وهكذا كان الحال في كل منطقة حلّ بها الأمير علي باشا الجزائري [21]، وهناك رسالة اخرى بعثها الأمير عبد القادر الجزائري في 19 ماي 1912 م إلى جريدة الزهراء التونسية، وكانت مراسلة خاصة عن وصول موكب والده الى مصراته يذكر فيها الاعتداء والغزو الإيطالي لليبيا وسكوت " أوروبا مثال الحرية والعدل " عن ذلك، عند ذلك علم اللّيبيون أنّ لاسندا لهم إلاّ اللّه وأنفسهم فسارعوا إلى ساحة الحرب لقتال العدو، "فأذقناه كأس الموت والبسناه ثوب البلاء، وكذبنا بأعمالنا وأقوالنا مدعيات إيطاليا وقولها أننّا دعوناها لإصلاح بلادنا فلهذا القصد الشريف توجه حضرة الأمير علي باشا لمواقع القتال وشهد الأهالي والمجاهدين وحثّهم على الجهاد وحرضّهم على الدّفاع عن البلاد[22]، كما تجدر الاشارة هنا ذكر الدور الذي لعبه أحد الجزائريين في عمليات الإتصال وهو عبد اللّه الجزائري خطاط الزاوية

القادرية بليبيا، فقد كان ينقل المعلومات والأخبار بين الوطنيين اللّيبيين في الداخل والخارج، كما كان يقوم بنقل الأخبار وربط الإتصالات بين مناطق طرابلس الغرب وبين برقة[23]،

دور مصطفى عوني التفراوي الجزائري في الجهاد الليبي :

أ- رحلة البحث عن الجهاد: يدعى الحاج مصطفى عوني التفراوي المعسكري الجزائري من مواليد 1312هـ، من أسرة فلاحية فقيرة بمعسكر، دخل الكتاتيب العربية حيث حفظ القرآن في السادسة عشر من عمره، وقرابة فإنّ التفراوي يذكر بأنّه من أقارب المجاهد الأمير عبد القادر[24]. ويذكر التفراوي إنّ صورة ظلم الاستعمار الفرنسي له ولبقية الجزائريين كانت أهم صور أثّرت في حياته، وذلك من خلال عمليات التفتيش المستمرة التي كان يتعرض لها كل الجزائريين، وكذا نظرة الإحتقار لكلّ من هو جزائري، وتجسد ذلك عمليا في مظاهر القمع وتسلط المعمرين على الجزائريين لأبسط الأمور.[25]

ومن بين الصور التي احتفظ بها عوني التفراوي، أنّه ذات مرة كان واقفا مع صديق له في الشارع، وكان جنديا فرنسيا بقربهما، وقد ابتسم عوني إثر كلمة مزح من صديقه، فنظر إليه ذلك الجندي الفرنسي فظنّ أنّه إبتسم سخرية منه، فاخذ بعدئذ التفراوي مباشرة إلى السجن فتعرض للضرب والاهانة فكان ذلك عاملا آخر زاد من كرهه المستعمرين، وأقسم ببمحاربة الفرنسيين حيث تلوح الفرصة[26]، وقد عرف مصطفى عوني هذه الحادثة وهو لا يزال طفلا يزاول دراسته بإحدى الكتاتيب القرآنية، ولعل صغر سنّه هذا هو الذي اشفع فيه فأفرج عنه بعد ذلك[27]، وفي هذا الوقت بدأت فرنسا تجمع الشباب الجزائري للخدمة في صفوف الجيش الفرنسي، فأخدوا بعض الشباب وترك أمره لكونه كان لا يزال صغير السن، ولكن ما لبث أن جاء دوره فكان الموقف جدّ صعب بالنسبة لمصطفى عوني التفراوي ،فوقف

التفـراوي حـائرا بـين قلبـه الملـيء بـالكره للمسـتعمرين وبـين قـوّة أوامـر الاستعمار[28]، ووسط حالة الحيرة والألم كان لابدّ على مصطفى عـوني مـن اتخاذ الموقف الذي يريح ضميره، فعزم على رفض الخضوع لقوّة الاسـتعمار ،حيث يذكر بأن عزة نفسه كانت أقوى وإرادة الرفض كانت أكبر "[29].

وقد صادف وقت عملية التجنيد هذه موعد الحج، حيـث كـان لـه أحـد الأقارب اعتاد الذّهاب إلى مكّة سيرا على الأقدام، يخرج من معسـكر غـرب الجزائر متجهّا إلى الشّرق حتى يؤدي فريضة اللّه وهنا يذكر مصـطفى عـوني التفراوي بأ،ه إهتدى بتفكيره الى جاره هذا فـذهب إلى بيتـه وطلـب منـه أن يطلعه على موعد رحلته، لكن يبدو أنّ قريبه أشفق عليـه ورفـض صـحبته، وهكذا فوجئ عوني بمغادرة قريبه البلدة دون أن يعلمه، فما كان عليه إلاّ أن يتبع أثره دون أن يفكر في أي أمر آخر، بل ذهب بملابسه الـتي كـان يرتـديها دون تعويل على شيء من النقود، وحتى أسـرته لم يتسـع الوقـت لتوديعهـا، ويذكر التفراوي أنّه إكتفى فقط بكتابة على ورقة صـغيرة طلـب منهـا عـدم البحث عنه "لأنني لا أعرف أنا نفسي إلى أين أسير "[30]

بدأت المسيرة الكبرى بالنسبة للتفراوي وكانت وسيلة المواصلات الرائجة في ذلك الوقت هي "الكرّوسة" التي يجرّها الخيـل، فالسـيارات كانـت لا تـزال نادرة وأجرة الركوب فيها مرتفعة الثمن وهكذا كانت بداية المسيرة، وحصل الأمر أن إلتحق بقريبه في إحدى القرى، فواصل المسيرة معـه شـهرا كـاملا، ويذكر عوني أنّ الصدور كانت رحبة والنفوس كانت واسـعة وهـذا في كـل قرية حلوا بها " وكانت جملة واحدة كافيـة لتبديـد أمـور المعيشـة طيلـة ذلـك السفر وهي " ضيوف ربّي "حتى أنّهم كانوا يشفقون على مضيفهم مـن تكبـد مشاق المبيت"[31]، وأثناء هذه المسيرة كان الركب يتجنب الطرق الرّئيسة الـتي يتواجد فيها البوليس والجنود الفرنسيين، خشية الوقوع في بعض المشاكل التي

قد تعطل إن لم نقل تلغي هذه الرحلة، وهذا حتى دخلـوا الـتراب التونسـي، وهنا كانت بالنسبة للموكب انه وصل إلى مفترق الطرق[32].

فقد بدأ العياء يظهر على الفتى فعلا وكان لابد من أخذ إستراحة قصـيرة فحصل ذلك، في ميناء" رديف" ويذكر مصطفى عـوني أنّـه أثنـاء اسـتغراقه في النوم، استيقض ليجد رفاق سفره قد أكملوا المسيرة وبقـي وحيـدا، فإضـطر مصطفى عوني للعمل بهذا الميناء، الذي كان يعمل به أكثـر مـن ثلاثـة آلاف عامل، منهم الجزائريون، المغاربة، التونسيون واللّيبيون، وبعض الأجانب من الأوروبيين [33]، فاشتغل هنا حوالي سنة، و مع نهايـة العـام "1914" انـدلعت الحرب العالمية الأولى، وكان لابدّ ممّا ليس منه بد ،فقـد قلّـت فـرص العمـل وجرى الإستغناء عن العمـال، وأثنـاء فـترة عملـه هـذه بمينـاء رديـف كـان مصطفى عوني قد تعرّف على بعض الإخوة اللّيبيين الذين جرى الاسـتغناء عنهم وبدأوا يستعدون للعودة إلى طـرابلس، فطلـب مـنهم عـوني إن كـانوا يقبلون الشهادة بأنّه ليبي حتى يعـود معهـم إلى طـرابلس، فوافقـوا وأظهـروا مروءة و رجولة نادرة واقسموا أنّه ما دام قد قصـدهم فلـن يتركـوه، وعلـى الفور إشتروا له ملابس ليبية، وفي الطريق طلبوا منه الإمتثال لما يقولون تأمينا لأنفسهم وله، فأملوا عليه أن يصرح بأنّه من منطقـة زوارة ومـن عائلـة "ابـن شعبان" حيث هم كذلك[34]، وبعد ليلة من السير على الباخرة وصل الركـب إلى طرابلس، فمكث مصطفى عوني عند بعض الليبـيين هنـاك، ثـم واصـل السير إلى زيلطن، حيث التحق بمدرسة القرآن في زاويـة طريقـة "سـيدي عبـد السلام الأسمر" وهـذا بعـد ان كـان قصـدها للإسـتراحة، وعنـدما علـم أن الإنتساب إلى هذه الزاوية للتعليم لايكلف إنظم إليها للدراسة [35].

دور مصطفى عوني التفراوي في الجهاد الليبي :

عشية إندلاع الحرب العالمية الأولى 1914 كانت ليبيا تعيش أجـواء حربيـة مزدوجة، فإلى جانب مقاومتها للغزو الإيطالي منذ سنة 1911، اضحت ليبيـا ميدانا للحـرب بـين الحلفـاء ودول المحـور وفي هـذه الظـروف الصـعبة الـتي أصبحت تعيشها ليبيا، تخلى التفراوي عن مزاولة طلـب العلـم (36) و كتـب طلبا لنوري باشا أحد قادة المجاهدين الليـبين طالبـا منـه الالتحـاق بالمدرسـة العسكرية والإنظام إلى صفوف المقاومة(37)، ويذكر التفراوي أن ذكر في طلبه هذا حقيقة طالما تحرج من ذكرها وهي أنه ابن عم المجاهد الكبير الأمـير عبـد القادر الجزائري، حيث كانت هذه العبارة قد إستوقفت نـوري باشـا الـوالي التركي السابق، فطلب مقابلة التفراوي وأصبح بعد ذلك هذا الاخـير طالبـا في المدرسة العسكرية إستعداد للإنظمام الى صفوف المجاهدين(38) .

إنتقل التفراوي من زليطن إلى مصراته حيث المدرسة الحربية ومقر "نـوري باشا"، فدخل "مدرسة عبدالرحمن نافذ"، وكـان نـور باشـا قـد مـنح التفـراوي تسهيلات كبيرة منهـا السـماح لـه بالـذهاب للمقهـى والـدخول والخـروج للمدرسة في أي وقت، وإعفائه من القيـام بنوبـات الشـهر "النوباتجيـة" ولعـلّ سبب التكريم هذا كلّه نتيجة قرابته للأمير عبد القادر، كما أفردوا له حجـرة خاصة به، وكانت أوجه التكريم ظاهرة وملحوظة، وحتى رمضان السويحلي الذي كان يشرف على المدرسة تساءل عن سبب تلك الحضوة التي كان يتمتع بها التفراوي، فأخبره بعض الطلبة أنّهم يعتقدون أنّه كان قريبا لنـوري باشـا أو أنّ ثمة علاقة بـين الأسـرتين(39)، لكـن لمـا عـرف رمضـان السـويحلي أن مصطفى عوني هو أحد أقارب المجاهد الأمير عبد القادر الجزائري عمل هـو الاخر على ترقيته وأمر قائد الجندرمة محمد الحداد بـأن يخصـص لـه حصـانا ليسـتعمله في تنقلاتـه، وفي هــذه الأجــواء ازداد التفــراوي حبــا لليبيــا وللمجاهدين واصبح اكثر شوقا للجهـاد فواصـل معهـم الجهـاد في مختلـف

الجهات خاصة مع القائد رمضان بك السويحلي، والذي بقي ملازما له حتى إنتهاء المقاومة في طرابلس عقب صلح "بني يادم" 1919 [40]،

ويجب أن نشير هنا الى إن التحاق مصطفى عوني بصفوف الجهاد الليبي ثم دوره في هذه الجبهة لا يمكن لإلمام به، فالمعلومات التي توصلنا اليها والشهادات الليبية التي تحصلنا عليها كلّها تؤكد على أن مصطفى عوني كان بمثابة قاموس الجهاد الليبي عبر مختلف مراحله[41]، وهذا نظرا لحضوره الكثيرة من المعارك وكذا للدور الكبير الذي لعبه في الدفاع عن ليبيا، وفي هذا الجانب يذكر مصطفى عوني أن معركة القرضابية الشهيرة التي حدثت في أفريل 1915كانت من أهم المعارك التي خاضها الليبيون ضد الإيطاليين، حيث كانت بعد سلسلة من الإشتباكات بين الطرفين وأن الإنتصار الذي حققه الإيطاليون في البداية قد تحول إلى هزيمة ساحقة ضدهم بعد ذلك، وهذا بعد خديعة من طرف قائد المقاومة الليبية رمضان السويحلي الذي تظاهر بالتعاون مع الإيطاليين، ليشن بعد ذلك هجومات عليهم، [42].

وبعد هذه المعركة واصل الطفرواي مشاركته في الجهاد الليبي، بحيث يذكر أنه مباشرة بعد معركة القرضابية حوصر الإيطاليون الموجودون في منطقة السوق وكذا سواني بن يادم، فتوثق الحصار ضدهم ثم شن الهجوم عليهم، وفي هذه السنة 1915 شارك عوني في عدة معارك من بينها معركتي "مصراتة" التي أصيب فيها المجاهدون بخسائر في الأرواح وصلت إلى (60) جريحا و(120) شهيدا،و معركة "راس طوبة" ثم معركة الكزاز، التي أخذ المجاهدون الثأر لأنفسهم واضطر الإيطاليون الى الفرار من الميدان تاركين العديد من القتلى وكميات كبيرة من الأسلحة[43].

واصل عوني الطفراوي مسيرته في المقاومة و الجهاد مع اللّيبيين وكان يشارك في كل المعارك التي تجري قرب المناطق التي يتواجد بها، بل أنّه كثيرا ما تحول من مجاهد حامل للسّيف إلى قارئ للقرآن ليلهب إخوانه في الجهاد،

ومـا إن تعـود المعـارك حتـى يكـون في مقدمـة المقـاومين، وهكـذا كانـت الإشتباكات مع القوات الايطالية، كر وفر، إنتصارات وهزائم، غير انّ قوات العـدو كانـت آخـذة في التوسـع لإحـتلال منـاطق أخـرى، وإسـتمر معهـا المجاهدون مقاومين لها، وقد دام ذلك الحال مـن سـنة 1915 إلى 1919 حيـث وقـع صـلح "بـني يـادم."[44] والـذي انهـى المقاومـة الليبيـة بالجبهـة الغربيـة بطرابلس، وبغض النظر عن فحوى هذه المعاهدة التي أقل ما يقال عنها أنّهـا كانت حيلة من حيل الاستعمار الإيطالي لتفريق جبهة القتال اللّيبية واحتلال المنطقة بعد الأخرى كالذي فعلته فرنسا مع المقاومة الجزائرية عشية احتلالهـا الجزائر، حيث كانت قد وقعت معاهدات صلح مع الأمير عبد القادر لتتفرع بعد ذلك الى القضاء على المقاومة الجزائرية التي كان يقودها أحمد باي بالجهة الشرقية، وبعد ذلك رجعت إلى محاربة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائـري وتمكنت من القضاء على مقاومته[45].

إن سياسة الخداع هذه قد تفطّن لها مصطفى عوني التفـراوي، لـذلك رفـض معاهدة الصلح مع الاستعمار الايطالي رفضا قاطعا، كما إمتنع عن الـدخول في مفاوضات مع الإيطاليين وانسحب بجنوده الذين كان يرأسهم صـحبة جزائـري آخر يدعى عبد المالك وليبي يدعى محمد المصراتي[46]، ورفض مصـطفى عـوني للاحتلال الايطالي ليس فقـط في حملـه للسـلاح ضـده، وكـذا رفضـه لمعاهـدة الصلح واستمراره في المقاومة إلى جانب بعـض اللّيبـيين، بـل رفضـه للاحـتلال الإيطالي كان ايضا في عدم الإحـترام لقـادة الجـيش الإيطـالي، وفي هـذا يـذكر مصطفى عوني بإنّه أثناء مفاوضات بعض قادة المقاومـة اللّيبيـة مـع الإيطـاليين، كان الطفراوي قد استدعى هو الأخر من قبل "بيري" أحد قادة الجـيش الإيطـالي وطلب منه تقديم التحية العسكرية للإيطاليين في احترام فكان جواب التفـراوي "لا أقدم التحية للشيطان" وهذا رغم أنّ بعض الضباط اللّيبيين كـانوا قـد قـدّموا التحيّة، وبعد عودتهم من ذلك وبخهم عوني التفراوي على ذلك الموقف المسيئ

قائلا لهم "كيف يحدث ذلك ونحن الذين كنّا بالأمس مجاهدين حاملين السلاح في أيدينا، واليوم نقدّم التحية للأعداء"[47]، وبعد هذا الإجتماع الحاشد رجع عوني وجيشه دون الإعتراف بالاحتلال الإيطالي ولا حتى ببنود الصلح واستمر مع رمضان بك السويحلي في مقاومة العدو في جنوب البلاد -غدامس- وظلّ ملازما له حتى احتلال إيطاليا لآخر معقل من معاقل المقاومة الليبية في الجبهة الغربية لينتقل بعد ذلك إلى المقاومة في الجبهة الشرقية رفقة عمر المختار[48].

ويذكر مصطفى عوني التفراوي أنّه بعد معاهدة الصلح دخل بعض الزعماء الطرابلسيين وذلك بعد أن اعترفوا بهذه المعاهدة، واعتبروا كل معارض لعين، وأدوا التحية العسكرية للجيش الإيطالي، والتي كانت تعني الإحترام والخضوع له، وكل ذلك كان قد أثّر كثيرا على عوني، حتى أنّ الذين كانوا تحت قيادته من الجند اللّيبي لاحضوا علامات التعب والأسف عليه، أما الذين بقوا من الجند رافضين لمعاهدة الصلح فكانوا يأتونه ليلا، وحدث أن أتوه يوما في منتصف اللّيل يطلبون منه الرأي حول الموقف الذي يجب اتخاذه من طرفهم[49]. فامرهم التفراوي بحمل السلاح بسرعة وأن يبقوا مدافعين على أنفسهم و استمر ذلك إلى غاية سنة 1923، أمّا عوني فقد بقي مع قلّة من الجند اللّيبيين في منطقة قرب طرابلس "جنزور" واتصل برمضان السويحلي حيث اتفق معه على ضرورة مواصلة الجهاد" وعدم الخضوع إلى أوامر الخونة "[50]

وبعد انحصار المقاومة في طرابلس إلتحق عوني مباشرة بعد ذلك بصفوف المقاومة الليبية في المنطقة الشرقية، والتي كان يقودها عمر المختار، وفي هذه المنطقة خاض أغلب المعارك إلى جانب عمر المختار الأمر الذي جعل هذا الأخير يجعله محّل ثقة كبيرة ويصبح من المقربين إليه، إلى جانب ذلك فقد كلفه عمر المختار بمهام الوساطة في جمع التبرعات والمؤونة للمقاومة اللّيبية بحيث كان واسطة بينه وبين لجنة التبرعات بمصر، و بقي عوني التفراوي في

إتصال بعمر المختار إلى غاية استشهاد هذا الأخير في أواخر سنة 1931 وانتهت بذلك المقاومة العسكرية اللّيبية[51].

وبعد إستشهاد عمر المختار حاولت المقاومة الليبية إسترجاع أنفاسها، لكن سرعان ماحقق الحصار المضروب من طرف العدو نتائجه، فلم تصل المؤونة والعتاد إلى المقاوميين من الشرق نظرا للحصار الذي طوق شرق ليبيا بالأسلاك الشائكة والحراسة، وكانت هذه الظروف الصعبة عاملا آخر دفع الليبيين الى اللجوء إلى المقاومة السياسية ضد الاحتلال الإيطالي الى غاية الاستقلال [52]، أما مصطفى عوني التفراوي فقد هاجر الى مصر بعد استشهاد عمر المختار، وبقي ملازما للمناضلين الليبيين هناك، وقبيل الحرب العالمية الثانية دخل إلى الجزائر ولكن إندلاع الحرب وتدهور الأوضاع دفعت به للخروج مرة ثانية لكنه لم يستطع وشعر بمضايقات فرنسية، فخرج خفية ودخل ليبيا مرة أخرى سنة 1944 [53]، وبقي في ليبيا إلى أن تحصلت ليبيا على الاستقلال وتوفي بها في اواخر سبعينات القرن الماضي .

هوامش:

---

(1) بر وشتين، ن، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969، د: عماد حاتم، طII منشورات مركز دراسات الجهاد اللّيبي ضد الغزو الإيطالي، 1988، ص 107.

(2) حول الموضوع أنظر، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الاول، المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة 1993 ص19.

(3) محمد علي بوشارب، "مصادر ونظم التموين في حركة الجهاداللّيبي"، مجلة الشهيد م دج ل عدد 4 سنة 1983 ص 66

(4) احتلال فرنسا لكل من الجزائر 1830 و تونس في 1881

(5) بروشتين، المرجع السابق، ص144.

(6) الحسناوي، حبيب وداعة، "دور الشعب العربي الليبي بمنطقة طرابلس في مساندة الثورة الجزائرية 1954-1962 من خلال وثائق أخذ أعضاء لجنة دعم الثورة الجزائرية بطرابلس". بحث غير منشور

(7) أبو القاسم، سعد الله: هموم حضارية، دار الأمة، م1، الأول، سنة 1993، الجزائر،ص.123.

(8) صالح خرفي، عمر بن قدو ر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص.ص55 103.

(9) نفسه، ص.103

(10) خليفة، خالد، "مذكرات ضابط ليبي". مجلة الأفكار.، ط.1 العدد 6، ماي 1956 ص.35

(11) صلاح الدّين، حسن السوري، حبيب وداعة، **دراسات و بحوث في التاريخ الليبي1911-1943**"، جII منشورات مركز د،ج،ل، ضد الغزو الإيطالي، 1984، ص323

(12) صلاح الدّين، حسن السوري، حبيب وداعة، مرجع سابق، ص 61

(13) 13- نفسه، ص18

(14) محمد بن معمر، **علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله**، مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة (1942-1895) ورقلة سنة 1998 ص 63

(15) نفسه، ص. 64.

(16) و ذلك بإشتعال عدة ثورات شعبية منها ثورة ناصربن شهرة 1846و ثورة الزعاطشة 1849.

(17) محمد بن معمر، المرجع السابق ص64.

(18) مصطفى أحمد بن حليم، **صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي**، مذكرات ؤئيس وزراء ليبيا الأسبق، مطابع الأهرام التجارية، مصر ط1992،2، ص92.

(19) نفسه، المرجع الساب ،ص ص92 -93

(20) محمد بن معمر، **المرجع السابق،** ص.61

(21) نفسه، ص92

(22) أبو سعد القاسم، سعد الله: هموم حضارية، ص.123

(23) محمد علي أبو شارب، " مصادر ونظم التموين في حركة الجهاد الليبيي"، مجلة الأفكار، نشرة دورية يصدرها، م.دج.ل ضد الغزو الإيطالي، عدد 04 سنة 1983، ص64.

(24) محمد، صالح الجابري، يوميات الجهاد اللّيبي في الصحافة التونسية، مجلد II، 1912-1932، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1982 ص248.

(25) محمد ،صالح الجابري ،المرجع السابق ص249.

(26) محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص347.

(27) نفسه،ص349.

(28) محمد صالح الجابري نفسه،ص 349

(29) محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص188.

(30) نفسه، ص189.

(31) محمد صالح الجابري ،المرجع السابق ص188.

(32) الهادي، إبراهيم المشيرقي، ذكريات في نصف قرن من الأحداث الإجتماعية والسياسية، منشورات م.ح.ل.د.ث، سلسلة الوثائق التاريخية، (7)، 1988، ص 31-32-50-61.

(33) جمعة عبد الصبور، " هذا الرباط المقدس، بين جيل الجزائر والجيل الأخضر"، الأسبوع الثقافي، عدد 5، جمادى الثانية 1398ه، ص 16.

(34) جمعة عبد الصبور،المرجع السابق، ص16

(35) نفسه، ص16.

(36) جمعة عبد الصبور، " هذا الرباط المقدس، بين جيل الجزائر والجيل الأخضر.مرجع سابق

(37) نفسه، ص16.

(38) نفسه، ص16.

(39) جمعة عبد الصبور، المرجع السابق، ص. 16.

(40) جمعة عبد الصبور، المرجع السابق، ص. 16.

(41) جمعة عبد الصبور، المرجع السابق، ص.16

(42) جمعة عبد الصبور " الفرع مع دوي صاحب أدأن الفجر: المرجع السابق العدد 12 جمادي الأخرة 1398 هـ

(43) نفسه ص 15.

(44) شريط مصطفى عوني التفراوي، لدى المشيرقي المرجع السابق.

(45) نفسه .

(46) جمعه عبد الصبور، " الفزع مع دويأذان صاحب الفجر." ص18.

(47) جمعه عبد الصبور، " و تكرر الهلال قرب الشواطي،" للأسبوع الثقافي، 19 جمادى الأخيرة 1398 هـــ ص18.

(48) نفسه ص15.

(49) حديث عوني، مسجل لدى ابراهيم الهادي المشيرقي.

(50) نفسه ،

(51) نفسه

(52) نفسه

(53) نفسه

دور الرياضيين الجزائريين المهاجرين بفرنسا في الثورة التحريرية

أ/ أحمد عصماني
جامعة الجزائر 2

لا شك أن الرياضة تعد نشاطا مورس منذ القدم؛ مثل السباحة والفروسية والسباق والمشي إلى آخره، وقد جاء في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بشأن الرياضة- وما تمده من منافع صحية ونمو سليم لممارسيها من المسلمين "علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل"، وفي الغالب بات النشاط الرياضي وسيلة للتربية البدنية واكتساب القوة الجسمية خاصة لدى الجيوش التي كانت تستعد لخوض الحروب، وما لبث أن عرفت الرياضة تطورا مذهلا بتطور Pierre-Lebasالبشرية عبر الأزمنة الغابرة، فأصبحت الرياضة عند البعض ثقافة، فالمفكر بيار لوبالوبا

جعل الرياضة ثقافة بعروضها الإنسانية، ذلك أن المنطق المستوحى منها بقدر ما يقصد به استغلال الفضاء والزمن بقدر ما يعني استغلال المحيط الاجتماعي[(1)]

والحقيقة أن الرياضة بممارستها ظهرت كإحدى النماذج الهامة في إحياء الشعور الوطني لدى أفراد ومجتمعات الدول والأمم الحديثة، فبعد عام 1918 صارت تعبيرا عن الكفاح الوطني، وكانت فعاليتها وستبقى وحيدة كوسيلة لإيقاظ الشعور الوطني، ففي البلدان التي عانت من الاستعمار وتحصلت على استقلالها حديثا تحولت الرياضة لديها إلى عامل إنعاش وتمثيل، ومؤشر على ديناميكية الشباب، فضلا عن فعالية السياسية المحلية والجهوية لديها، وأخيرا

الوصول إلى التحكم في عدد من الكفاءات لدى رياضييها ،وعليه باتت الرياضة بذلك وسيلة في استرجاع كل نجاح سياسي وأضحى اللاعبون الأبطال في خدمة قضايا شعوبهم الوطنية[2]... وإذا قدر للنشاط الرياضي بلوغ هذا المستوى من الأهمية، فهل لعب الرياضيون الجزائريون دورا ذا شأن في مسيرة الحركة الوطنية وانتصار ثورة أول نوفمبر 1954؟ .

الرياضيون الجزائريون من مجاراة النوادي الاستعمارية إلى الهجرة نحو فرنسا:

كانت الرياضة بالنسبة للشباب الجزائري فرصة للمنافسة وسلاحا شرعيا في مقارعة الأقدام السوداء، ولم لا السفر من أجل معرفة العالم. وإلى غاية عام 1936 كانت النوادي الرياضية بالجزائر تسير إجباريا من طرف فرنسيين والتي لم يكن في مقدورها ضم سوى خمسة لاعبين جزائريين[3]، فهل كان الأمر يتعلق بمنع بروز أي تركيبة في صفوف الأهالي من شأنها أن تشكل تهديدا إذا تم التعريف بها ؟

لم تجد الجبهة الشعبية بدا من دفع هذه الوضعية إلى البروز، فعضو مجلس الدولة اعتبر هذه الإجراءات بالتمييزية وقرر إزالة هذه التعقيدات بصورة طفيفة، وبعد فترة وجيزة تشكلت النوادي الرياضية الجزائرية المتجانسة وصار التبان الأخضر والأبيض يظهر في ساحات الألعاب، وأضحت هذه الألوان توحي بتحالف المسلمين الجزائريين تزامنا مع نشاطات حزب الشعب الجزائري الذي كان يطالب بالاستقلال ويشهد تقدما صاعقا ما بين عامي 1937و1939 وفي هذا الوقت صارت الفرق الأوروبية تقابل بفرق من الأهالي متجانسة العناصر في الملاعب، ولم تعد المباريات الرياضة عبارة عن مشكلة، وراح قادة حزب الشعب الجزائري (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) يستثمرون في إطار الهيئات الرياضية وكان حضورهم يعني كل

الفائدة التي تحملها التنظيمات الرياضية كوسيلة للتعبئة السياسية ولا يتعلق الأمر هنا بعمل بسيط، فالاحتراف أضحى ممكنا[4].

إن تعزيز حزب الشعب الجزائري كان أيضا يتم عن طريق انخراط أحسن العناصر الرياضية والتمويه أمام إرادة السلطات الاستعمارية في تسليط القمع على كل من يحاول إظهار وطنيته ،ذلك أن الوطنيين الجزائريين قد وضعوا أنفسهم بصورة أساسية في صراع مرير ضمن حركة واسعة شهدتها الشبيبة الجزائرية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي اهتمت بالممارسة الرياضية واعتبرتها كنمط حقيقي للتعبير عن الهوية ...ومع سنوات الخمسينيات شهدت النوادي الجزائرية (الإسلامية) توسعا غير عادي بأنصارهم ودوائرهم ومقاهيهم، وأصبح الملعب المكان المفضل لإظهار القوة والتعبير عن الهوية مقارنة بالأقدام السوداء وفي جو المقاهي المزينة بالكؤوس واللافتات وصور اللاعبين كانت المواعيد للمناقشة الحماسية مثلما تجري في العائلة الرياضية والسياسية، فتجتاز هذه العدوى المتوسط وتستقر وسط الجالية الجزائرية بفرنسا[5] ويمكن أن نذكر النوادي الكبرى بالجزائر التي كونت اللاعبين المهاجرين إلى فرنسا في كرة القدم والذين راحوا يطوّرون لعبتهم المفضلة هناك ضمن النوادي الفرنسية :

حيث كان يلعب لها بورتالي حسان وسط ميدان منذ عام MOC1946 مولودية أولمبيك قسنطينة مع الحبيب دراوة الذي لعب من 1928 إلى 1937 قبل أن يصبح محترفا USMO:

- الاتحاد الرياضي الإسلامي الوهراني .Athletic-club بنادي لوهافر (أطلنتيك كلوب)

- الاتحاد الرياضي الإسلامي العنابي؛ حيث كان يلعب له دودو علي كحارس مرمى بدءا من عام 1944.

(العلمية) مع رواي عمار في مركز الجناح الأيمن بدءا من عام Saint Arnnaud-الفريق الإسلامي لسانت أرنود 1950.

-الشباب الرياضي الإسلامي السكيكيدي؛ حيث كان يلعب في سنوات 1950 بوشاش الشريف المحترف في أولمبيك ليون بفرنسا رفقة أحمد وجاني في مركز وسط متقدم .

الاتحاد الرياضي الفرنكو إسلامي السطايفي مع رشيد مخلوفي في مركز وسط متقدم انطلاقا من عام 1949 والذي سيصبح محترفا في أ س سانت إتيان في عام 1954 رفقة عبد الحميد كرمالي الذي كان هو الآخر يلعب بالفريق الجزائري في مركز الجناح الأيمن.

-الاتحاد الرياضي الإسلامي البليدي؛ حيث كان يلعب مازوز عبد القادر وسط متقدم منذ عام 1944

- مولودية نادي السعيدة مع كرومي عبد الكريم الذي لعب فيها مابين عامي 1951و1956 ثم احترف بنادي سات .Sète

مع حداد السعيد كلاعب وسط دفاعي خلال سنوات 40 رفقة وليكان أمقران MCA مولدية نادي العاصمة الذي سيحترف بفرنسا في أولمبيك نيم عام 1958.

مع شابري حسان الذي أنضم إلى هذا النادي عام USMA1947-الاتحاد الرياضي الإسلامي للجزائر بفرنسا، ثم بفريق أ س موناكو رفقة إبرير عبد الرحمانToulonوسط الميدان قبل أن يصبح محترفا بفريق تولون الذي كان هو الآخر حارسا منذ عام 1938.

-هلال النادي العاصمي: حيث كان يلعب له بوبكر عبد الرحمان كحارس مرمى بدءا من عام 1945.

-الأولمبيك الإسلامي لسانتوجان الذي كان يلعب لـه مصـطفى زيتـوني (وسط دفاعي) وزوبا عبد الحميد (مدافع أيمن) ودنون دحمان (لاعب حر).

-النجم الرياضي لزرالدة مع بن فضة علي في مركز وسط متقدم انطلاقـا من عام 1952 .

-الاتحاد الرياضي الفرنكو-عربي التلمساني؛ حيث كلن يلعب له سوكان محمد قبل أن ينتقل إلى الاحتراف بفرنسا وينضم إلى نادي لوهافر[(6)] .

وفي سياق متصل كان الجزائريون بمشاركة المغاربة والتونسيين قد أسسوا ناديا رياضيا سموه النادي الرياضي للشمال الإفريقي بباريس عام 1949 ثم مولوديـة نادي باريس التي شكلت فوجا من الشبا ب الشمال الإفريقيين وتعهدت بتطوير ممارسة مختلف الرياضات في مخـيم الشـمال الافريقـي بالناحيـة الباريسـية والـتي سبقت وأن أسست فريقين لكرة القدم واللذين كانت خرجاتهمـا الأولى مكلّلـة بالنجاحات لا سيما عندما شارك الشباب الرياضي لهـذا النـادي في تظـاهرة 27 أكتوبر1952 والتي عرفت مشاركات فنية وثقافية وسياسية ألهبت حماس الحضـور في الانخراط في المعركة لمقاومة الاستعمار الفرنسي[(7)] .

انتصار الثورة التحريرية مرهون بمشاركة جميع الجزائريين

عشية انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954 كان قـادة الثـورة قـد حـرّروا بيانـا ضمنوه أهداف الثورة التحريرية الكبرى لمواجهة الاستعمار الفرنسي وبينـوا فيه كيفيات تنظيمها وسيرانها حتى تعم الشعب الجزائري برمته وتشمل جميع فئاته ؛لأن مقاومة الاستعمار في ذلك الوقت كانت تعد عظيمة، ومما جـاء في البيان " أيها الجزائريون إننا نـدعوكم لتأمـل ميثاقنـا، إن جبهـة التحريـر هـي جبهتكم وانتصارها هو انتصاركم، وأن واجبكم أن تنضموا إليها ..."[(8)] .

كما ورد في البيان أيضا :" إن هذه مهمة شاقة وثقيلة وتتطلب تجنيد كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق".

وهكذا فإن جبهة التحرير الوطني لم تستثن أحدا من الفئات الحية في المجتمع، فبعد مضي عامين على انطلاق الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 ثم انعقاد مؤتمر الصومام (20اوت 1956) والذي على إثره تم إعادة هيكلة جهاز جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني على أسس تنظيمية وأيدلوجية محكمة. اتخذ قادة الثورة قرارا بمقاطعة جميع النشاطات الرياضية بالجزائر في ظل الحرب التي تشنها فرنسا على الشعب الجزائري؛ حيث ألغي اللقاء النهائي لكأس والذي كان من المفروض أن يجمع الاتحاد الرياضي البلعباسي بمنافسه سبورتينغ كلوب AFNالشمال الافريقي

البلعباسي[9] بقرار حكومي تفاديا للمجابهة بين الجزائريين والمعمرين، وأشارت جريدة "وهران الجمهورية" في28سبتمبر1956إلى غياب النوادي الإسلامية، مما أنعكس سلبا على مستوى اللقاءات، ومع بداية أكتوبر من نفس السنة غابت الأندية الجزائرية جميعها عن المنافسات الرياضية في ظل الاستعمار الفرنسي، وبانسحاب النوادي الإسلامية أقرت جريدة "صدى وهران" بأن البطولة صارت ضعيفة وفقدت حلاوتها وحرارتها[10]

فريق جيش التحرير الوطني يمهد الطريق:

بمناسبة الألعاب العربية التي كانت ستجري بلبنان عام 1957 وبمبادرة من مسؤول جزائري ملحق دبلوماسي لدى سوريا ولبنان عندما طلب من الحبيب دراوة- المدرب الجزائري للفريق التونسي- تشكيل فريق جزائري يشارك في الاستعراض الرياضي وراء العلم الوطني في هذه الألعاب[11]، تم تأسيس فريق جيش التحرير الوطني في13 ماي 1957 من لاعبين جزائريين

ينشطون في البطولة التونسية [12]، ويقول سعدي عبد القادر- أحد لاعبي هذا الفريق- أن تشكيل هذا المنتخب دام 12 شهرا بمساندة محمد بدير مسؤول الفدرالية التونسية ؛ حيث قام بعدّة جولات مغاربية وعربية معرّفا الشعوب المستضيفة بمسيرة الكفاح المسلح الذي كان يخوضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، واستطاع أن يكسب عطف الشعوب العربية ،فجمع خلال سنة من النشاطات حوالي 12 مليارا من السنتيمات لفائدة خزينة الثورة [13]، وكان انتصار هذا المنتخب في إحدى مبارياته الهامة حافزا لقادة الثورة بالمضي قدما في تأسيس فريق محترف من اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا يكون سفيرا للقضية الوطنية في المحافل الدولية[14].

وإذا كان الذي سبق ذكره حافزا لدى مسؤولي الجبهة بتونس في تأسيس فريق محترف، فإن مشاركة الرياضيين والطلبة الجزائريين النشطين بفرنسا في مهرجان الشباب العالمي بموسكو عام 1957 قد غرست فيهم الاقتناع بأهمية هذه المبادرة، ذلك أن محمد بومزراق أحد مسؤولي الفدرالية بفرنسا كان يدرك الصدى الذي يمكن أن تمثله الرياضة في الدعاية لصالح الثورة [15]، وهكذا في صيف1957 بباريس كانت فكرة تأسيس فريق جزائري في كرة القدم من اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا قد تبلورت بالمقر السري للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين[16]؛ لأن الحكومة الفرنسية وقتئذ كانت تبذل جميع جهودها من أجل إخماد الحركة التحريرية وتحاول ما استطاعت أن تصرف الأنظار عن حقيقة "أحداث الجزائر"[17]

أما فدرالية فرنسا فكانت من جهتها تبذل جهودا مضنية من أجل توضيح نشاطات جبهة التحرير الوطني في فرنسا وفي أماكن أخرى، ففكر قادة الثورة في القيام بعملية مثيرة تهدف إلى استجلاب أنظار العالم نحو الأوضاع المأساوية المفروضة على الجزائريين نتيجة لاستمرار الحرب الاستعمارية، وتتمثل هذه العملية في أن الجزائريين بفرنسا كان منهم من يمارس رياضة كرة

القدم بالأندية الفرنسية على مستوى عال من المهارة، مما أكسبهم شعبية واسعة هناك، ومن شأن انسحابهم- فجأة وبكيفية منسقة جماعية- أن يكون محل تساؤل مثير، ليس فقط لدى العالم الرياضي، لكن أيضا لدى الأوساط الفرنسية المتوسطة الشغوفة بالكرة المستديرة[18].

موقف اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا من نداء جبهة التحرير الوطني :

لذلك وجهت جبهة التحرير الوطني نداء إلى اللاعبين المغتربين بفرنسا قصد التحاقهم بالكفاح بعدما طمأن مسؤولو الفدرالية جميع اللاعبين بتقديم لهم الضمانات المتعلقة بالتكفل بعائلاتهم وبالممتلكات التي يخلفونها وراءهم بفرنسا[19] فقد تم تكليف بومزراق -في سرية تامة- بالتنقيب عن اللاعبين الجزائريين المحترفين في النوادي الفرنسية والسعي إلى توعيتهم بالقضية الوطنية العادلة، وبفضل بومزراق ولعريبي والدكتور مولاي بلغت الاتصالات نهايتها بمساعدة بعض مسؤولي جبهة التحرير الوطني بفرنسا[20] وفي لقاء أخير جرى بباريس في فندق الإخوة بودينار مع قدور عدلاني والسعيد بوعزيز بحضور لعريبي وبومزراق وبوبكر المتحدثين باسم اللاعبين اتفق الحاضرون على ضبط تاريخ خروج اللاعبين من فرنسا[21]، ونشرت مصالح الصحافة والإعلام التابعة لها بيانا تعلن فيه بكل اعتزاز أن اللاعبين الجزائريين قد غادروا فرنسا استجابة لنداء الجزائر المكافحة، لقد عبر اللاعبون- يقول البيان- أنه في الوقت الذي تشن فيه فرنسا على شعبهم حربا بلا هوادة في الوقت الذي امتنعوا عن مشاركة النوادي الفرنسية في استكمال مشوارهم الرياضي الذي يعد ذا قيمة مالية كبيرة"، كما صرح البيان مرة أخرى أن جبهة التحرير الوطني عازمة على تأسيس فدرالية وطنية جزائرية لكرة القدم وستطالب بانخراطها في الاتحادية الدولية لكرة القدم قصد المشاركة في المنافسات الدولية وفي كأس العالم القادمة، وهي الإرادة

نفسها التي عبر عنها اللاعب براهيمي بلوزان والمتمثلـة في السـعي إلى إنشـاء فريق جزائري[22].

ردود الفعل الفرنسية الإعلامية والرياضية والسياسية:

يقول علي هارون أحد قادة فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الـوطني أن عـام 1958كان يمثل منعرجا حاسما في كفاح التحريـر الـوطني بفرنسـا[23]، لـذلك أقحمت الهياكل التنظيمية للفدرالية النشاطات الرياضية والسياسية في العملية الدعائية الواسعة قصد النيل من الفرنسيين بواسـطة أغلـى هوايـة يعشـقونها إنها رياضة كرة القدم التي تلامس رجل الشـارع[24]، فـاللاعبون الجزائريـون كانوا كلهم ينشطون في الدرجة الأولى ومعروفين بفرنسا، وبقوة الأشياء فـإن هذا الرحيـل مـن شـأنه أن يجعـل الفرنسـيين مصـوبين أنظـارهم إلى الثـورة الجزائرية[25]، وحقيقة فإن قضية ترك اللاعبين الجزائـريين للنـوادي الفرنسـية قد شغلت الرأي العام الفرنسي واستقطبت جميـع الأوسـاط للـدلو بـدلوها حول أسبابها ومسبباتها، ففي 17 أفريـل أوردت جريـدة لكسـبريس تقـول:" ثلاثة ملايين من الفرنسيين اكتشفوا هـذا الأسـبوع وجـود حـرب بـالجزائر، وبتصفحهم الجريدة يوم الثلاثاء فقد علموا أن إحدى عشر لاعبا من أحسـن اللاعبين في كرة القدم المحترفة وكلهم ينتمون إلى الشمال الأفريقي قد غادروا فرقهم"[26]، وبعد مضي أربعة أيام مـن اختفـاء اللاعـبين الجزائـريين الأوائـل انتاب الجريدة الرياضـية المختصـة "لكيـب" قلـق ودهشـة وممـا حملتـه في هـذا السياق: " لا أحد كان يتصور الانسـحاب المفـاجئ للاعـبين الجزائـريين مـن نواديهم عشية مناقشات البرلمان والاستعداد لإجراء مبارة دولية في كرة القدم مع المنتخب السويسري في إطار إقصائيات كأس العالم المنتظر إجراء نهائياتها بالسويد عام 1958[27] لقد ألقـت هـذه الحادثـة بظلالهـا لـيس علـى الوسـط الرياضي فحسب، بل على الوسط السياسي، والخشية كل الخشـية أن تنتقـل هذه العدوى إلى لاعبين آخرين"[28]

وكتبت صحيفة ليمانيتي (لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي) من جهتها:"هي حرب الجزائر تشبه السرطان الذي يهاجم ميدانا كانوا يعتبرونه خارج السياسة"[29].

فالأوساط الرياضية قد تحسرت على فقدان لاعبين مهارين قيمتهم المالية مرتفعة إلى أبعد الحدود، ومن الصعوبة إيجاد بدلاء لهم، ففي موناكو صرح مسؤولو النادي بأنهم تلقوا ضربة قاسية لخزينة فريقهم " إن مغادرة اللاعبين الجزائريين مسؤول أ س موناكو إلى ممثل وكالة الأنباء الفرنسيةCaupora لفرقنا أوقعتنا في وضعية حرجة" حسب تصريح السيد

ومما جاء فيه كذلك" زيادة على خسارتنا للاعبين ممتازين سببت لنا هذه المغادرة مشكلا ماليا، وبالتالي كان هؤلاء اللاعبون يمثلون بالنسبة لفريقنا رأس مال حقيقي من الصعب تعويضه، كما صرح في سياق متصل مسؤولو الفدرالية الفرنسية لكرة القدم أن الوضعية تعد معقدة ولكن يجب أن نضعها بجدية في إطارها الرياضي ماعدا حالة زيتوني [30](AS Monaco)وبن تيفور(AS Saint –Etienne)والذي تم ضمه إلى فريق فرنسا بمعية مخلوفي

ذلك أن الفريق الفرنسي كان في بداية شهر أفريل 1958 بصدد التحضير لمقابلة الفريق السويسري من أجل خوض مباريات إقصائيات كأس العالم [31] التي بإمكانها أن تطرح مشكلة والتي ستكون محل مناقشة من طرف المكتب الفدرالي خلال الاجتماع القادم، ومن جهة أخرى فإن وضعية اللاعبين الجزائريين تعود أحكامها إلى القانون العام لكرة القدم المحترفة، وبذلك فهم يتواجدون أمام حالة فسخ العقد من طرف واحد[32].

لم تجد الفدرالية الفرنسية لكرة القدم حلا لعرقلة مساهمة الرياضيين الجزائريين في معركتهم سوى اللجوء إلى الاتحادية ومطالبتها بإصدار قرار يحضر على المنتخبات العالمية اللعب مع فريق جبهة التحرير الوطني

FIFAالدولية لكرة القدم وقد كان لها ذلك على حد قول بن طوبال[33]؛ لأنه على الصعيد المالي مثلت هذه الهجرة خسارة ب100مليون من الفرنكات[34].

أما الأوساط السياسية: فراحت تتساءل عن الدوافع التي أدت بمثل هؤلاء اللاعبين ومغادرتهم فرنسا رفقة أسرهم .كما استبد القلق بمصالح وزارة الداخلية التي لاحظت أن سلوك اللاعبين الجزائريين كان شرعيا؛ ذلك أنهم غادروا فرنسا دون بلبلة أو صراخ، وهم على ما يبدو لا تطبق عليهم العقوبات القضائية باستثناء اللاعب الدولي رشيد مخلوفي -الجناح الأيمن لسانت اتيان- الذي كان مجندا ومحمد معوش لاعب فريق رامس مساعد بمركز الجيش بجوانفيل، وباعتبارهم فرنسيين من حيث المواطنة فقد غادروا التراب الفرنسي بأوراق هوية قانونية ماعدا معوش الذي ألقي عليه القبض وهو على أهبة الاستعداد لاجتياز الحدود الفرنسية السويسرية معترفا بذلك بسانت لويس، وفورا تم استجوابه من قبل مفتشي الشرطة الذي كان من المتوقع أن يحيلونه على السلطات العسكرية [35].

من جانبه كتب أحد مراسلي الصحافة إلى باريس: إن التزام الرياضيين الجزائريين كان أحد العوامل الذي أثقل الجو السياسي داخل البرلمان الفرنسي، ودفع بعدد من النواب إلى التصويت ضد الحكومة (...) فالصدمة بالنسبة للرأي العام كان تظاهي في وقعها ما تسفر عنه خسارة معركة من نتائج [36].

المعركة السياسية في ثوبها الرياضي تنطلق من تونس :

واستجابة لنداء جبهة التحرير الوطني حلّ اللاعبون الجزائريون المهاجرون في فرنسا بتونس مصحوبين بزوجاتهم الفرنسيات وأطفالهم، ماعدا اللاعب مخلوفي كانت زوجته جزائرية؛ حيث استقبلوا من طرف المسؤولين المحليين لجبهة التحرير الوطني وفي مقدمتهم الرائد قاسي مسؤول قاعدة جبهة التحرير بتونس، واجتمع خمسة لاعبين جزائريين في ندوة صحفية وأبدوا إعجابهم بتونس

وعبروا عن سرورهم بانضمامهم إلى مشاركة إخوانهم في الكفاح التحريري بقيادة جبهة التحرير الوطني[37] "نحن باعتبارنا لاعبين في كرة القدم جئنا لوضع كفاءتنا التقنية وإمكانياتنا الرياضية تحت تصرف بلدنا" [38].

ونظرا للمكانة التي كان يحتلها اللاعبون المغتربون حرص مسؤولو الفدرالية إلى الانتقال إلى تونس قصد الاطلاع على ظروف استقبالهم ومدى إحاطتهم بالرعاية الضرورية من أجل تأدية مهامهم الجديدة على أحسن وجه[39] .

تعزيز فريق جبهة التحرير الوطني بعناصر جديدة من فرنسا :

بعث الدكتور الأمين دباغين عضو لجنة التنسيق والتنفيذ، مسؤول دائرة الشؤون الخارجية إلى مسؤولي فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني في منتصف عام 1958 مراسلة يذكر من خلالها أن الفريق الوطني لكرة القدم لم يكن يضم سوى 11 لاعبا، في حين أنه ينبغي على الأقل تواجد 4إلى 5لاعبين احتياطيين، والحال أنه يستحيل العثور عليهم بتونس من ضمن لاعبي الفريق ب الذين لا يمتلكون -دون شك- القيمة المطلوبة للظهور في الفريق الأول الدولي، وعليه توجهنا إلى فدرالية فرنسا لمطالبتها بإرسال لاعبين ذوي مستويات معترف بها وإرسالهم إلى تونس، وللإعلام -تضيف المراسلة- نفيدكم بنسخة من هذه الرسالة راجيين منكم إعداد التذكير الضروري إلى الأخوة بفدرالية فرنسا وربط الاتصال وإيفاد بأقصى سرعة LCH)لاعبين في كرة القدم تظهر عناوينهم وأسماؤهم: زوبا (نيورث)، وجاني52 فويورج شارتران فوندوم

عبد الله 55ساحة جورج كليمونسو بوردو، حداد مقهى لاميروت تولون (فار)، سوكان 1وسوكان 2 .إن العناصر المطلوبة TV، ماح ران HT-Rhim وإبرير(لوهافر)، بن محمود 13شارع دي فارجي ميلوز

ستساهم في تعزيز صفوف الفريق الوطني وعند اللـزوم ستتأسـس مـنهم نواة الفريق الثاني [40].

بعد مضي أربعة أشهر من تأسيس فريـق جبهـة التحريـر الـوطني -المثير للجدل حسب وجهة النظر الفرنسية- المشـكل مـن بـن تيفـور وعشـرة مـن رفقائه انضم إليه- عملا بتعليمات جبهـة التحريـر الـوطني- أربعـة لاعـبين جدد، ففي تاريخ 29 جويلية أصيبت كرة القدم الفرنسية مـن جديـد بضـربة موجعة عن طريق نادي لوهافر(لوهافر أتلنتيك كلـوب) الـذي اختفـت منـه خمسة عناصر جزائرية ولم يظهر لهـم أي أثـر منـذ بضـعة أيـام، وكـان يسـود الاعتقاد لدى الوسط الرياضي ولأسباب منطقية أنهم توجهـوا إلى سويسـرا بغرض الالتحاق بتونس[41] .

والحقيقة أن إحدى عشر لاعبا الذين تركوا الفرق الفرنسـية في 13 أفريـل قصد تأسيس فريق جبهة التحرير الوطني تعتبر عناصر لامعة في فرنسا، ومـن هؤلاء نجد بن تيفـور الـذي شـارك في كـأس العـالم السـابقة بسويسـرا عـام 1954مع منتخب فرنسا[42] وزيتـوني- المشـهور كرويـا بفرنسـا- الـذي كـان يتقاضى 160ألف فرنك الذي لم يتردد في ترك كل شيء وراءه ومما صرح بـه :"لا أستطيع رفض نداء الثـورة حتـى ولـو ضـيعت كـل شـيء"[43] وبوشـوك ومخلوفي وابراهيمي ،ذلك أن هذا الرحيل قد أفلس أ. س موناكو لكن الأمر كان يتعلق -في هذه المرة- بالأخوين محمد وعبد الله سوكان وإسماعيل إبرير والشريف بوشاش والأربعة كلـهم سـافروا إلى بـاريس لمباشـرة طـريقهم إلى جنيف، وهم جميعهم من فريق لوهافر[44] .

النشاط الرياضي قوامه التخطيط من أجل بلوغ الأهداف المسطرة :

- لا شك أن اللاعبين الجزائريين المغتربين بفرنسـا كـانوا يـدركون أنهـم بتركهم للفرق الفرنسية والتحـاقهم بتـونس لتشـكيل فريـق جبهـة التحريـر

الوطني، إنما يمثل ذلك كله التزاما بالمساهمة السياسية في انتصار الجزائر المكافحة، وإن كان البعض منهم يبدون عدم الرضاعن الوضعية المادية التي باتوا يعيشونها مع أسرهم، ذلك أن الأجرة الشهرية التي كانوا يتقاضونها في المتوسط تتراوح ما بين 20ألف إلى 300ألف من الفرنكات، لكن إرادتهم في القيام بواجبهم كوطنيين جزائريين دفعهم إلى قبول التضحية الجسيمة من أجل نصرة القضية الجزائرية ورفع الألوان الوطنية عاليا، والحال أن الأجرة الشهرية المخصصة لهم لا تتعدى 50ألف فرنك للعزاب، فهم لا يطالبون بنفس الأجرة التي كانوا يتحصلون عليها بفرنسا ولم تكن هذه مشكلة بالنسبة إليهم، ولكنهم يريدون ببساطة تعديلا جديدا في هذه الأجرة اعتمادا على أوضاعهم المهنية والمعيشية، لذلك كان يتعين على مسؤولي الجبهة التكفل بهؤلاء اللاعبين ماديا واجتماعيا وإقحامهم في النشاط السياسي لها وبث فيهم الحماس الفياض حتى يعرفوا ما يقدمونه فوق الميادين بالبلدان الأجنبية[45] وحتى تكون الفائدة شاملة هناك مراقب للتسيير الإداري والمالي -باعتباره محافظا سياسيا- يسهر على شفافية مداخيل اللقاءات الدولية ويستفيد من مشورة المسؤولين المحليين لجبهة التحرير الوطني، وعقب كل جولة رياضية يتم إعداد تقرير بالنشاطات من طرف المديرية التنفيذية للفريق الوطني بالوزارة التي تتبعها، وما يتضمنها من تسهيل إقامة العلاقات مع الخارج وتزويد القادة الرياضيين التابعين للبلد المضيف والمنظمات المماثلة والصحافيين بجميع المعلومات المفيدة، علاوة على المعلومات المتحصل عليها الناتجة عن ربط الاتصالات المعتادة مع الممثلين الأجانب[46] .

وفي سياق متصل ورد في تعليمة حول وضعية الفريق الوطني أن السيد بومزراق مدرب الفريق أفصح على وجود روح معنوية مقلقة تسود عناصر الفريق حتى أن البعض منهم همّ بمغادرة الفريق والجبهة، ومما جاء في قوله:" إن الفريق استسلم للجمود الذي جثم على نفوس الجميع وألحق ضررا بالغا

بلياقاتهم البدنية، ذلك أن إقصاء الفريق المغربي من المنافسات الدولية الـذي تجرأ على اللعب أمام فريقنا يعد مثالا على العقوبة التي ستضرب كـل فريـق يتجرأ على اللعب أمامنا، وحتى وإن كان من المنتخبات الهاوية، دون إغفـال أن المباراة مع الفريـق المغربـي جلبـت مـدخولا ماليـا قـدرة 12 مليونـا مـن الفرنكات لصالح صندوق الثورة[47]، وحتى لا ننكـر أن الجانـب المـادي لـه أهمية قصوى في خرجات الفريق الجزائري فإن المهام السياسية والدبلوماسية والدعائية ذات أهمية قصوى في نشاطاته الرياضية ،فالشـغف الشـعبي بكـرة القدم بلغ نسبا مدهشة في العديد من البلدان الأوربية وأمريكا الجنوبية وحتى بإفريقيا، ففي أمريكا الجنوبية صارت القضايا الرياضية مسـيطرة علـى حيـاة الناس بهذه البلدان ...وباختصار فإن تنظـيم لقـاءات الفريـق الـوطني لكـرة القدم مع الفرق الأجنبية يعد وسيلة فعالـة للدعايـة الـتي مـن شـأنها جعـل المشكل الجزائري تتبناه -بصورة أفضل- شعوب العديد من الدول وشعوب أمريكا الجنوبية بصورة خاصة، وخارج هذا الإطـار فـإن الصـحافة المحليـة لم تحجز للقضية الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي سوى مكانا متواضعا إن لم نقل عديم المعنى"[48].

وعليه وجهت جبهة التحرير الوطني مراسلة إلى الدائرة الخارجيـة التابعـة لها ورد فيها أن فريق كرة القدم -كما يعلم الجميـع- رأس مـال غـير ممكـن تقييمه من ناحية الدعاية، وعليه يجب أن نسـتغل سمعـة عناصـره وفي نفـس الوقت يعفينا من تكاليف المحادثات التي نتحملها، وبالتالي يجب أن نشركه في إجراء المقابلات الدولية، لهذا نطلب من الدائرة الخارجية سواء على مستوى السفارات بالقاهرة أو مباشرة مع البلدان التي تتواجد بها ممثلياتنـا الاتصـال بفدراليات بعض البلدان قصد تنظيم جولة أو عدة جولات إذا أمكن، وعلى المستوى المادي، وبمأمن الأمر يتعلق بفريق الشعب الجزائـري الـذي يخـوض الكفاح التحريري نطالب بتحصيل جميع المداخيل في صندوق الثورة، لكن لا

نقبل اللعب إلاّ مع البلدان التي تضمن لمنتخبنا تكاليف الإقامة والنقل من أجل الدعاية[49]

الدور الدبلوماسي والإعلامي والمادي الذي لعبه فريق جبهة التحرير الوطني لصالح الثورة:

لقد شكل خروج اللاعبين الجزائريين المهاجرين من الأندية الفرنسية معطى جديدا آثار اهتمام أولئك الذين كانوا يدرجون الحرب التحريرية في آخر مراتب اهتماماتهم، فما الذي أدى برياضيين في النخبة يتمتع كل منهم برغد العيش في دار مريحة وسيارة إلى التخلي عن كل شيء والالتحاق بجبهة التحرير الوطني التي كانت تنعت بعصابة من الخارجين عن القانون ؟ وهكذا لم تعد الصور المشينة التي كانت تروّج للثورة الجزائرية تجد قبولا سهلا لدى الرأي العام الفرنسي، وفي الأشهر الموالية صار تجنيد المتعاطفين الفرنسيين مع القضية الوطنية ضمن شبكات الدعم أمرا ميسورا[50].

بتونس؛ حيث أجرى لقاء كرويا مع Belvédereاستهل فريق جبهة التحرير الوطني نشاطه من الملعب البلدي مع هذا البلد الشقيق بتعداد ناقص من تنظيم اللجنة الجزائرية التونسية للتظاهرات الرياضية، وفاز الفريق الجزائري في أول مباراة يجريها على مستضيفه بنتيجة 5مقابل 1 وعادت مداخيلها إلى اللاجئين الجزائريين[51] قبل قيامه بجولة مغاربية قادته إلى المغرب الذي يعد أول فريق يستقبل فريق جبهة التحرير الوطني رغم تهديدات الفيفا، فتجرأ على اللعب أمام الفريق الجزائري ليتعرض إلى عقوبة سنة من الإقصاء من المشاركة في المنافسات الدولية، فالسلطات المغريبية أعطت موافقتها على اللعب أمام الفريق الجزائري لأسباب سياسية مرتبطة بعملية القرصنة الطائرة التي كانت تقل القادة التاريخيين وهي في طريقها إلى تونس عام 1956[52].

لقد قام فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم بجولات رياضية ما بين عامي 1958 و1962 قادته إلى بكين، ففي الصين استقبل فريق بومزراق استقبال الأبطال؛ حيث قدم للجمهور الصيني عروضا شيقة في كرة القدم بحضور الرئيس "ماو تسي تونغ"،وقبل ذلك كان الفريق الجزائري قد استقبل من طرف الوزير الأول الصيني "شون أولاي" الذي كان هو الآخر منشغلا بظروف الحرب في الجزائر ومعجبا-شأنه شان الجنرال "جياب" بالفيتنام- بالنشاطات الرياضية والدبلوماسية للمنتخب الجزائري، ومما قاله لعناصر الفريق الجزائري: "إننا نستقبل سفراء جديرين بتمثيل الثورة الجزائرية المجيدة"[53]، مرورا بعمان، ففي الأردن استقبل فريق جبهة التحرير الوطني عام 1959 من قبل الملك "حسين" ليخلّد الحدث بمسيرات القصر[54]، وهانوي ففي الفيتنام- البلد الذي هزم القوات الفرنسية بديان بيان فو- بقيادة الزعيم "جياب فونقوين" استقبل هذا الأخير رفقاء زيتوني بمدخل مقر قيادة الأركان العسكرية ليرافقهم إلى القاعة الشرفية ويخصص أكثر من ثلاث ساعات من وقته لأعضاء الفريق الوطني تحدث خلالها معهم حول بداية مشوارهم الرياضي وكيفية التحاقهم بجبهة التحرير الوطني، مبديا إعجابه بنضال وكفاح الشعب الجزائري، ومما قاله "هو شين مين" أحد أعوانه في دردشته :"لقد هزمنا فرنسا وهزمتمونا، إذن فلتهزموا فرنسا"[55] وبيوغسلافيا من خلال الجولة الاستثنائية التي قام بها المنتخب الجزائري فإن اللقاء الذي كان أكثر أهمية بالنسبة إليه هو ذلك الذي جرى بالعاصمة بلغراد أمام جمهور يقدر بـ40ألف متفرج وعقب انتهاء المباراة انتقل الكثير من سفراء البلدان العربية والإفريقية لتحية عناصر الفريق الجزائري، وبالمنصة الشرفية لم يخف المسؤولون اليوغسلاف ابتهاجهم؛ حيث تفاجأوا بالنسوج الكروية التي قدمها أعضاء فريق جبهة التحرير الوطني وانضباطهم التكيتيكي، فهم لم يكونوا ينتظروا مشاهدة منتوج كروي بهذا المستوى العالي، كما تحدثوا مع عناصر الفريق

وحفزوهم على مواصلة الكفاح التحرري والثبات على المواقف، كما تأثر الفريق الجزائري بهذه الحفاوة وتمنى مسؤولوه أن تتحرر الجزائر من الاستعمار الفرنسي وتقيم علاقة وطيدة من الصداقة والمحبة مع اليوغسلاف، وعبر أعضاء الفريق الجزائري عن بالغ تأثرهم لحفاوة الاستقبال التي تلقوها من الجمهور اليوغسلافي والدفع بمسؤوليه إلى الاعتراف بالثورة الجزائرية فلم يترددوا منذ البداية عن فعل ذلك[56].

وكان يحدث أحيانا أن يرافق قادة الثورة المنتخب الجزائري إلى المطار؛ كما فعل كريم بالقاسم وأحمد بومنجل قبل مقابلة المغرب[57] من جهته لعب المرافق الملحق بالفريق محمد علام -باعتباره محافظا سياسيا مكلف بالدعاية لصالح القضية الجزائرية- دورا كبيرا في جلب تعاطف الجماهير الرياضية عبر كافة البلدان التي زراها فريق جبهة التحرير الوطني، فكان يأخذ الكلمة قبل كل لقاء كروي مخاطبا الجمهور المستضيف :"إن الفريق الذي يلعب أمامكم كرة القدم يريد إسماع صوت الجزائر المكافحة ،إن هؤلاء اللاعبين يمثلون بلعبهم الكرة قضية عادلة"[58].

والحقيقة أن فريق جبهة التحرير الوطني منذ تأسيسه في ربيع1958 استطاع أن يعبد طريقه إلى العالمية، فذكرته الصحافة الدولية بإسهاب وأطنبت في إعجاب الجماهير العالمية بروائعه الكروية وسلوكه التربوي المنضبط، وكان الجمهور الذي يلعب أمامه يمدّه بالمتعة ويبهره بالعروض والنسوج الكروية الممتازة، مما مكّنه من نيل إعجابه وتعاطفه مع القضية الوطنية، فاستقبل من طرف المسؤولين السامين في كل بلد يستضيفه في كل من البلدان العربية، فمن الرباط والدار البيضاء إلى طرابلس وتونس والقاهرة، فدمشق وبغداد وعمان والرياض المناصرة للثورة التحريرية شأنها شأن الدول الاشتراكية الأوروبية مثل بلغاريا والمجر ورومانيا ويوغسلافيا وبولونيا والاتحاد السوفياتي إلى آخره... التي راحت تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الواحدة تلو الأخرى، ولم

يتردد حتى رئيس بلدية روستوف بالاتحاد السوفياتي سابقا في تخصيص استقبال شرفي للفريق الجزائري[59].

لم يلعب فريق جبهة التحرير الوطني دورا دبلوماسيا لصالح القضية الجزائرية فحسب، بل كانت مساهمته المالية لفائدة خزينة الثورة عظيمة جدا، حيث قام بنشاط مكثف فلعب62 مقابلة دولية فاز ب47 مقابلة وتعادل في 11 وخسر 4 مقابلات[60] ليحصل في الأخير على مدخول مالي قدره 120مليار فرنك[61] كان دعما معتبرا للثورة التحريرية في مسيرتها نحو الانتصار.

وخلاصة القول أن الرياضة كانت في خدمة الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر بامتياز بداية مع تأسيس عام MCA1921النوادي الجزائرية منذ عشرينيات القرن الماضي مع مولودية نادي الجزائر

وصولا إلى بعث فريق جيش التحرير الوطني عام 1957 الذي اعتبرت عناصره مجاهدين بحق شأنهم شأن الثوار في ميادين المعارك، وأخيرا فريق جبهة التحرير الوطني انطلاقا من عام 1958الذي أبلى بلاء حسنا وبرهن على أن الهجرة الرياضية الجزائرية نحو فرنسا رقم هام في ترجيح كفة الارادة الجزائرية الصلبة على حساب الرغبة الجامحة الفرنسية، فكانوا خير نصيرا للقضية الوطنية في الملاعب الدولية.

الهوامش:

(1) CNER sur le mouvement national et la révolution du 1er Novembre54 : Jeunesse et Sport et revendications nationales, Algérie 1940-1962, Edition spéciale du ministère des Moudjahidines p50

(2) Ibid p57

(3) Benjamin Stora ; Ils venaient d'Algérie, L'Immigration algérienne en France (1912-19629), Fayard 1992 p373

(4) Ibid p374

(5) Ibid p375

(6) Ibid p376

(7) L'Emigré. organe de combat des Algériens de France pour la libération de l'Afrique du Nord N /4

(8) وزارة الإعلام والثقافة: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني "بيان أول نوفمبر" (1954-1962) الجزائر SCBA 1979 ويتشكل من الجزائريين فقط والثاني: سبورتينغ كلوب البلعباسيUSMBA.

(9) الأول: الاتحاد الرياضي الإسلامي البلعباسي ويتشكل من أبناء المعمرين أنظر في ذلك: CNER, op. cit, p363

(10)Mahfoud Kaddache : Récit de feu Alger SNED /SN Elmoudjahid 1977

(11)Ahmed Arroul : Le football , Une expression de lutte CNIDS, Magazine special N1,Novembre1994

(12)Hamid Grine : Almanach du Sport algérien, Alger, ANEP 1990 p24

(13)Ahmed Arroul, op. cit, p97

(14)Hamid Grine op cit p24

(15)Rabah Saadalah, Djamal Benfares : La glorieuse équipe du FLN .Alger ENAL/GAM 1985

(16)Stora, op. cit p377

(17) عمر بـوداود : مـن حـزب الشـعب الجزائـري إلى جبهـة التحريـر الوطني، مذكرات مناضل ترجمة أحمد بـن محمـد بخيلـي الجزائـر، دار القصـبة للنشر 2007 ص127

(18) نفس المصدر والصفحة

(19) نفس المصدر ص128

(20)CNER Sur le mouvement national et la revolution du 1er Novembre54, op. cit p429

(21) عمر بوداود: المصدر السابق ص127

(22)Libération, N/4233 du 16 /04/1958

(23)CNER sur le MN et la R du 1er Novembre,op cit p420

(24)Hamid Zouba : Témoignage, INFS /STS Alger, Mai 2004

(25) CNER sur le MN et la R du 1er Novembre54 ,op.cit p433

(26) Benjamin Stora, op. cit, pp372-373

(27) CNER.op cit p433

(28) Benjamin Stora, op.cit, p373

(29) الدكتور عبـدالله شـريات: الثـورة الجزائريـة في الصـحافة الدوليـة ،الجزء الأول ،الجزائر، وزارة المجاهدين عام 2003 ص205

(30)Libération, N/4233

(31)Benjamin Stora, op cit p373

(32)Libération N /4233

(33)**عضو لجنة التنسيق والتنفيذ مكلف بالداخلية أنظر في ذلك**: Mohamed Harbi : Le FLN Mirage et Realité, Alger, ENAL 1993 p403

(34)Chikhi Djaml : « Les Onze de l'independance » Film ENTV/VMGroup Juillet 2002

(35)Libération N/4233

(36) الدكتور عبد الله شريات: المرجع السابق ص 204

(37)Libération N/4233

(38)CNER, op.cit, p430

(39) عمر بوداود : المصدر السابق ص128

(40)ACN, Fond de GPRA BT25

(41)Libération N/4322 du 30/07/1958

(42)Chikh Djamal, op.cit (film)

(43)CNER, op.cit, p430

(44)Libération N/4322

(45)ACN, Fond de GPRA BT24

(46)Ibidem

(47)A.C.N.Fond du GPRA BT 25

(48)Ibidem

(49))A.C.N , Fond de F.F du FLN BT 26

(50) عمر بوداود : المصدر السابق ص128

(51) H.Seddiki : Rachid Mekhloufi , L'imagination au bout du pied.Alger, SNED1982 p156

(52) Djamal Saifi : Le Football algérien au cœur du mondial. Alger, ENAL/Gama Sport 1983p10

(53) CNER, op.cit p 435

(54) Chikh Djamal op cit

(55) CNER op cit p 436

(56) A.C.N, Fond GPRA.BT 25

(57) CNER, op.cit p435

(58) Ibid p436

(59) Djamal Saifi, op.cit pp10-12

(60) Ibid pp8-9

(61) هناك بعض المصادر تقدم حصيلة المقابلات الكروية التي أجراها فريق جبهة التحرير الوطني مع مختلف المنتخبات الدولية ما بين عامي 1958و1962 على النحو الآتي: خوض 91 مباراة تم تحقيق 65 انتصارا، 13 تعادلا، 13 هزيمة أنظر في ذلك:

CNER sur le MN et la R du 1er Novembre 54 p436

El Oueled Houma, Bulletin mensuel N/6, 1999

دور الجزائر

في حل النّزاعات والأزمات في إفريقيا جنوب الصّحراء

د/ خالد صابر شريف

أستاذ محاضر/ جامعة الجزائر2

مفهوم النزاعات والأزمات:

يعدّ مفهومي النّزاعات والأزمات من المفاهيم الحديثة السّاعية كنمذجة وتفسير ما يشهده عالمنا الحالي من صراعات مختلفة الأشكال وخلافات متعدّدة الأسباب، وقد انبثق هذين المفهومين وتشكلا، عبر النّظريات التي خصّتهما بالشّرح المستفيض والتحليل العميق، ويمكن أن نقسّم أهمّ هذه النّظريات إلى ثلاث مجموعات كبرى، هي بإيجاز:

1. تتناول النّظريات المندرجة ضمن المجموعة الأولى، النّزاع والأزمة وتفسرهما، على أساس وجود صراع قائم بين طرفين متنازعين، يسعى كل واحد من الطّرفين إلى فرض الحلول التي تحقّق أهدافه، وتحافظ على مصالحه.

2. تذهب المجموعة الثّانية من النّظريات إلى اعتبار كل الأطراف المتنازعة أطرافا فاعلة ستكون قادرة على مواصلة النّزاع والاستمرار فيه، ما دامت نسبة المكاسب والخسائر لم تصل حدّها الأقصى الذي يضمحلّ عنده أحد الأطراف المتنازعة وتخور قواه.

3. تنطلق النّظريـات المنتميـة إلى المجموعـة الثّالثـة في تفسـيرها للنّزاعـات والأزمات، من التغيّرات والتّحـولات الـتي تطـرأ علـى مسـتوى العلاقـات الدّولية التي تؤدي بدورها إلى تغيير في موازين القوّة.

ويمكن أن نضيف إلى مجموع النّظريات السـابقة، التّعريـف الـذي يقترحـه الباحث "نولي"[1] للنّزاع، إذ يقول: "إنّه قائم في أساسـه علـى تبـاين في المصـالح والمنطلقات الإيديولوجية والتوجّهات السياسية والتّباين الفكري والمفهومي"

وعلـى الـرّغم مـن سـعي النّظريـات السّـابقة الحثيـث لتفسـير مفهـومي النزاعات والأزمات، ومحاولتها، بالتالي، الوصول إلى العموميات التي تحصـر عبرها جميع تجليات النّزاعات والأزمات وأشكالها وخصائصها، وكذا أسبابها القريبة منها والبعيدة، بيد أن الناظر في السّاحة الإفريقيـة لا يلبـث أن يحكـم على تلك النّظريات بعدم عموميتها وشموليتها، كـون النّزاعـات والأزمـات التي تشهدها السّاحة الإفريقية لها خصوصياتها ومميزاتها التي تنفرد بها، فكـل نزاع أو أزمة في إفريقيا لها أسبابها ومبرّراتها الخاصّة بها لوحدها، فهي حالـة شاذة من بين حـالات شـاذة أخـرى، لا تقبـل التعمـيم، ولا تنطبـق عليهـا، بالتالي، التفاسير التي تقترحها تلك النظريات إلا بشكل جزئي.

وإذا حوّلنا رؤيتنا من الجانب النّظري الذي تفسّـر بـه النّظريـات السّـابقة ظاهرة النّزاعات والأزمـات بشـكل عـام، ووجّهناهـا- الرؤيـة- إلى واقعنـا الإفريقي، فإن أولى الحقائق التي تتبدى للعيان، هي أن أزمات إفريقيا جنـوب الصّحراء، التي هي محلّ هذه الدراسة، مازالـت تتصـدّر الأحـداث، وغـدت تكلفتها الاقتصادية صفة، وما تحصده من أرواح بشرية يشـكّل مصـدر قلـق التّنظيمات الدّولية، كمنظمة الأمم المتّحدة والمنظّمة العالمية للصّحة...إلخ.

ومن خير الأمثلة التي تتجلى من خلالها التّكلفة الاقتصادية والمالية لأزمات إفريقيا، هي تقديرات البنك العالمي سنة 2000، حيث قُدّرت التّكلفة المالية لتلك الأزمات بـ 5،2 مليار دولار أمريكي، موزّعة حسب المناطق التّالية:

-1 مليار دولار بالنسبة لإفريقيا الوسطى.

-800 مليون دولار بالنسبة لإفريقيا الغربية.

-500 مليون دولار قدمت كمساعدات للاجئين.

وتجدر الإشارة بهذا الصّدد، إلى أن تقديرات البنك العالمي التي أوردناها أعلاه لا تمثّل سوى التّكلفة المالية المباشرة الخاصّة بأزمات إفريقيا، في حين يصعب تحديد التّكاليف غير المباشرة التي، يبدو أنها، لا تعدّ ولا تحصى؛ ونعني بذلك التّكاليف الباهظة الخاصّة بالمنشآت القاعدية، كالنّسيج الصّناعي، الصّحي، الثّقافي، التّربوي، والاجتماعي الخ.

وأما بخصوص التّكلفة البشرية، فيمكن أن نمثّل لها بـ: النّزاع الرواندي سنة 1994، حيث قدر عدد الضحايا بواحد مليون قتيل، وفي السّنة نفسها، تمّ تهجير أكثر من مليون أنغولي، ووضع أكثر 11 من مليون لغم (أي ما يعادل لغم واحد لكل أنغولي). وعلى العموم فإن أحسن ما يترجم التّكلفة البشرية التي كانت كنتيجة مباشرة للصّراعات والنّزاعات في إفريقيا، هو هلاك أكثر من8،5 مليون أفريقي منذ سنة 1947[2].

وفضلا عن التّكاليف المالية والبشرية الباهظة النّاتجة عن أزمات إفريقيا، فإنّ الناتج الوطني الخام في البلدان الإفريقية التي تشهد تلك النّزاعات، قد عرف تراجعا خطيرا (أقل من 2%)، الأمر الذي يشكّل تهديدا مباشرا لكيان المجتمعات الإفريقية.

أسباب النّزاعات في إفريقيا جنوب الصّحراء:

صنّف الباحث زرتمان ZARTMAN الأسباب الكبرى للنّزاعات في إفريقيا جنوب الصحراء في ستّة أنواع أو أنماط هي:

1- الصّراعات على السّلطة أعقاب إنهاء الفترة الاستعمارية (أنغولا، زمبابوي، ناميبيا).

2- الأزمات الناجمة عن عملية بناء الدولة/ الأمة وتوطيدها، عشية الاستقلال (أنغولا، التشاد... الخ.)

3- الصّراعات الدّاخلية بين عناصر الحركة الوطنية المتنافسة، في أنغولا بين الاتحاد الوطني لتحرير أنغولا(UNITA)[3] والجبهة الوطنية لتحرير أنغولا (FLNA) [4].

4- النّزاعات على الحدود الموروثة عن الفترة الاستعمارية.

- النّزاع بين دولة البنين والنيجر حول جزيرة "ليتي".

- النّزاع بين دولة المالي والبركينافسو.

- النّزاع الحدودي بين دولة الكامرون والنيجر.

وتجدر الإشارة إلى أن منظّمة الوحدة الإفريقية سابقا - الإتحاد الإفريقي اليوم- وافقت في قمة القاهرة سنة 1964 على مبدأ "عدم إعادة النّظر في الحدود الموروثة عن المستعمر"، ولهذا لم تشهد الحدود الإفريقية سوى تعديلات محدودة في الفترة الممتدة ما بين سنة 1960 و1985، حيث تمّ تعديل 10000 كلم من مجمل الحدود الإفريقية المقدرة ب 80000 كلم, أي 13% فقط، في حين بقيت 41%من طول الحدود الإفريقية بدون أية تسوية إلى غاية سنة 1988.

5- النّزاعات التّقليدية و الهيكلية.

6- النّزاعات النّاجمة عن تدخّل قوى عسكرية أجنبية في القارة الإفريقية، وتزويد الأطراف المتنازعة بالأسلحة.

وعلى الرّغم من موضوعية الأسباب السّتة التي قام بها زرتمان، إلا أن عدم أخذه للبعدين التاريخي والجيوستراتيجي بعين الاعتبار أثناء عملية التّصنيف، قد جعل تلك الأسباب تشوبها سمتي الضّعف والسّطحية.

وعلى عكس زرتمان، اقترح الأمين العام السّابق للأمم المتّحدة السّيد كوفي عنان[5] مجموعة من الأسباب التي تبدو أكثر شمولية، كونها تستند في أساسها على استقراء وتحليل عميقين للواقع الإفريقي، ونذكرها على النّحو التالي:

- الأسباب التّاريخية.
- الأسباب الدّاخلية.
- الأسباب الخارجية.

الأسباب التاريخية:

نعنى بالأسباب التّاريخية تلك التي تعود إلى التّقسيم الاستعماري الأوروبي للقارة الإفريقية في مؤتمر برلين سنة 1884 الذي أقر إنشاء مستعمرات (أقاليم) تحوّلت بعد استقلالها إلى "سيادات وطنية " غير متجانسة عرقيا ولا اجتماعيا ولا تاريخيا ولا ثقافيا...الخ.

ولقد أسفر التّقسيم الاستعماري المنبثق عن مؤتمر برلين، عن نتائج جدّ سلبية بالنّسبة للخريطة السّياسية لإفريقيا بعد الاستقلال، واتّضح هذا الأمر بشكل جليّ في خليج غينيا والدّول التّابعة له المجزأة على شكل "قطع"[6]، وكذلك في جمهورية غامبيا التي تقع في "قلب" جمهورية السنغال (300كلم في

العرض)، وأخيرا في الممتلكات الألمانية الممتدّة عبر 450 كلم طـولا و 30 إلى 90 كلم عرضا في مستعمرة ناميبيا[7].

الأسباب الخارجية:

تتمثل الأسباب الخارجية في انعكاسات الحرب الباردة التي حولت السّاحة الإفريقية إلى ميـدان صـراع وتنـافس بـين الـدّول الإفريقيـة لصـالح الـدّول العظمى. إذ تفيد الدّراسات المهتّمة بهذا الجانب أنّ مجمل مبيعات روسيا من الأسـلحة والعتـاد العسـكري في الفـترة مـا بـين 1984 و1988 لثلاثـة دول إفريقية[8]، قد قدّر بـ 11،1 مليار دولار، أما مبيعات الولايات المتّحـدة مـن الأسلحة الموجّهة إلى إفريقيا في الفترة نفسها، فقد قدّرتها تلك الدّراسات بــ 2،7 مليار دولا. ويمكن أن نقول مستندين على الأرقـام السّـابقة، إنّ القـوى الأجنبية قد كانت لها يد طولي في صراعات القارة الإفريقية ونزاعاتها.

الأسباب الداخلية:

تنحصر العوامل الدّاخلية في الصّراعات التّقليدية القديمـة بـين القبائـل و الأعراش، مضافا إليها انتشار الفقر والتّهميش الاجتماعي والسياسي، وكـذا سوء تسيير الأموال العمومية، وفساد أنظمة الحكم المنحصرة في أقليات نافذة استحوذت على وسائل الدولة وسخّرتها لمصالحها الخاصّة ولفئـة قليلـة مـن أتباعها ومناصريها. وعليه يمكن القـول مسـتنتجين، إنّ ظـاهرة الأزمـات في إفريقيا جنوب الصّحراء لن يتم تفسيرها إلا بإيلاء كامـل العنايـة والاهتمـام بكل ما يمتّ إليها بصلة، فصـحيح أن العوامـل التّاريخيـة والخارجيـة تسـهم بشكل كـبير في تفسـير تلـك الأزمـات والإحاطـة بأسـبابها المختلفـة؛ لكـن تفسيرها سيظلّ ناقصا ومحدودا إن لم يُـدعَّم بأسـبابها الدّاخليـة الـتي لا تقـلّ أهمّية عن سابقاتها، خاصة مـا تعلّـق منهـا- الأسـباب الدّاخليـة- بالنّخبـة الحاكمة والسّياسات العمومية المنتهجة.

وجدير بالذّكر ها هنا، إلى أن البنك العالمي قد أصدر سنة 2000 تقريرا موسوما:" هل لإفريقيا مكانة في مطلع الألفية الثالثة". وجاء فيه تفصيل لأهمّ الأسباب الدّاخلية التي تؤدي إلى حدوث الأزمات في إفريقيا جنوب الصّحراء، نوجزها فيما يلي:

1. ضعف نسبة تشغيل الشّباب [والفكرة هنا قائمة على أساس اندماج الشّباب في عالم الشغل، الشّيء الذي يبعده عن الأنشطة التي لها صلة بالنّزاعات و التّوترات].

2. ممارسة القمع وهضم الحقوق السّياسية للمواطن, من مثل: غياب حرية التّعبير السّياسي، وعدم السّماح للمؤسسات التي تؤطره بالظّهور والاشتغال.

3. الاختلاف العقائدي والتّباين القبلي وعدم الانسجام الثّقافي.

4. انعكاسات البرامج الخاصّة بإعادة الهيكلة على المجتمعات الإفريقية، وما ينجرّ عنها من فقر وبطالة، وتفكيك للمنظومة التّربوية إن وجدت، و انهيار الطبقات الوسطى في المجتمع أو حتى انمحائها...إلخ. ويمكن أن نضيف على ما سبق ذكره، البرامج التي فرضها صندوق النّقد الدّولي والبنك العالمي على عدد كبير من الدّول الإفريقية؛ برامج وضعت اقتصاد تلك الدّول تحت رحمة الشركات الرأسمالية العالمية الكبرى وهيمنتها, فغدت عاجزة عن التّحكم في اقتصادها، وما يعود بالفائدة على مواطنيها، خاصّة في المجالات الحسّاسة كالصّحة، التّربية، التعليم، الشغل والمنشآت القاعدية... الخ.

5. الاستبداد بالحكم واحتكار السّلطة ورفض التّداول السّلمي على السّلطة.

نماذج من النّزاعات في إفريقيا جنوب الصّحراء:

على الرّغم من تقدّم عمليات السّلام التي شهدها العقد الأوّل من الألفية الثّانية للميلاد في إفريقيا جنوب الصّحراء، إلا أن النّزاعات المسّلحة فيها لا تزال

تحصد أرواح الأبرياء بالآلاف، وقد امتدّت النّزاعات واتّسعت حتىّ أضحت حروبا بين الدّول، ويمكن أن نذكر من بين تلك الحروب على سبيل المثال:

- أزمة جمهورية الكونغو الديمقراطية التي بدأت في شهر أوت 1998 بحركة تمرّدية داخلية تحوّلت إلى نزاع إقليمي بين القوات الحكومية التي ساندتها أنغولا، ناميبيا، التشاد وزمبابوي من جهة، والفصائل المتمرّدة التي دعّمتها كل من رواندا وأوغندا من جهة أخرى.

- الأزمة التي ظهرت بين إيريتريا وإثيوبيا التي أدّت إلى نشوب حرب بين البلدين دامت ثلاثة سنوات (1998 إلى 2000)، ولم تتحقق بعد عملية رسم الحدود بينهما.

- الأزمة التي ظهرت بين التشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى، والتي شهدت في سنة 2005 انزلاقات خطيرة، مما استلزم انتشار قوى عسكرية أوروبية[9] في البلدين لحماية اللاجئين السّودانيين الوافدين من إقليم دارفور على وجه الخصوص.

- النّزاع القائم بين جيبوتي وإيريتريا من جهة، وإيريتريا وإثيوبيا من جهة أخرى، بحيث أسفرت الحرب التي دارت بينهم عن مقتل أكثر من 80000 شخص بين سنة 1988 و 2000.

أمّا عن النّزاعات التي اتّخذت طابع الحرب الأهلية أو الحركة التمرّدية فهي عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- أزمة البوروندي التي أسفرت عن مقتل أكثر من300000 شخص منذ سنة 1993، ولم يشهد الوضع الدّاخلي تحسّنا، على الرّغم من توصّل السّلطة المركزية والفصائل الانفصالية إلى إبرام اتفاقية تقضي بوقف إطلاق النار.

- أزمة السينيغال التي عرفت توقيع اتفاق في شهر ديسمبر 2004 لإعادة السّلم في إقليم الكزامانس (جنوب البلاد) بعد نزاع خاضته حركة انفصالية منذ سنة 1982.

- الحرب الأهلية التي عاشتها ليبيريا، والتي استمرت، بدون انقطاع، نحو 14 سنة منذ 1989، وأسفرت عن سقوط ما لا يقلّ عن 300000 قتيل.

- أزمة أوغندا التي أسفرت منذ 1988 عن عشرات الآلاف من القتلى، إضافة إلى1،6 مليون نازح.

- أزمة ساحل العاج التي تعدّ أخطر نزاع سياسي عسكري، والتي ظهرت إثر التمرّد المسلّح الذي بدأ في سبتمبر 2002 ضدّ النّظام القائم للرئيس لوران كباكو، وقد أدّت الأزمة إلى انقسام البلد قسمين، وسيطرة المتمرّدين على قسمه الشّمالي، ولم تطبق حتى الآن اتفاقات السّلام المتوصّل إليها في جانفي 2003.

- أزمة دارفور (غرب السودان)، وهي أخطر الأزمات التي تشهدها القارة الإفريقية اليوم، إذ أسفرت حسب آخر التّقديرات عن مقتل أكثر من 300000 شخص و 2،7 مليون نازح.

دور الجزائر في حل بعض النّزاعات في إفريقيا جنوب الصّحراء:

انتهجت الجزائر منذ استقلالها سياسة خاصّة تجاه النّزاعات التي تعرفها بعض الدّول الإفريقية. وتكمن المبادئ التي ارتكزت عليها الجزائر من أجل تسوية الخلافات فيما يلي:

1. يدور المبدأ الأوّل حول القاعدة العامة التي تبنتها منظّمة الوحدة الإفريقية في قمّة القاهرة سنة 1964 والرّامية إلى عدم مراجعة الحدود الموروثة عن الإدارة الاستعمارية.

2. يقوم المبدأ الثّاني على ضرورة تسوية الخلافات والنّزاعات في إطارها الإفريقي.

3. يتمحور المبدأ الثالث حول انتهاج الأسلوب السّلمي في حلّ الخلافات.

4. يتلخّص المبدأ الرّابع في حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها.

أما فيما يخصّ الحركات الانفصالية، كالحركة التي شهدتها منطقة الكاتنقا[10] في أنغولا، وحركة البيافرا[11] في نيجيريا في الستينات، فإنّ موقف الجزائر منهما قد كان إلى جانب السّلطة المركزية مدعّمة بذلك إحدى مبادئ ميثاق منظّمة الوحدة الإفريقية القائم على احترام الوحدة التّرابية للدّول الأعضاء.

أما النّزاعات الإفريقية ذات الأبعاد غير الانفصالية، فكان موقف الجزائر منها مبني أساسا على "القرابة الإيديولوجية"، فكان موقفها، على سبيل المثال، إلى جانب الحركة الشّعبية لتحرير أنغولا[12] التي خاضت معركة تحرير البلاد ضد الاستعمار البرتغالي، ثم قامت بعد ذلك بمعركة أخرى ضد منافسيها في السلطة كالجبهة الوطنية لتحرير أنغولا[13] والاتحاد الوطني لتحرير أنغولا[14]

وكان للجزائر نفس الموقف المبني على الاعتبارات الإيديولوجية، فيما يخصّ دعمها للجبهة الوطنية لتحرير التشاد[15] ضد الحكومة المركزية الموالية للإدارة الاستعمارية الفرنسية السّابقة. كما نسجّل المنطلقات الإيديولوجية نفسها فيما يخصّ مساعي الجزائر لحلّ النزاع الذي كان قائما بين غينيا وغانا من جهة، وبين تنزانيا وأوغندا من جهة أخرى.

غير أنّ الاعتبارات الإيديولوجية، كانت بالنّسبة للجزائر محلّ مراجعة مستمرّة، وهذا قصد جعل تلك الاعتبارات متماشية مع الأوضاع المستجدّة، وخير مثال عن هذا، مساندة الجزائر في بادئ الأمر للحركة الإيريتيرية، وتغيير موقفها بعد انتهاء حكم الإمبراطور هيلاسيلاسى[16]. و اقتراب الجزائر بأديس أبيب.

ونسجّل في الأخير دور الجزائر الرّائد والفعّال في حلّ الخلافات والنّزاعات التي شهدتها إفريقيا بعامة، ودول جنوب الصّحراء بخاصة، وهذا

ما يترجمه قيامها بدور الوساطة بين الدّول المتنازعة في العقد الأول من سبعينات القرن الماضي، ونشير هنا على وجه الخصوص، إلى مساهمة الجزائر في فضّ النّزاع بين الصومال وإثيوبيا من جهة، وبين تنزانيا والبوروندي من جهة أخرى. و قد كان للجزائر، فضلا عمّا سبق، دور حاسم في إنهاء الخلاف القائم بين المغرب وموريتانيا بمناسبة انعقاد قمّة منظمة المؤتمر الإسلامي في مدينة الرباط سنة 1969.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

- Sabeur Cherif Khaled, la politique africaine de l'Algérie, Mémoire de DEA, Université de la Sorbonne- Nouvelle –Paris, 1983.

- Sabeur Cherif Khaled, Le Maghreb dans les relations extérieures du Sénégal, Doctorat De III eme cycle, Université de la Sorbonne –Nouvelle, Paris ,1988 .

- Annan KOFI, « Rapport sur les causes des conflits et de la promotion d'une paix et d'un Développement durables en Afrique », New York, ONU, 1998.

- Banque Mondiale, l'Afrique peut –elle revendiquer sa place dans le XX les. ?, Washington, 2000.

- Noli Okwudiba, Ethnic conflicts in Africa, Codesria, Dakar, 1998, 417p.

- Zartman I.W, la résolution des conflits en Afrique, l'Harmattan, Paris

الهوامش:

(1) Noli Okwudiba, Ethnic conflits in Africain, Ed. Codesria, Dakar, 1998.

(2) عرفت 16 دولة افريقية، في سنة 1999 نزاعات داخلية أو على الحدود. مما تسبب في تهجير أكثر من 23 مليون شخص.

(3)UNITA = Union Nationale pour l'indépendance de l'Angola

(4)FNLA = Front National de libération de l'Angola

[5]Kofi ANNAN, Les causes des conflits et de la promotion d'une paix et d'un Développement durables en Afrique, New York, ONU, mai 1998.

[6]« Les Etats en forme de tranches du Golf de Guinée ».

[7]أعتبر بسمارك هذا "الرواق" الواقع بين الممتلكات البريطانية و البرتغالية ممرا استراتيجيا في اتجاه نهر الزمباز.

[8] أنغولا ،إثيوبيا و الموزمبيق

[9]L'EUFOR.

[10]Katanga

[11]Biafra

[12]MPLA

[13]FLNA

[14]NITA

[15]FROLINAT

[16]Hailé Sélassié

قراءة منهجية لكتاب
"تحفة الكبار في أسفار البحار" لكاتب جلبي

د. محمد دراج

أستاذ محاضر بجامعة الجزائر ـ 2 ـ

تمهيد:

يعد كاتب جلبي الشهير عند الباحثين العرب باسم: "**حاجي خليفة**" أحد النوابغ العلمية الموسوعية الذين أنجبتهم الدولة العثمانية في القرن السابع عشر. ولئن اشتهر بين الباحثين العرب والمسلمين بكتابه "**كشف الظنون في أسامي الفنون**" إلا أن الكتاب الذي نريد أن نقوم بعرضه في هذه المقالة له أهمية خاصة جدا. نظرا لكونه يعد أحد أهم المصادر التركية التي تتناول التاريخ البحري العثماني. ولأن المؤلف خصص حوالي 60 صفحة من كتابه للحديث عن الجزائر وإن هذا المصدر يكتسي أهمية أخرى نظرا لكونه يسلط الضوء على تاريخ البحرية العثمانية ـ الجزائرية خلال القرني 16 و17.

ولأهمية هذا الكتاب ضمن مصادر التاريخ البحري، فإن منظمة اليونيسكو قامت بتنظيم احتفالية خاصة لإحياء الذكرى 400 لميلاد كاتب جلبي في سنة 2009 بإسطنبول. وقامت بالتعاون مع البحرية التركية بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية. وفي هذه المقالة محاولة للتعريف بالمؤلف وأهم مصنفاته. وكذا تسليط الضوء على كتابه القيم: "**تحفة الكبار في أسفار البحار**"

التعريف بمؤلف الكتاب:

العالم الموسوعي التركي الذي لمع نجمه في القرن السابع عشر الميلادي. اسمه الحقيقي مصطفى، واسم والده عبد الله. اشتهر باسم: **حاجي خليفة**[1]. **وكاتب جلبي**. ولد في إسطنبول سنة 1609 وتوفي بها سنة 1657م. نشأ في مدرسة أندرون الخاصة بإعداد الكوادر الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية. تلقى علومه على العديد من علماء عصره أمثال الشيوخ: **خليفة القرمي، وإلياس خوجة والخطاط أحمد شلبي**[2].

التحق بوالده للعمل في ديوان هومايون[3]، حيث عمل محاسبا. فمكنه هذا المنصب من اكتساب خبرة في المحاسبة فضلا عن تدربه على خط السياقة[4].

تولى عدة مناصب في الجيش العثماني. ومن خلال هذه المناسب اشترك في حملات عديدة في مناطق مختلفة من العراق للتصدي للصفويين في سنوات: 1626، 1630، 1635. كما اشترك في قمع الثورات التي اندلعت في أرضروم وديار بكر سنة 1628. وخلال ذلك تمكن من تسجيل مشاهداته في كتابيه: **جهانومة وفذلكة**[5]. وفي أثناء وجوده في إحدى الحملات لقمع الثورات التي اندلعت في شرق الأناضول. انتهز فرصة انسحاب الحملة إلى حلب فزار البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج.

لم تمنعه خدمته في الجيش من تلقي العلوم المختلفة عندما كان يعود إلى إسطنبول. ولأجل ذلك التحق بدروس العالم **قاضي زادة أفندي** فتأثر به كثيرا. حيث قرأ عليه التفسير وإحياء علوم الدين وشرح المواقع والدرر والطريقة المحمدية[6]. كما حضر دروس عالم العصر صاحب الفضائل **الشيخ الأعرج مصطفى أفندي**[7]. وقد خصّ هذا الأخير كاتب جلبي بعناية خاصة نظرا لتميزه عن غيره من طلابه. فقرأ عليه كاتب جلبي كتب **الأندلسية**،

وهداية **الحكمة** حتى الباب الرابع و**شرح ملخص الهيئة**. كما حضر الدروس العامة التي كان يلقيها الشيخ **كجي محمد أفندي** في جامع أياصوفيا والسليمانية.

وفي أثناء وجوده في ديار بكر خلال إحدى الحملات في شرق الأناضول لقي العديد من العلماء واستفاد منهم من خلال جلسات المناظرة التي كان يعقدها معهم في سنة 1635.

ترك كاتب جلبي الخدمة في الجيش ليتفرغ بشكل كامل للعلم والمعرفة. وأنفق ما جمعه من مال وما ورثه عن والده لاقتناء آلاف الكتب. كما شرع في تدوين أسماء الكتب التي شاهدها خلال وجوده في حلب عند الصحافين. واهتم بتقييد كتب التاريخ والطبقات والتراجم على وجه الخصوص لكونه كان شغوفا بقراءتها، فلم تأت سنة 1636 حتى كان كاتب جلبي قد فرغ من قراءة معظم تلك المصنفات[(8)].

خلال انشغاله بالتدريس لبعض طلبته انشغل إلى جانب ذلك بدراسة علم الخرائط، وذلك خلال حملة كريت سنة 1645. وفي أثناء مرضه انشغل بدراسة كتب الطب من أجل مداواة نفسه فتمكن بفضل ذلك من اكتساب معارف طبية كثيرة. كما قام بترجمة بعض الآثار من اللاتينية إلى التركية بفضل المسلم من أصل فرنسي محمد إخلاصي.

توفي كاتب جلبي صبيحة 27 ذي الحجة 1067هـ الموافق لـ06 أكتوبر 1657 ودفن بالمقبرة المجاورة لجامع زيرق بإسطنبول.

مكانته العلمية:

أعطى كاتب جلبي أهمية كبيرة للدراسات التاريخية والبيبلوغرافيا. ولتوسيع معارفه التاريخية تمكن من الاطلاع بشكل واسع على المصادر

التاريخية. فقد ذكر بأنه في أثناء تأليفه لكتاب " **فذلكة** " راجع 1300 مصدر. وأعاد هذا التصريح عند حديثه عن كتابه: " **تقويم التواريخ** ".

بالإضافة إلى اهتمامه بالدراسات التاريخية اهتم كاتب جلبي أيضا بالجغرافية واعتنى بها عناية خاصة. وإدراكا منه لتفوق الجغرافيين الغربيين واليونان على المسلمين في هذا العلم ألف كتابه" **جهانومة** " لاستدراك هذا النقص.

انتقد في مؤلفاته التاريخية معاصريه ومن تقدمه من المؤرخين الأتراك أمثال زكريا القزويني في كتابه **أعشار البيلود**، وعالي مصطفى أفندي في كتابه **كنه الأخبار ومرآة العوالم**، وكذا الحديدي في منظومته **التاريخ العثماني** وغيرهم.

نال كاتب جلبي اهتماما كبيرا لدى الباحثين الأتراك والغربيين على حد سواء باعتباره أحد نوابغ القرن 17 م. يدل على ذلك اعتناؤهم بكتابه كشف الظنون في أسامي الفنون باعتباره كتابا موسوعيا ومرجعا أوليا في الدراسات الشرقية. ولا غرابة أن تترجم العديد من مؤلفاته إلى مختلف اللغات العالمية.

اهتم كاتب جلبي بدراسة المشكلات الاجتماعية والفكرية التي عايشها في عصره وتناولها بالدراسة والتحليل. وذلك إيمانا منه بأن العالم يجب أن يمثل صوت العقل لدى الدولة والمجتمع. ومن أجل ذلك ساهم في البحث عن الحلول الملائمة لمشاكل مجتمعه.

وليس من المبالغ فيه إذا اعتبرنا كاتب جلبي من أبرز المتأثرين بمدرسة ابن خلدون التاريخية من خلال مزجه بين حركة التاريخ وحركة المجتمع وفعالياته. ويتجلى ذلك بالتأمل في كتابه القيم:" **دستور العمل**".

أهم مؤلفاته التاريخية:

ترك كاتب جلبي العديد من المؤلفات ذات القيمة العلمية الكبيرة في مختلف العلوم. وبخصوص الدراسات التاريخية التي خلّفها نشير إلى أهم مؤلفاته:

1. **فذلكة التواريخ:** كتاب في التاريخ العام منذ ظهور الخليقة حتى سنة 1641م. (مخطوط له نسخة واحدة في فرع المكتبة الوطنيةببايزيد بإسطنبول).

2. **فذلكة:** كتاب يتناول الحوادث الواقعة خلال الفترة (1592- 1655). الكتاب مطبوع بالتركية القديمة والحديثة.

3. **تحفة الكبار في أسفار البحار:** كتاب تطرق فيه إلى المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار في مطلع القرن السادس عشر والسابع عشر حتى سنة 1656م. يعد هذا الكتاب أهم كتاب في تاريخ البحرية العثمانية. نشر لأول مرة سنة 1729. ثم نشر بعد ذلك عدة مرات. كما نشر لأول مرة بالتركية الحديثة سنة 1973. ترجم إلى الإنجليزية ونشر من طرف منظمة اليونيسكوا سنة 2009 بمناسبة الاحتفالية التي نظمت في إسطنبول بمناسبة الذكرى 400 لميلاد كاتب جلبي.

4. **تقويم التواريخ:** كتاب في التاريخ العام من آدم عليه السلام حتى 1648. ألفه بالعربية ورتبه على الحوليات. طبع في أجزاء متفرقة لأول مرة سنة 1728. ثم أعاد نشره الباحث التركي علي سواري مذيلا بتعليقات هامة.

5. **ترجمة تاريخ افرنجي:** نشر في باريس من طرف جون كاريون سنة 1548. الكتاب مرتب على طريقة الحوليات. ترجمه كاتب جلبي بمساعدة المهتدي الفرنسي محمد إخلاص. (توجد نسخة مخطوطة وحيدة في مكتبة عزة كويون اوغلو بقونيا ـ تركيا).

6. **إرشـاد الحـيران إلى تـاريخ اليونـان والـروم والنصـارى:** كتـاب يتنـاول تاريخ الدول الأوربية. اشتمل على معلومات نادرة تتعلق بالدول الأوربيـة. ألفه للمؤرخين المهتمين بالتاريخ الأوربي. الكتـاب يحتـوي علـى 56 ورقـة. مقسم إلى قسمين: الأول: يتنـاول أديـان ومـذاهب أوربـا، والثـاني: النظـام الإداري في أوربا.

7. **سلم الوصول إلى طبقات الفحول:** كتاب في الطبقات مرتب على الحروف. مؤلـف بالعربيـة، قسـم إلى قسـمين: القسـم الأول خصصـه للمشـهورين بأسمائهم، والثاني: خصصه للمشهورين بأنسابهم وكناهم وألقابهم. الكتاب اعتمد على كتاب السيوطي:" **تـاريخ اللبـاب** " وأضـاف إليـه مـن غـيره مـن المصادر يزيد عددها عن 100مصدر. توجد منه نسخة مسودة يبدو أن المؤلف لم يفرغ من تأليفها في مكتبة السليمانية. وضع له العلامة أوسطاقي زادة ذيلا أكمل به الترجمة للأعلام الذين لم يدركهم كاتب جلبي زادة حتى سنة 1761.

8. **جهانومة:** كتاب مشهور ألفه كاتب جلبي في الجغرافيا.

9. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنـون:** موسوعة باللغـة العربيـة تنـاول فيه كاتب جلبي التعريف بالمؤلفات العربية منذ عصر ابن النديم مؤلف كتاب الفهرست حتى عصره. الكتاب مطبوع عدة مرات في مختلف البلدان[9].

التعريف بكتاب تحفة الكبار في أسفار البحار:

الكتاب تناول التعريف بأهم المعـارك البحريـة الـتي خاضـتها الأسـاطيل العثمانية في مختلف البحار منذ القرن الخامس عشر حتى عصر المؤلف. وقـد نشر الكتاب في جزئين، كل منهما مكون من عدة فصول.

أولا: الجزء الأول يتكون من مدخل وتسعة فصول:

المدخل: أورد فيه المؤلف معلومات جغرافية تتعلق بالبحار والمحيطات، معطيا أهمية خاصة لسواحل البحر المتوسط وإيجة والجزر الواقعة فيهما مثل: جزيرة المورة وسواحل ألبانيا والبوسنة والجمهوريات الإيطالية وفرنسا وإسبانيا[10].

الفصل الأول: خصصه للحديث عن الأساطيل العثمانية، والفتوحات التي قاموا بها، ونماذج مختصرة عن المعارك التي وقعت منذ منتصف القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر[11].

الفصل الثاني: خصصه للحديث عن الحروب العثمانية في البحر المتوسط خلال عصر خير الدين بربروس. وهنا نلاحظ بأنه خصص حوالي 60 صفحة للحديث عن الجزائر. ذكر بأنه اعتمد فيها على مذكرات خير الدين بربروس، وأنه ينقل ما ورد فيها ملخصا[12].

ومن أهم المباحث التي تناولها في هذا الفصل مما له علاقة بالجزائر:

- غزوات عروج وخير الدين، ص 41
- محاصرة بجاية وفتح جيجل، ص 43
- قدوم عروج إلى الجزائر، ص 44
- هجوم أساطيل الكفار والقبائل البدوية على قلعة الجزائر، ص 45
- فتح تنس، ص 46
- فتح تلمسان، 47
- قدوم الكفار لغزو قلعة الجزائر، ص 48

الفصل الثالث: خصصه للحديث عن الحوادث التي وقعت في أثناء تولي خير الدين لقيادة الأسطول العثماني. ومن أهم الموضوعات التي تطرق إليها:

الفصل الرابع: خصصه للحديث عن غزوات قادة الأسطول العثماني بعد خير الدين وظهور بيالة باي[13].

الفصل الخامس: غزوات بيالة باي[14].

وفي هذا الفصل تحدث عن بعض الموضوعات ذات العلاقة بتاريخ الجزائر العثمانية وغيرها من بلدان المغرب العربي في بداية القرن السادس عشر، منها:

- مساعدة العثمانيين لفرنسا، ص 106
- غزو وهران، ص 109
- الحملة على بنزرت، ص 109
- الحملة على جربة، ص 111
- نهب جزيرة مالطا، ص 112
- استشهاد تورغوت رئيس، ص 120

الفصل السادس: حول غزوات علي باشا[15].

الفصل السابع: حول قادة الأساطيل العثمانية وغزواتهم لجزيرة كريت[16].

الفصل الثامن: شرح أسباب الخروج لغزو جزيرة كريت[17].

ثانيا: الجزء الثاني من الكتاب قسمه إلى عدة أقسام. أهمها:

القسم الأول: التعريف بأهم قادة الأساطيل العثمانية حتى عصر المؤلف[18].

القسم الثاني: حول التشيكلات البحرية ونظمها وقوانينها[19].

القسم الثالث: غزوات الأسطول العثماني في البحر واللوائح المنظمة لذلك[20].

القسم الرابع: اللوائح المنظمة لغزوات البحر[21].

القسم الخامس: أنواع السفن ورياس البحر وعمال الموانئ[22].

القسم السادس: مالية الأسطول العثماني[23].

القسم السابع: حول غزوات البحر ونصائح البحارة[24].

التوضيحات: اشتملت على الهوامش التوضيحية التي ذيلها ناشر الكتاب

القاموس: اشتمل على العديد من المصطلحات التاريخية الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم.

ملاحظات منهجية حول الكتاب:

أشار المؤلف إلى أنه اعتمد على مذكرات خير الدين بربروس في روايته للأحداث المتعلقة بالوجود العثماني في المنطقة خلال الفترة الأولى من القرن السادس عشر. وقد لوحظ بأن المؤلف التزم بما ذكره في مقدمة الكتاب غير أنه بالمقارنة بين ما ورد في الكتاب موضوع الدراسة، وما ورد في مذكرات خير الدين بربروس[25] نجد بأن المؤلف قد استفاد من مصادر أخرى غير المذكرات. وذلك بالنظر إلى وجود تفاصيل ليست مذكورة في المذكرات.

كما نشير إلى أن المؤلف يعد من أوائل المؤرخين الأتراك الذين اتجهوا بهذا المنهج إلى دراسة التاريخ الموضوعي، بعدما كانت الكتابة التاريخية تنهج منهج الحوليات التي تجعل من السلطان محورا للحوادث التاريخية. فخصص كاتب جلبي كتابه لدراسة موضوع واحد هو المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار، خصوصا البحر المتوسط الذي كان ميدانا أساسيا للصراع بين أوربا ممثلا في إسبانيا وحلفائها من جهة، والعالم الإسلامي ممثلا في الدولة العثمانية من جهة ثانية. وذلك خلال فترة زمنية محددة هي القرن 16 ومنتصف القرن 17 الميلاديين.

وكغيره من المؤرخين العرب والمسلمين غلب على دراسته أسلوب الإطراء والإعجاب بالبحرية العثمانية. حيث يلاحظ القارئ حديثه بإعجاب كبير وإشادة بالغة بالانتصارات التي حققتها الأساطيل العثمانية، والمبالغة في تضخيم خسائر أساطيل الأعداء دون الإشارة إلى هزائم العثمانيين وخسائرهم. وحتى وإن اضطر إلى ذلك فإنه يكتفي بالمرور عليها بشكل سريع.

وبالرغم من اعتبار الكثير من الباحثين أن كاتب جلبي متأثر إلى حد كبير بمنهج ابن خلدون في دراسة التاريخ، نظرا لاهتمامه بنقد غيره من المؤرخين، والاهتمام بحركية المجتمع؛ إلا أنه لم يوظف ذلك في كتابه هذا. بل اكتفى بما ورد في مذكرات بربروس وغيرها من المصادر الأخرى التي استعان بها دون تمحيص أو نقد.

كما أنه تابع خير الدين بربروس في إغفال أسماء الكثير من الأماكن والأشخاص والحوادث التي تحتاج إلى التصريح بها لكي يتمكن الباحث من الرجوع إليها ودراستها انطلاقا من المعلومة الدقيقة التي ذكرها كاتب جلبي.

بعض مآخذ الكتاب:

سجلنا على الكتاب بعض المآخذ كالخطأ في تثبيت الأماكن،كزعمه بأن بجاية تقع في نواحي طرابلس[26]، وزعمه بأن الذي وقع في الأسر لدى فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودوس هو خير الدين[27]، بينما المذكرات تصرح بأنه عروج وليس خير الدين[28]. ولوحظ عدم تثبته من المعلومات التاريخية وخلطه بين الحفصيين والزيانيين. فقد زعم مثلا بأن أخَ السلطان التلمساني لجأ إلى إسبانيا طالبا مساعدته على استرجاع عرشه من السلطان المغتصب له في تلمسان. فأعانه الإسبان بتسهيل استيلائه على تنس. وهذا ينطبق على الأمير الزياني يحيى الثابتي الذي أجلسه الإسبان على عرش تنس نكاية في عمه أبي حمو الثاني الذي قاومهم في وهران[29]. كما لوحظ عليه ـ مثلما أشرنا إلى ذلك

سابقا ـ تضخيم أرقام الغنائم وأعداد الأسرى والسفن التي يتم غنمها في المعارك الحربية ضد السفن والجيوش المسيحية. وفي المقابل يتجاهل خسائر العثمانيين البشرية والعسكرية. ويؤاخذ على الكتاب أيضا اعتماده على مصادر أخرى غير المذكرات دون أن يصرح بها. ويتجلى ذلك في تطرقه إلى أحداث وقعت بعد "المذكرات" التي تنتهي حوادثها عند حملة شرلكان على الجزائر سنة 1541. ولا شك أن عدم ذكر كاتب جلبي لمصادره يجعل الباحث مضطرا إلى التنقيب عن تلك المعلومات في مصادر أخرى لتوثيقها.

أهمية الكتاب:

الكتاب بالنسبة لدراسة تاريخ المغرب العربي الحديث وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص يعد أحد أهم المصادر التركية الأصلية التي يجب أن تأخذ حيزها اللازم من الاهتمام. وذلك نظرا لكون المؤلف جمع بين صفتين نادرا ما تجتمع في غيره من المؤرخين وهما: كونه أحد موظفي الدولة العارفين بخباياها، وكونه رجل علم وثقافة موسوعية مكنته من الإمساك بزمام البحث التاريخي. وفضلا عن ذلك فإن المؤلف قد عاصر الوجود العثماني في الجزائر. ولا شك أنه كان على دراية بمجريات الأحداث عن قرب بحكم إقامته في إسطنبول وقربه من أصحاب القرار ورجالات الدولة ـ وكان واحدا منهم ـ

ولا تكمن أهمية الكتاب في جانبه المعرفي والمعلوماتي فحسب؛ بل امتاز بسلاسة أسلوبه حيث كتب بلغة تركية سهلة خالية من التكلف والتعقيد.

ونظرا لأهمية الكتاب فإن الجزء الخاص بالجزائر يستحق أن يترجم إلى اللغة العربية لكي يتمكن الباحثون الجزائريون من الاستفادة منه والرجوع إليه عند الحاجة.

هذا؛ وقد عرف الغربيون أهمية هذا الكتاب فقامت منظمة اليونيسكو بترجمته ونشره باللغة الإنجليزية بمناسبة الذكرى 400 لوفاة مؤلفه كاتب جلبي. فياليت المنظمات العربية أو الوطنية المهتمة بالعلوم والثقافة تأخذ زمام المبادرة وتقوم بترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية لتعميم الفائدة للقارئ والباحث العربي.

الهوامش:

---

(1) Abdülhak Adnan Adıvar. ***Osmanlı Türklerinde İlim***, İstanbul 1943, s. 105

(2) **نفسه**، ص 105

(3) ديوان هومايون: مجلس ورزاء الحكومة العثمانية.

(4) خط السياقة هو الخط الذي كانت تكتب به الرسائل المشفرة ذات الطبيعة العسكرية والأمنية في الدولة العثمانية.

(5) سيأتي التعريف بهما عند الحديث على مؤلفات كاتب جلبي.

(6) Kâtib Çelebi*: Hayatı oe Eserleri Hakkında İncelemeler*, Ankara 1985,s 38

(7) *Osmanlı Müellifleri*, İstanbul III, 124-131

(8) *Bilgi, XI*/128. İstanbul 1957 (Kâtib Çelebi özel sayısı)

(9) لمزيد من التفاصيل عن شخصية كاتب جلبي ومؤلفاته، انظر:

Şeyhî, *Vekâyİu't-fuzalâ*. I, 262-264. Bursalı Merımed Tâhir, *Müverrihini ösmâniyye'den Âlî ,Kâtib Çelebİ'nin Tercüme-i Halleri*, Selanik 1322, s. 18-43; *Osmanlı Müellifleri*, İstanbul III, 124-131; Ab-dülhaK Adnan Adıvar. *Osmanlı Türklerinde İlim*, İstanbul 1943, s. 105; Bekir Kütükoğlu, *Kâtib Çelebi "Fezleke"sinin Kaynakları*, İstanbul 1974; Ba-binger (Üçok). s. 214-223; Ornan Saik Gökyay. *Kâtib Çelebi: Yaşamı. Kişiliği ve Yapıtlarından Seçmeler*, Ankara 1982; *Kâtib Çelebi: Hayatı oe Eserleri Hakkında İncelemeler*, Ankara 1985; Ali

Canip [Yöntem]. "*Kâtib Çelebi'de Liberallik*", HM, 111/ 20 (1927), s. 462; Bilgi, XI/128. İstanbul 1957 (Kâtib Çelebi özel sayısı)

(10) ص 5-17

(11) ص 18-40

(12) ص 41-90

(13) ص 91

(14) ص 106

(15) ص 130

(16) ص 152

(17) ص 185

(18) ص 213

(19) ص 225

(20) ص 233

(21) ص 233

(22) ص 235

(23) ص 238

(24) ص 245

(25) **كان لنا شرف ترجمة المذكرات من التركية إلى العربية اعتمادا على نسخة مكتبة جامعة إسطنبول التي نشرها المؤرخ التركي الأستاذ يلماز أوزتونا باللغة التركية الحديثة. وقد نشر الكتاب من طرف شركة الأصالة للنشر والتوزيع بالجزائر في نوفمبر2010.**

(26) **انظر تحفة الكبار،** ص 42

(27) **نفس المصدر،** ص 43

[28] انظر: **مذكرات خـير الـدين بربـروس**، ترجمـة محمـد دراج، شـركة الأصـالة للنشـر والتوزيع، الجزائر 2010، ص23

[29] انظر ما أورده كاتب جلبي في **التحفة**، ص 46.

كلمة وداع
الأستاذ. د. موسى لقبال

إذا كان انقضاء الأجل ونهاية العمر خاتمة لمشوار الحياة وتوقف لمسيرة العطاء فإنه بلا شك لحظة تأمل في واقع الوجود ومراجعة للنفس واستحضار لذكريات الماضي، وهذا ما استبد بشعوري وملك على إحساسي عندما بلغني نبأ وفاة أستاذنا الدكتور موسى لقبال في 11 فبراير 2009 ، فلم أملك نفسي إلا أن أخط كلمات عرفان وتحية في وقفة قد تعجز العبارات عن الإفصاح عنها، ولكن واجب الصداقة وحق الزمالة يفرض علي أن أسجل ذكريات جمعتني وإياه في رحاب الجامعة الجزائرية.

إن الأستاذ موسى لقبال ينتمي للجيل الأول بعد الاستقلال من ذوي الثقافة العربية الأصيلة، فهو نتاج حركة النهضة العربية في جزائر الخمسينات التي ساهمت بها المدارس الحرة واحتضنها جامع الزيتونة بتونس واستقت منابعها من زخم الثقافة العربية بالمشرق العربي. قضى الأستاذ موسى لقبال طفولته بمسقط رأسه بريكة التي ولد بها سنة 1934، حيث تشرب التقاليد العربية الأصيلة التي عرفت كيف تحافظ عليها بطون أولاد دراج بمنطقة الحضنة؛ وبعد أن تلقى تعليمه الأول بالكتاب وبالمدارس العربية بموطنه التحق بجامع الزيتونة ليستكمل فيه دراسته الثانوية وليتحصل على شهادة التطويع ليمارس بعدها مهنة التعليم بالمدرسة الحرة بعين عبيد؛ ولم يطل به الأمر حتى التحق بمصر ليزاول دراسته بجامعة القاهرة فتخرج منها بشهادة الليسانس في التاريخ، ليعود بعدها إلى تونس حيث علم بإحدى المدارس فترة قصيرة.

وبعد الاستقلال استقر بالجزائر ليكمل رسالته التعليمية كأستاذ بثانوية عمارة رشيد (1962-1963)، وعندما افتتح فرع التاريخ والجغرافية بمعهد الدراسات العربية العليا بجامعة الجزائر لتخريج أساتذة التعليم الثانوي، كان من المعيدين الذين انتدبوا للتدريس به سنة 1963، فكان لنا شرف الدراسة عليه طيلة ثلاث سنوات (1963-1966). وكما هو معروف فإن معهد الدراسات العربية العليا بجامعة الجزائر، الذي يمنح لخريجه شهادة الكفاءة العليا في التعليم (C.A.P.E.S.)، هو استمرار للمعهد الذي أنشأه وأشرف عليه المستشرق الشهير هنري بيريس، وقد واصل هذا المعهد مهمته بعد الاستقلال بمنهج جزائري وتوجه ثقافي عربي إسلامي، فاستقطب خيرة الطلاب الجزائريين الذين درسوا بالمعاهد العربية أو بجامع الزيتونة، فأعطى دفعا للغة العربية، لكن النظرة الضيقة لبعض المسئولين آنذاك والجو المعادي للعربية بالجامعة الجزائرية، أدت إلى غلقه لوقف عجلة التعريب بالجامعة الجزائرية، فلم تتخرج منه سوى دفعتان في اللغة والأدب العربي ودفعة واحدة في التاريخ والجغرافية مؤلفة من 55 طالبا تحملوا، مع خريجي جامعات المشرق العربي، عبء تعريب مادة التاريخ للسنة الأولى من التعليم الثانوي سنة 1966.

كان الأستاذ موسى لقبال أحد المعيدين المتميزين بهذا المعهد، فعرف بسلوكه الملتزم ومستواه العلمي المحترم، وهذا ما شجعه على استكمال مشواره العلمي، فلم تثنه متطلبات التدريس ولا مشاغل الحياة بالجزائر العاصمة عن تحضير رسالته الجامعية الأولى لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ مع أستاذ الجيل الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة (ت. 1977) الذي عمل بالجزائر من 1963 إلى 1967، وكان موضوع رسالته: المغرب العربي من بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج؛ ثم واصل دربه العلمي تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد المتخصص في الدراسات

الفاطمية والذي علم هو الآخر بالجامعة الجزائرية (1967-1970)، فحضر عليه شهادة دكتوراه الدور الثالث في مسألة الحسبة في المغرب الإسلامي؛ وبعد سنوات توج نشاطه العلمي بالحصول على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدراسته المتميزة حول دور قبيلة كتامة.

كان أول لقائي بالفقيد في إحدى أمسيات شهر نوفمبر سنة 1963، عندما التحقت بمعهد الدراسات العربية العليا بالجزائر العاصمة، دخلت يومها القاعة متأخرا وجلست في آخر القاعة أستمع إليه وهو يلقي محاضرة في تاريخ مصر الفرعونية، فرأيت فيه شابا متحمسا معتزا بثقافته يمتلك زمام اللغة العربية، ويحاول جاهدا أن يوصل المعلومات إلى طلبته بإلقاء مسترسل وبطريقة متدرجة وأسلوب مشوق.

وكان آخر لقائي به في الصائفة الماضية (منتصف شهر جويلية 2008) في رواق مصلحة البحث العلمي بالطابق الثالث من بناية الجامعة المركزية، فراعني منظره وقد أخذ منه الضعف والوهن أيما مأخذ، وبدت علامات المرض واضحة عليه، لكن الابتسامة لم تغادر محياه ولطف حديثه وبشاشته لا زالت تطبع سلوكه، تبادلنا التحية وتجاذبنا أطراف الحديث برهة ثم افترقنا على أمل اللقاء، ولم أدر أنه آخر لقاء به بعد أن ودع هذه الحياة إلى دار البقاء...

إن الأستاذ د. موسى لقبال لم يكن أستاذا عاديا أدى واجبه ومضى وأنهى مهمته ورحل؛ لقد كان رحمه الله كاتبا ومحاضرا مفوها ومناقشا متمرسا من المستوى الرفيع، جمع المعارف الفقهية إلى الثقافة الأدبية والتاريخية، تشرب تراث الحضارة العربية الإسلامية، وحاول إيصالها إلى الجيل الجديد من الباحثين، مقلدا في ذلك الجيل الأول من أساتذة التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة الذين تتلمذ عليهم وتأثر بهم أمثال الأساتذة الدكاترة: إبراهيم طرخان (ت. 1985)، وإبراهيم العدوي، وأحمد شلبي (ت. 2000)، والسيد

الباز العويني (ت. 1969)، وجمال الدين سرور، ومحمد مصطفى زيادة (ت. 1968)، وغيرهم كثيرون.

لقد ألزم المرحوم نفسه بتخريج العديد من طلبة الدراسات العليا في تاريخ المغرب الإسلامي، فكان يرى فيهم تجديدا لجهده الأكاديمي واستمرارا لرسالته العلمية وهذا ما أكده لي عندما سألته مرة عن نشاطه العلمي وعن الجديد لديه في البحث والتأليف، فكان جوابه أن اهتمامه وجهده منصب بالدرجة الأولى على طلبته الذين يحضرون رسائلهم الجامعية تحت إشرافه، وكأنه أراد بهذا الجواب أن يفهمني بأنه وإن أعطى للتأليف حقه إلا أنه يفضل تكوين الرجال على تصنيف الكتب شأنه شأن الرعيل الأول من رجال الإصلاح بالجزائر، وبالفعل تخرج عليه في فترة تناهز الأربعين سنة أعداد كثيرة من طلبة الدراسات العليا الذين أصبح العديد منهم أساتذة في أقسام التاريخ بالجامعات الجزائرية.

ومع ذلك فإن مهام الإشراف والتدريس لم تحل دون حضور الأستاذ موسى لقبال في الساحة العلمية، فساهم بالعديد من الكتابات التاريخية في دائرة اختصاصه وفي مجال اهتماماته، فأثرى المكتبة التاريخية بكتب ومقالات تميزت بالعمق في التحليل والدقة في المعالجة والوضوح والسلاسة في الأسلوب، نذكر منها من التآليف الكتب التالية:

1. المغرب العربي من بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج، مطبعة البعث، قسنطينة، 1969.

2. الحسبة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

3. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

4. الفتح الإسلامي، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

5. التيسير في أحكام التسعير، لأحمد سعيد المجيلدي، تقديم وتحقيق وتعليق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

6. عقبة بن نافع، أساس الفهريين وتأصيل مجتمع مغاربي جديد في أرض المغرب العربي، إصدارات رابطة إبداع الثقافة.

ومن المقالات نذكر:

1. طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد الخاص بتاريخ باتنة والأوراس.

2. طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عصر المنصور الفاطمي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، عدد 6/ 1992، ص ص 31-42.

3. طبنة بين ماض حافل وعريق وحاضر متواصل وغريب، قاعدة طبنة والشرعية الخلافية في المغرب الإسلامي، مجلة حوليات جامعة الجزائر، عدد 5/ 1991، ص ص 91-102.

وإذا تجاوزنا هذه المساهمة العلمية التي تظهر جانب العطاء في مسيرة الأستاذ د. موسى لقبال، فإن الجانب الإنساني فيه جدير بالتقدير والتنويه، فقد آثر الأستاذ د. موسى لقبال حياة البساطة والانسحاب من الحياة العامة لتجنب المواقف السياسية والنشاط الجمعوي، كما فضل أن تظل علاقاته ومعاملاته محصورة في خصوصيات حياته ومهمته التربوية ورسالته العلمية،

مما أثر على حضوره على الساحة الثقافية، ولعل ذلك يعود إلى عوامل النشأة وأسلوب التعامل والنظرة للحياة، بعد أن خبر ذلك عند توليه رئاسة قسم التاريخ (1973-1975) أو أثناء عضويته في البرلمان الجزائري في نهاية السبعينات، ففضل بعد حصوله على تقاعد عضوية البرلمان أن يظل أستاذا مشاركا بقسم التاريخ وأن يواظب على إلقاء المحاضرات والإشراف على الرسائل باعتبار ذلك واجبا مهنيا ومهمة علمية.

لقد عرف الفقيد بهذا السلوك كيف يحافظ على مكانته ويحفظ كرامته ويظل مخلصا لقناعاته، وقد فرض عليه هذا الموقف نوعا من التحفظ في السلوك، ولعل هذا ما جعله في أغلب الأحيان يحجم عن النقاش وينفر من كل حوار لا يرى منه فائدة ، وقد ساعده على هذا الموقف ميله الفطري إلى العزلة وشعوره الحاد بكرامته واعتزازه بنفسه، فتجنب الخوض في المهرجانات و النشطات الثقافية و آثر أن يقنع بالقليل وأن يتخلى في بعض الأحيان عن حقوقه و يتنازل عن مستحقاته إذا أحس بأن ذلك قد يفرض عليه موقفا قد يمس بكرامته .

إن تعاملي مع الفقيد لسنوات طويلة واحتكاكي به أثناء تولي إدارة معهد التاريخ في الثمانينات، جعلني أقدر فيه إحساسه بكرامة الأستاذ وعزة العلم ومكانة الجامعة، وإيمانه الراسخ بالقيم العربية الإسلامية عقيدة ولسانا وإحساسا ، فهو لا يجامل فيها صديقه ولا يخفيها عن عدوه، يفصح عنها في كتاباته ويجاهر بها في مجالسه ويؤكدها في حديثه، كل ذلك في لين عريكة وطيبة سلوك وحسن خلق. و لقد كان لهذه المواقف النبيلة دخل في صعوبة تأقلمه مع وسط متفاعل مع الثقافة الغربية ، و لعل هذا ما اضطره في أول حياته الجامعية أن يتحول إلى قسنطينة للتعليم بالسنة التحضيرية الجامعية (1967) قبل أن يعود إلى جامعة الجزائر ليكمل مشواره العلمي، ويفرض حضوره بقسم التاريخ، ويساهم بجانب زملائه من أساتذة التاريخ الوسيط

أمثال عطاء الله دهينة ورشيد بورويبة رحمهما الله، وعبد الحميد حاجيات وإبراهيم فخار ، في تكوين الجيل الجديد من مؤرخي الفترة الإسلامية في الجزائر .

حقا لقد فقدت أسرة التاريخ الجزائري بوفاة الأستاذ موسى لقبال أحد روادها الذين تركوا بصماتهم فيما كونوه من طلبة وألفوه من كتب وساهموا به من مشاريع علمية، وهذا ما يبقي مساهمته حية وصورته مشرقة في ذاكرة زملائه وطلبته ومحبيه. جعل الله ذلك في ميزان حسناته وجزاه عن ذلك خير الجزاء في دار الخلد والبقاء.

ناصر الدين سعيدوني

الكويت في 9 **أبريل** 2009.

دور قسم التاريخ
في إعداد وتأطير طلبة ما بعد التدرج

إعداد محمد ودوع

يقوم قسم التاريخ إلى جانب دوره في إعداد طلبة التدرج بدور كبير في إعداد وتأطير عدد كبير من طلبة مابعد التدرج (الماجستير والدكتوراه)، وهي مهمة ليست سهلة بالنظر الى العدد الهائل من الطلبة الذين يتحصلون على شهادات مابعد التدرج كل سنة وكذا والظروف المحيطة بعملية التأطير في جميع جوانبها، حيث يسعى قسم التاريخ جاهدا لتغطية الفراغ الذي تشكو منه الجامعات الجزائرية في مجال التأطير، وهذه قائمة بأسماء طلبة الماجستير والدكتوراه وعناوين مذكراتهم ورسائلهم على التوالي التي ناقشوها خلال السنة الدراسية 2010/ 2011.

1- **قائمة الطلبة الذين ناقشوا الماجستير لسنة** 2010/2011:

الرقم	لقب وإسم الطالب	الموضوع	تاريخ المناقشة	التخصص
01	حميد قريتلي	البعد الديني في السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1907)م	05/ 01/ 2011	حديث ومعاصر
02	امحمد قرود	الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في	19/ 01/ 2011	حديث ومعاصر

		القرن 11 هـ/ 17م		
03	أحمد يسعد	ثقافة الهند من خلال أبي الريحان البيروني (440هـ/ 1048م)	16/ 01/ 2011	وسيط
04	محمد وقاد	جماعة بنو ميزاب ودورهم في تنشيط الاقتصاد في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني	25/ 01/ 2011	حديث ومعاصر
05	الطيب مختاري	اللجنة الإفريقية (1833-1834م)	09/ 02/ 2011	حديث ومعاصر
06	فيصل مبرك	الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى وأثرها على تاريخ الدولة السعدية (1603-1613م)	10/ 02/ 2011	حديث ومعاصر
07	عائشة دباح	تفاعل السلطة مع القوى الدينية في عهد المولى اسماعيل في المغرب الأقصى في الفترة 1672-1727م	10/ 02/ 2011	حديث ومعاصر
08	أحمد سعودي	حرب الريف 1921-1926 من خلال مجلة المنار القاهرية	16/ 02/ 2011	حديث ومعاصر
09	أحمد مسعودي	الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية	02/ 03/ 2011	حديث ومعاصر

		منها 1792-1830م		
10	يوسف خياط	الدولة البيزنطية من النشوء حتى عهد جستنيان 284-565م	23/ 02/ 2011	قديم
11	كايسة بولجنت	العادات والتقاليد في منطقة الزواوة من خلال المخطوط في العهد العثماني	06/ 03/ 2011	حديث ومعاصر
12	خميسي سعيدي	معتقل الجرف بالمسيلة أثناء الثورة التحريرية	10/ 03/ 2011	حديث ومعاصر
13	عبد الرزاق قشوان	السلطة المحلية في بايلك قسنطينة 936-1253هـ/ 1592-1837م	2011-03-16	حديث ومعاصر
14	نوارة شاعفة	دور العبيد في روما: من فترة 55-54	06/ 04/ 2011	قديم
15	رشيد مريخي	الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا 1212-1220هـ/ 1798-1805م	07/ 04/ 2011	حديث ومعاصر
16	لطيفة حمصي	المجتمع والسلطة القضائية: المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/ 1710-1830م	11/ 04/ 2011	حديث ومعاصر

17	صبرينة لنوار	مؤسسة بيت المال ودورها الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني	12/ 04/ 2011	حديث ومعاصر
18	نورة عمران	رجال المال والأعمال الأجانب في المقاطعات الإفريقية الرومانية 146ق.م-285م	13/ 04/ 2011	قديم
19	سمير العيداني	الحياة الدينية في شمال شبه الجزيرة العربية 1200ق.م-600م	14/ 04/ 2011	قديم
20	عبد العزيز شاكر	التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف 500هـ/ 537هـ	18/ 04/ 2011	وسيط
21	نادية زروق	سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في شمال إفريقيا: الجزائر نموذجا 1870-1900م	20/ 04/ 2011	حديث ومعاصر
22	صليحة بوزيد	الوقف الذري في مدينة الجزائر خلال القرن 18 بين الشريعة والممارسة	23/ 04/ 2011	حديث ومعاصر
23	سماعين عمارة	الآثار السياسية للهجرة الهلالية في المغربين الأدنى والأوسط من سنة	25/ 04/ 2011	وسيط

		هــــــــ443-1052م إلى 543هـ/ 1152م		
24	منصـــــور رباح	الفلسفة وموقف السلطة المرابطية منها	26/ 04/ 2011	وسيط
25	ســـلوى لهلالي	دور النـــواب المســـلمين الجزائريين	30/ 04/ 2011	حديث ومعاصر
26	مراد ريغي	حـــروب صـــقلية بـــين القرطـاجيين والإغريـق في 580-246 ق.م	29/ 05/ 2011	قديم
27	فتيحــــــة صحراوي	الجزائـر في عهـد الـداي حسين 1818-1830م	11/ 05/ 2011	حديث ومعاصر
28	عبد القادر حليس	المشرق العربي من خـلال الرحلات المغاربية (رحلـة المقري-رحلـة العياشـي- رحلـة الـورتلاني 11هــ- 12هـ/ 17-18م) نموذجا	25/ 05/ 2011	حديث ومعاصر
29	عـــــامر زناتي	ثورة محمد أحمد المهـدي في السودان 1881-1885م	02/ 06/ 2011	حديث ومعاصر
30	عبد العزيز حاج كولة	الحيـــاة الاجتماعيـــة والاقتصادية بالأندلس من خلال النـوازل الفقهيـة في القرنين 5-6هـ/ 12م	07/ 06/ 2011	وسيط
31	بلقاســـم	مملكة بني هود في الثغر الأعلى	08/ 06/ 2011	وسيط

	بواشرية	أيـام الطوائـف والمـرابطين بالأنـدلس 431هـ/ 1039م-524هـ/ 1131م		
32	ليلـــــى غويني	التفاعـل الثقـافي بـين دول المغرب في العهد العثمـاني مـن خـلال الـرحلات الحجازية	02/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
33	ســحنون شرايف	دراسة منوغرافيـة لحـوض الشلف في العهد الروماني 40-429م	03/ 07/ 2011	قديم
34	نسيم نوار	النـزاع السـني – الشـيعي بـبلاد المغـرب وأثـره في تجديد المذهب المالكي	03/ 07/ 2011	وسيط
35	كريمة نـور الدين	سياسة آل برقة والحـوض الغربـي للبحـر المتوسـط 241-183 ق.م	04/ 07/ 2011	قديم
36	خالد حمون	دور الأمـــير المرابطـــي يوسـف بـن تاشـفين في إيقـاف الزحـف الصـليبي بالأنـــدلس 479هـــ-500هـ/ 1086م-1106م	04/ 07/ 2011	وسيط
37	حفيظـــة العياضي	التشـــكيلة البشـــرية للطاسيلي نـاجر منـذ مـا	06/ 07/ 2011	قديم

		قبل التاريخ إلى غاية العصور التاريخية		
38	خالد شارف	الخزر بين القرنين 7 و9 م/ 1 و3 هـ	03/ 07/ 2011	وسيط
39	حفيظة معمر	صورة السودان الغربي في المصادر المغربية	04/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
40	مروان بوزكري	التنافس الفرنسي-الإنجليزي على المغرب الأقصى فيما بين 1873-1905م	07/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
41	مالية بصال	المستوطنات اليمنية ودورها الحضاري في وسط وشمال الجزيرة العربية	06/ 07/ 2011	قديم
42	علجية مقيدش	البعد المغاربي للطريقة الدرقاوية ومواقفها من السلطة المركزية والاحتلال الأوروبي	06/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
43	المختار ولد محمد	الطرق الصوفية في موريطانيا ومواقفها من الاستعمار الفرنسي	07/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
44	حياة سيدي صالح	اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين 1871-1895م	10/ 07/ 2011	حديث ومعاصر

45	أحمد رقاد	التعددية الدينية في شبه الجزيرة العربية بين الوثنية والتوحيدية	10/ 07/ 2011	قديم
46	فاتح بوفرولة	الظهير البربري في المغرب الأقصى من خلال مجلة المنار (1930-1934)م	10/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
47	العربي بوبكر	امبراطورية تيمورلنك: النشأ/ التوسع/ النتائج	10/ 07/ 2011	وسيط
48	فهيمة سعودي	حملات الملك لويس التاسع على العالم الإسلامي 1248-1270م	09/ 07/ 2011	وسيط
49	صباح علة	المعتقدات الدينية القرطاجية: 814 ق.م–264 ق.م	10/ 07/ 2011	قديم
50	عثمان منادي	الحياة العلمية في حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا بين القرنين 8 و10هـ/ 14و16م	18/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
51	عاشور قويدر	تفاعل العلماء والمثقفين بالسلطة في طرابلس الغرب خلال القرن 18 و19م	21/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
52	حمداني محمد علي أمين	حركة عموم إفريقيا بين 1900-1963م: الرواد والمؤتمرات	21/ 09/ 2011	حديث ومعاصر

53	يوسف سليماني	تطور الحركة الوطنية بأوغندة واسترجاع الاستقلال (1945-1962م)	25/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
54	نوي بن مبروك	الاحتلال الفرنسي لتشاد: 1890-1920م	26/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
55	أحمد جعفري	جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمملكة وادي خلال حكم السلطان صابون: 1803-1813م	28/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
56	امحمد يزير	عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1876-1944م	27/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
57	عبد الكريم مغاوري	العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى ومصر خلال العصور الحديثة: 1492-1822م.	27/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
58	جمال الدين عمراوي	الاستعمار البريطاني وحركة التحرر في زمبابوي إلى غاية استرجاع الاستقلال	28/ 09/ 2011	حديث ومعاصر
59	حفيظة بوتوقوماس	الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني: 1117هـ/ 1705م-1246هـ/ 1830م	28/ 09/ 2011	حديث ومعاصر

60	محمد نصير	انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب خلال القرن 4و5هـ/ 10م-11م	29/ 09/ 2011	وسيط
61	نصيرة نواصر	مواقف تونس والمغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر: 1830-1847م	02/ 10/ 2011	حديث ومعاصر
62	لامية وادي	دولة المماليك في عهد السلطان ناصر محمد ابن قلاوون 693-741هـ/ 1293-1341م	05/ 10/ 2011	وسيط
63	حفيظة بن دحمان	رأي محمد بيرم الخامس في الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال كتابه: صفوة الاعتبار لمستودع الأمصار والأقطار	10/ 10/ 2011	حديث ومعاصر
64	عبد الرحمان عمار	الثورة الجزائرية من خلال الصحافة التونسية جريدة الصباح نموذجا 1954-1956م	30/ 10/ 2011	حديث ومعاصر
65	عبد الرحمان قراش	التنافس الاستعماري على القرن الافريقي 1862-1899م	02/ 11/ 2011	حديث ومعاصر
66	سعيد زهار	صورة الحركة الوطنية في الصحافة الاستعمارية بين	02/ 11/ 2011	حديث ومعاصر

		1919-1939م من خلال جريدة ليكو داجي		
67	سعيدة صدوق	محمد البشير الابراهيمي في المشرق العربي في القرن الـ20 1911-1920/ 1952-1962م	10/ 11/ 2011	حديث ومعاصر
68	أحمد جلايلي	إسلام مغول مملكة تركستان (جغطاي) 624-808هـ/ 1227-1405م	16/ 11/ 2011	وسيط
69	مسعود عوادي	دور الرحلات التونسية والجزائرية في استكشاف الفكر الأوروبي ونقله إلى المغرب العربي خلال القرن الـ:19	19/ 11/ 2011	حديث ومعاصر
70	أحمد بن خيرة	دور المغاربة في الحروب الصليبية	20/ 11/ 2011	وسيط
71	كريمة حدوش	تجارة مملكة سبأ على ضوء كتب الرحالة ودوره الحضاري	04/ 11/ 2011	قديم
72	أحمد شنتي	القضية الفلسطينية من خلال جريدة الشعب الجزائرية 1962-1967م	22/ 11/ 2011	حديث ومعاصر
73	ريمة مليزي	قرطاجة والبحر (814 ق.م-146 ق.م)	22/ 11/ 2011	قديم

2- **قائمة رسائل الدكتوراه التي نوقشت خلال السنة الدراسية** 2011/2010:

الرقم	اسم الطالب	عنوان الرسالة	تاريخ المناقشة	التخصص
1	كرليل عبد القادر	تدويل القضية الجزائرية وانعكاساتها على المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1955-1962		حديث ومعاصر
2	عقيب محمد السعيد	الحزب الحر الدستوري التونسي "القديم" (1934-1956)	03/ 02/ 2011	حديث وعاصر
3	يعيش محمد	المهاجرون الجزائريون في المغرب ودورهم في الحركة الوطنية والثورة	13/ 04/ 2011	حديث ومعاصر
4	الخروصي صالح بن عامر حارث	عمان في عهد الامام سعيد بن أحمد والسيد سلطان بن أحمد (1783-1804)	04/ 05/ 2011	حديث وماصر
5	أحمد	قضايا ومسائل في	29/ 05/ 2011	حدي

	مسعود سيد علي	المجلس لبوطني للثورة الجزائرية		ومعاصر
6	دهاش الصادق	المشوع التحرري الوحدوي لحركة الجامعة الاسلامية في بلاد المغرب العربي	04/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
7	فشار عطاء الله	النخبة الجزائرية جذورها تطورها، اتجاهتها	21/ 06/ 2011	حديث ومعاصر
8	اولاد سيدي الشيخ عبد الرحمن	الحركة الوطنية الاستقلالية في العراق نشاتهاوتطورها 1920-1945م	04/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
9	هيصام موسى	المذهب السني في المغربين الادنى والاوسط 296-547	10/ 07/ 2011	وسيط
10	فراد محمد ارزقي	المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الالامية 1749-1949	07/ 07/ 2011	حديث ومعاصر
11	غرداوي نورالدين	كتاب الجامع للقاضي ابي		وسيط

		زكريـــايحي بـــن موسى بن عيسـى المغيلـي المــازوني المتـــوفي ســـنة 1478-883		
12	طاعــــة سعيد	دور النــــواب المسلمين في الحيـاة النيابيـة بــالجزائر 1947-1956	31/ 10/ 2011	وسيط